توضيحات الإمام الحداد

لمعاني

بعض أحاديث خير العباد

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

رحمه الله تعالى

تطبع لأول مرة

يوزع مجانا ولا يباع

توضيحات الإمام الحداد

لمعاني بعض أحاديث خير العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

إله الورى سهِّل على كل من قرا ... تصانيف حداد العُلا ما تعسَّرا
وأصلِح له كلَّ الشؤون وجُدْ له ... بعافيةٍ كبرى وأحسِنْ له القِرى
وجدِّد له في كلِّ حين كرامةً ... وفضلاً وأنعشْهُ إذا ما تعثَّرا
وهب يا وليَّ الخير أنساً وراحةً ... ورزقاً حلالاً واسعاً ومُيَسَّرَا

الأبيات الثلاثة الأولى
في ديوان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط
والبيت الرابع
منسوب للحبيب طاهر بن عمر الحداد

توضيحات الإمام الحداد

لمعاني بعض أحاديث خير العباد

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد
الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد
رحمه الله تعالى

تطبع لأول مرة

يوزع مجانًا ولا يباع

مُقتَطَفات مِن كِتَاب تَثبِيتِ الفُؤَادِ الأُم

قال الأحائي : قال السيد العارف بالله أحمد بن عمر الهندوان نفع الله به : (ما بَقِي اليوم شيخ مرشد إلا السيد عبدالله الحداد) . قال : (وظَهَرَ لي أنَّهُ مُمْلِي الكون) .

وقول السيد أحمد : (ما بَقِي اليوم شيخ مرشد إلا السيد عبدالله الحداد) يحقق ما قُلنا أنَّ المقدَّم للإرشادِ واحدٌ يجعله الله قدوة ، وكلُّ صالحي وقتِهِ مُنطوون فيه يُرشِدون الخلقَ إليه ، وهو يُرشد الخلقَ إلى الله . وإلا فإنَّ السيد أحمد شيخٌ مرشد ، فما معنى قوله ذلك إلا أنَّه يريد أنَّ الشيخ المرشد الذي أقامَهُ الله اليوم لإرشاد الخلقِ بأمر الله هو السيد عبدالله . كما سيأتي من قول سيدنا في الشيخ عمر المحضار : (إنَّ خَلفَهُ عشرين وأمَامَهُ عشرين كلهم في مَقَامِهِ ، لكنَّه أَقَامَهُ الله للإرشاد دونهم ، فَظَهَرَ وخَملوا وهم يُرشِدون الخلقَ إليه) .

وقال السيد العارف بالله أبوبكر بن سعيد الجفري باعلوي نفع الله به : (ما رأيتُ للسيد عبدالله مثيل ، لأنَّه نَفَسٌ رحماني ، وقد اجتَمَعتُ بأزْيَدَ مِن أربعين ولياً ما رأيتُ أحداً يساميه) . وقال : (مُجالسةُ السيد عبدالله عِلمٌ مِن غير تَعَلُّم ، وفي مُجالَسَتِهِ إكتسابُ الخير كله) . وقال السيد العارف بالله علي بن عبدالله العيدروس نفع الله به : (السيد عبدالله الحداد سلطانُ آل باعلوي) .

ا.هـ. « تثبيث الفؤاد » الأم

نادرة الدهر ، وعلاَّمة العصر ، من أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة ، ترتوي منه الأمة في كل زمان ، الداعي إلى رب العباد ، الحبيب عبدالله بن علوي الحداد . ولد بالسُّبَير - من ضواحي مدينة تريم - ليلة الإثنين ، لخمس خلت من صفر الخير ، سنة ١٠٤٤ هـ .

نشأ بمدينة تريم ، وحفظ بها القرآن العظيم ، والإرشاد وغيره من المتون . وكُفَّ بصره وهو في الرابعة من عمره .

عني والداه بتربيته وتهذيبه . وتوفيا كلاهما في شهر رجب ، سنة ١٠٧٢هـ ، ودفنا بمقبرة زنبل بتريم .

خرج الإمام الحداد من مدينة تريم للحج في سنة ١٠٧٩ هـ ، وقصد أولاً بندر الشحر ، وأقام به نحو نصف شهر ، وزار من به من أهل الصلاح والفلاح . ثم سافر إلى بندر عدن . وكان دخوله مكة المشرفة أول يوم في شهر ذي الحجة ، واتفق تلك السنة الوقوف يوم الجمعة ، وبعد انقضاء الحج وأداء المناسك بأجمعها ، سافر لزيارة جده المصطفى ﷺ .

ثم لما كان سنة ١٠٨٣هـ بنى بيته الذي بالحاوي شرقي مدينة تريم ، واستوطنه سنة ١٠٩٩ هـ وهي ذات السنة التي وُجد فيها ابنه الحبيب حسن ، وعندما بُشِّر به قال : وُجِد صاحب الحاوي . وابتنى مسجده الذي بجانب بيته المذكور ، ويعقد درساً بالمسجد بعد صلاة العصر كل ليلة ، وبكرة يوم الخميس والإثنين ، ويعقد حضرة بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة . وكان الحاوي مقصداً للأولياء والصالحين ، وملجأً للفقراء والمساكين ، حوطة أمان ومقر اطمئنان .

انتشر راتبه الشهير ، وورده اللطيف والكبير في جميع أرجاء العالم ، كما انتشرت مؤلفاته في الآفاق انتشاراً له بالغ التأثير والفائدة ، معتنياً بتهذيب النفوس وترويضها ، وهي كالتالي :

(١) رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين

(أملاها على السيد : علي بن عمر بن حسين) « مطبوع »

(٢) آداب سلوك المريد

(أملاها على السيد : السيد محمد باقر باحسن) « مطبوع »

(٣) إتحاف السائل بجواب المسائل

(أملاها على السيد : علي بن عمر بن حسين) « مطبوع »

(٤) النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

(أملاها من أولها إلى الكلام في الحج على السيد حسين بن علوي الجفري) « مطبوع »

(٥) رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة

(من أول رسالة المعاونة إلى الكلام على التوبة أملاها على : محمد بن عتيق ، ومن الكلام على التوبة إلى آخرها أملاها على السيد : محمد باقر باحسن) « مطبوع »

(٦) سبيل الإدكار والإعتبار بما يمر بالإنسان من الأعمار « مطبوع »

(٧) الدعوة التامة والتذكرة العامة

(معظمها أملاها على ابنه الحبيب الحسين بن عبدالله الحداد ، وهي آخر مؤلفاته) « مطبوع »

(٨) الفصول العلمية والأصول الحكمية « مطبوع »

(٩) النفائس العلوية في المسائل الصوفية « مطبوع »

(١٠) الحِكَم

مجموعة من حكمه العجيبة وقد شرحها العلامة المحدث محمد حياة السندي المدني « مطبوع »

(١١) المكاتبات

وهي تحتوي على رسائله لإخوانه ومريديه والمتعلقين به وتلامذته كما خاطب فيها السلاطين والحكام فنصحهم ووجههم وأرشدهم وأنذرهم (أملا أولها على أبنائه ، ومن المكاتبات المؤرخات سنة ١١١٥ هـ إلى وفاته رضي الله عنه كلها أملاها على ابنه الحبيب علوي بن عبدالله الحداد) « مطبوع »

(١٢) ديوانه المسمى الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم « مطبوع »

(١٣) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد

جمعه ودوّنه مع تعليق وزيادة توضيح تلميذه الأجل الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم الشجّار الإحسائي

((سيُطبع قريبا)) وهو الكتاب الأم ، وقد استخلص منه معظم كلام الإمام الحداد حفيدُه الحبيب العلامة أحمد بن حسن بن عبدالله الحداد من ذات الكتاب وسماه بنفس الإسم وهو المطبوع المتداول بين الناس .

(١٤) كتاب التعليقات

وهي تعليقاته رضي الله عنه على رسائله الثلاث (المريد - المذاكرة - المعاونة) حينما كانت تقرأ عليه في مجلسه « مطبوع ».

(١٥) كتاب التوضيحات

وهي الأحاديث النبوية التي مرت عليه في مجالسه رضي الله عنه وتكلم عليها وأوضح بعض معانيها « مطبوع » .

توفي الإمام عبدالله بن علوي الحداد يوم الثلاثاء ٧ القعدة سنة ١١٣٢ هـ ، بحاوي الخيرات بمدينة تريم ، عن عمر يناهز ٨٩ سنة إلا ثلاثة أشهر .

مُقتَطَفات مِن كِتَاب تَثبِيتِ الفُؤَادِ الأُم

قال الأحسائي : ومن سر شفقته واعتنائه لم يعترض لي قط تغير الخاطر بشيء ، حتى إني مرة قلت له : كثيراً ما توسوس للإنسان نفسه بأن في خاطركم عليه شيء ، وقد سمعتكم تقولون : « قد نجد في نفوسنا على أحد من الناس » . فقال رضي الله عنه : « لا ، ما يقع في الخاطر عليك شيء ، لأنك أنت والعيال ما نحاذركم ، وإنما نراعي أناساً يجون وهم كذا للإبقاء عليهم ، فإذا جزمنا على الأمر بشيء ما بالينا بهم ، ولا راعيناهم ، وترى ناساً صفتهم كذا يجون إلى عندناما يرجعون بلا شيء » . ونسيت ما وصفهم به .

وكان الفقيه عبدون بن قطنة مرتبه سيدنا في وظيفة الأذان في الحاوي ، وفي قراءة سورة يس بعد الصلوات ، وكان من عادته هو الذي يبتديء في القراءة في درس العصر ، قبل غيره من القراء ، فلما توفي أقامني بعده في وظيفة الأذان وقراءة يس ، وذلك من عصر يوم ٢٠ من صفر سنة ١١٢٩ ، وبقيت على عادته أبتديء القراءة أولاً ، وكنت أقرأ في جامع الترمذي بأمره لي بالقراءة فيه ، فقال لي سيدي يوماً : « لا تعد تبتديء أنت كل يوم إلا مرة ومرة ، لأن هذا يحرك منك داعية الرياء ، ومن غيرك الحسد ، وأنتوا ما تعرفون هذا الأمر ، ولا رضتوا نفوسكم ، ونحن أعرف به منكم » . أقول : لعله اطلع مني على شيء مما ذكر ، فتكلم بذلك نصحاً منه وتعليماً .

ا.هـ. « تثبيث الفؤاد » الأم

[1]هو الشيخ المنور ، العابد الناسك ، العالم المتبتل ، شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم الشجار الأحسائي ، جاور عند سيدنا الشيخ عبدالله الحداد ١٧ سنة وهو في ملازمته دواماً لا يكاد يفارقه في مجلسٍ من مجالسه العامة والخاصة مدة إقامته عنده ، ويسير معه حيث سار .

كان مقبلاً عليه مشيراً إليه ، وكان واقفاً عند إشارته وملتزماً لخدمته ، ويكتب كل ما يتكلم به في حضوره ، وكان ذا حفظٍ للعلم وطلبٍ وإتقان ، حصَّل جميع مؤلفات سيدي بقلمه وغيرها من الكتب ، وكان كثير النقل متبعاً للفوائد ، وكان يحفظ من كلام سيدي وكراماته شيئاً لا يكاد يحصى لكثرة ملازمته وانقاطعه إليه ، وكان عليه في مدة إقامته عنده وظيفة الأذان وحمل السجادة لسيدي والحبوة ، ولبس منه الخرقة ما لا يكاد يحصى وتلقن الذكر ، وكان ممتلىء القلب بتعظيمه واحترامه لا يرى في الوجود سواه من مشائخ الطريق ممن سبق ولحق .

وبقي على هذا الحال حتى توفي سيدي عبدالله ثم سافر بُعيد وفاته بقليل ، وجاء إلى سيدي أحمد بن زين الحبشي وجلس عنده ١٧ يوماً قال : أقمت عند سيدي أحمد كل يوم طباق سنة عند سيدي عبدالله نفع الله بهما . وآنسه سيدنا أحمد وفرح به جداً وأظنه لبس منه الخرقة وتلقن الذكر .

وكان بينه وبين السيد الجليل عمر بن عبدالرحمن البار صحبة وأخوة ، ومرَّ عليه إلى دوعن وأخذ عنده مدة وسافر إلى الحرمين ورجع وأقام ببلده الأحساء على سيرةٍ حميدة مع انقباض عن الناس كما هو المحمود في هذا الزمان المنقوص هـ .

وفاته : لم نعثر على تاريخ محدد لوفاته ، والثابت أنه كان على قيد الحياة حتى عام ١١٧١ هـ ، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار .

❁ ❁ ❁

(١) من كتاب (بهجة الزمان) للحبيب محمد بن زين بن سميط .

صورة ضوئية من النسخة الأم

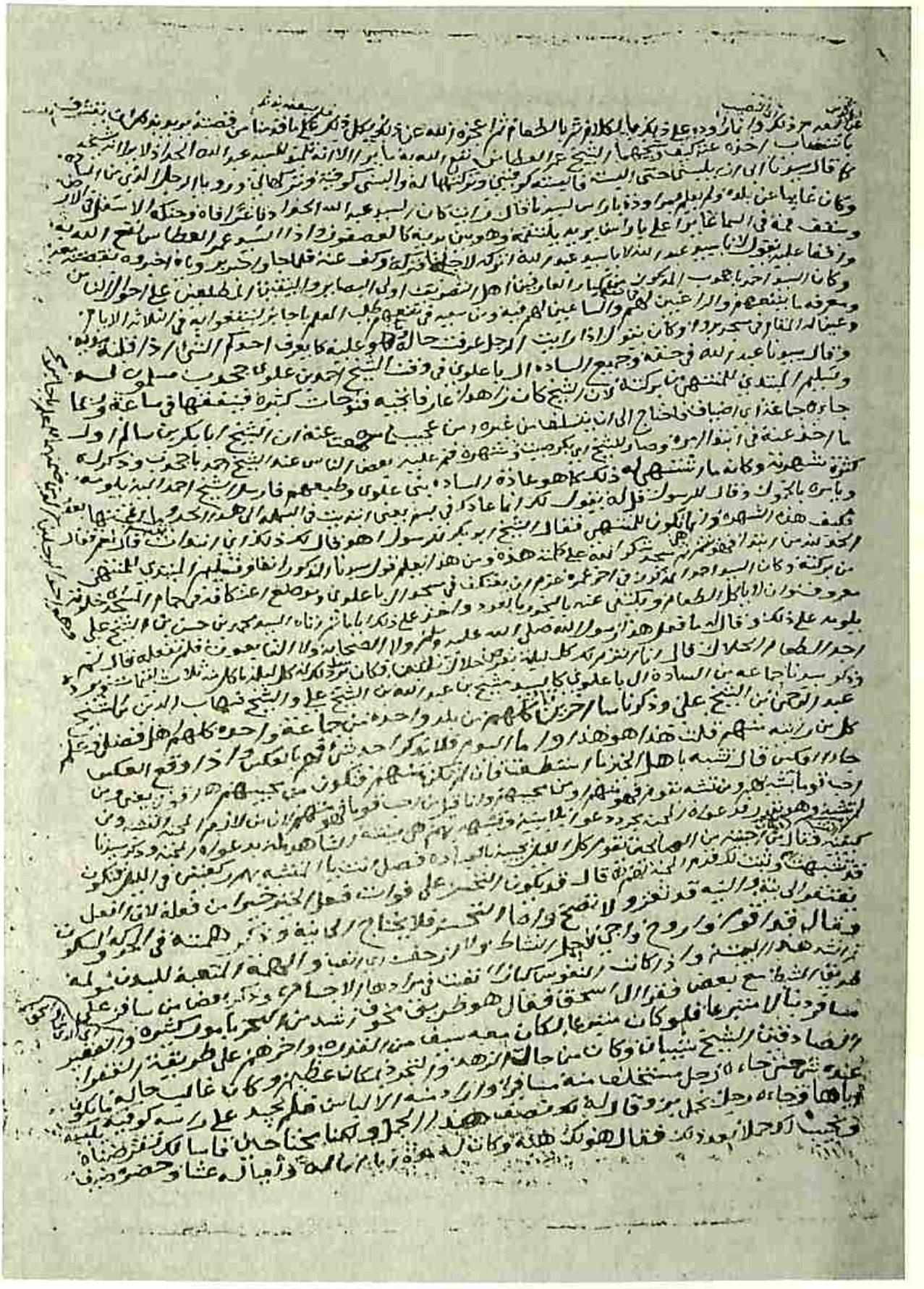

صورة ضوئية من النسخة الأم

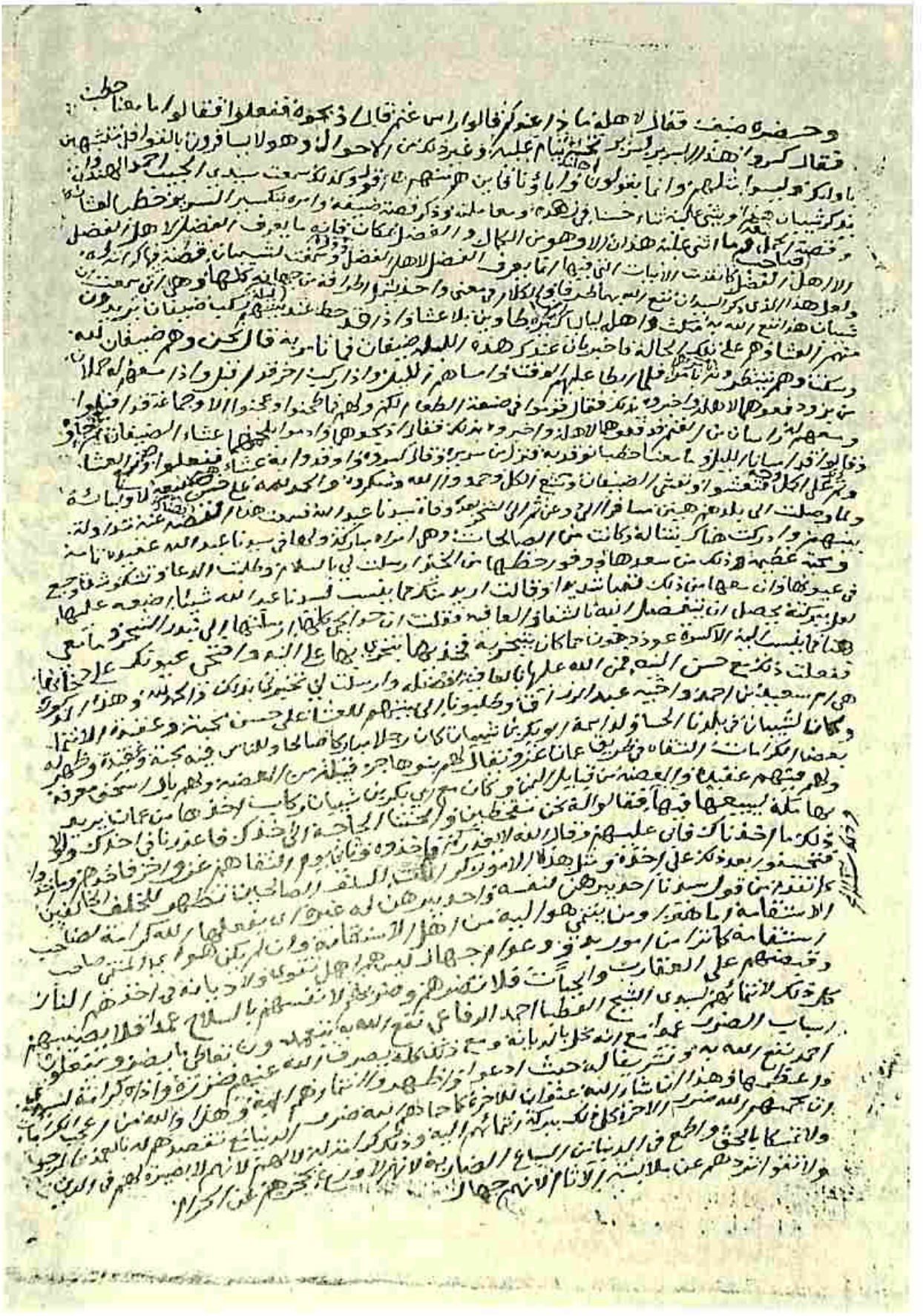

مُقتَطَفات مِن كِتَاب تَثبِيتِ الفُؤَادِ الأُم

قال الأحسائي : ودعاني مرة إلى عنده في الغيلة بكتاب يسمى عجائب الملكوت ، للشيخ الإمام أبي جعفر الكسائي ، صاحب كتاب بدو الخلق ، فلما قعدت بين يديه قال رضي الله عنه : « كم معك أشياء لا تعلمها وتطلبها » . وأخبرته برؤيا رجل ثقة ممن يحضر مجالسه ، قال لي : رأيت البارحة لك رؤيا ، وهي أني رأيت كأن الحبيب ألبسك كسوة . فلما سمعها ، قال رضي الله عنه : « وكم بشارات حصلت لك ، وما جاء بك الله من بلادك إلى هنا إلا لشيء ، ولكن قاعدة ، إن الإنسان إذا كان حاضراً مع من هو أكمل منه ، لا يظهر له شيء . وهل تضيء مع الشمس القناديل ؟ وقد حصلت لنا من مشايخ أدركناهم إشارات وبشارات ، ما رأيناها إلا بعدهم ، وعرفناها من إشاراتهم فيما بعد ، وكانوا خاملين جداً ، حتى إن الشيخ عمر العطاس لما طلبنا منه الإلباس أبى أن يلبسنا حتى ألبسناه ، وقال : أنا أريد زيارتكم ، ما هو إلا ما وقع . وأحد منهم طلبنا منه الإلباس فامتنع ، حتى أنه لبس عمامتي ولبست عمامته ، وأحد منهم ما هو إلا في الذهول مكانه مع المسمعين كالشيخ أحمد بن ناصر صاحب الشحر ، لو ظهر أحدهم اليوم لما اعتقده أحد » .

ومن العجيب أن مشايخه المذكورين ، وغيرهم ممن لم يذكرهم ، كلهم يعتقدون مزيته عليهم ، ويتبركون به ويلتمسون منه ، وأثنوا عليه ثناء كثيراً .

ا.هـ. « تثبيث الفؤاد » الأم

الحديث رقم (١)

قال ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .

وذكر حديث : إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ[1] ، ثم قال رضي الله عنه : « الإنسان ينوي ويتحرك ، ويتم الله ما أراد ، فقد توافق الحركة القضاء والقدر ، فإن وافقتهما تم العمل ، وإن لم توافق ذلك لم يتم العمل ، ولكن يبقى الإنسان على ما نوى من خير وشر » .

قال رضي الله عنه : « اعمل لله على قدر همتك ونيتك ، فإن الأجر على قدر الهمة والنية لا على قدر العمل ، فإن خزائنه تعالى مملوءة عبادة ، فإذا كان المَلَكُ الواحد من الملائكة ، من قَبْل خلق الدنيا إلى يوم القيامة في سجدة ، وآخر في ركعة ، ونعَّمهم بذكره ، كما هو معلوم من أحوالهم ، فما قدر عملك فإنما هو بالنية ، فإن اللهَ تعالى شكر للضفدع حيث حملت في فيها ماء لتطفئ نار النمرود عن إبراهيم عليه السلام ، فقيل لها : أتقدرين على طفئها ؟ قالت : هذا حد قدري ، فنهى الشرعُ عن قتلها ، والوزغ حيث جعل ينفخ فيها ، وقال أريد أن أظهر له الشماتة ، ذمَّه الله جداً حتى رغب الشرع في قتله » .

قال رضي الله عنه : « ربَّ قليل كَثَّرته النية ، ورب كثير قللته النية » .

قال رضي الله عنه : « كل عمل يعمله الإنسان لله ، يعلم من نفسه أنه لم يعمله إلا لله فلا عليه بأس من خواطر السوء » .

قال رضي الله عنه : « من ادعى أن له نية صالحة ، فانظر إلى عمله ، فكل عمل يدل على النية فإن صلح عمله دل على صلاح نيته ، وإن كان فاسداً دل على فساد نيته » .

---

(١) متفق عليه من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال رضي الله عنه : « إذا عملتَ خيراً فانو العود إليه ، فإن لم يتفق لك العود ؛ فتثاب على نيتك ، وكذلك إن لم تكن قد عملته فانوه » .

قال رضي الله عنه : « إن الله لم يُعِن الشخص إذا نوى فعل خير حتى يشرع فيه » .

قال رضي الله عنه : « الفهم من جانبين ، فهم يحصل من العلم ، وفهم يحصل من العمل، والعلوم كثيرة ، لا يحتاج الإنسان إلى العمل بجميعها ، بل ببعضها كالعبادات ، وأيضًا لا يحتاج إلى العمل بكل العبادات ، والذي يخصه العمل به منها قليل جداً ، وما لا يحتاج أن يعمل به كالعادات ، فينوي أنه إن عمله أن يحسن فيه، ليحصل له ثواب النية » .

قال الأحمائي : وسمعت المعلم باغريب يستأذنه في بناء مسجد في نَخْلِهِ قرب مسيلة عِدِم ، بعد ما خَرَّب السيل مسجداً كان به ، فقال رضي الله عنه له : « إن كان نيتك في بنائه خالصة لله ؛ ما نردك عن بنائه ، وإن كان نيتك ما هي خالصة فلا تبنه » . قال : بلى إن نيتي خالصة . قال : « انظر لو بنيته وتعبت في بنائه ، وصرفت فيه مالاً كثيراً ، فلما تم لم ينسب إليك ، إنما نسب لغيرك ، فقيل مسجد فلان ، واشتُهِر بذلك وأنت ما نُسِب إليك ، ولم تُذكَر به في شيء ، هل ترى نفسك تطيع لذلك؟ » . ففكر قليلاً ، ثم قال : ما أرى نفسي مطيعة لذلك ، فقال سيدنا له : « اتركه فإن نيتك غير خالصة » انتهى .

الحديث رقم (٢)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكُم وأبدَانِكُم ، ولكن يَنظُرُ إلى قُلُوبِكُم وَنِيَّاتِكُم » .

قال رضي الله عنه : « إنَّ الله لا ينظر إلا إلى همِّ الإنسان ونيّته ، فمن كان همُّهُ لله ، وإن كانت أفعاله على خلاف ذلك فيوشك أن تتبع الهمّ ، ومن كان يظلم ويعصي وهمُّه المعاصي ويتلفَّظ بالذِّكر ، فلسانه حجَّة عليه . فانظر إلى الرجل من الصالحين كأنَّ قائلاً يقول له من قبل الله : اعطني قلبك وهمَّك ، واترك جوارحك وظاهر عملك ، فلا يمكث أن تتبعه جملته . فمن تعلَّقت همتُّه بالله وإن كان غير مرضيِّ العمل في جوارحه ، فإنَّها تصلح ولا بد ، ومن كان عمله في الظاهر طاعة ، وهمُّهُ خلاف ذلك تبعته الجوارح لا محالة ، ولهذا قال النبي ﷺ : إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكُم وأبدَانِكُم ، وَلَكِن يَنظُر إلى قُلُوبِكُم وَنِيَّاتِكُم[1] » .

قال رضي الله عنه : « لأنَّ النِّية قلبيَّة لا يتطرَّق إليها الرِّياء ونحوه ، بخلاف أعمال الجوارح » .

قال الأحسائي : يعني موضع نظر الله تعالى قلبه ، الذي هو محل النية والإخلاص .

وأما الجوارح الظاهرة فلا حكم لها إلا بما اقتضته النية طابت أو خبثت ، لأنها تابعة لها وثوابها وجزاها أعظم من جزاء الأعمال ، وخبثها أبلغ من خبثها .

وقد ذكر الإمام الغزالي في حديث : يموت الإنسان على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه[2] ، أنَّ معناه أنَّ المراد بقوله : ما عاش عليه : أي ما كان الغالب على قلبه في حياته ، وما هو أكبر همّه في مدَّة عمره ، لا ما كان أكثر عمله . ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه ، فمن صفات القلوب تصاغ الصُّور في الدَّار الآخرة ، ولا ينجو

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، (٤/ ١٩٨٦) ، رقم : (٢٥٦٤) .

(٢) رواه مسلم ٢٨٧٨ .

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] انتهى .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الشعراء: ٨٩.

الحديث رقم (٣)

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ .. الخ » .

قال رضي الله عنه : « ثلاث مقامات الدين مترتبة ، لا يحصل للإنسان الثاني حتى يحكم الأول : مقام الإسلام ، ومقام الإيمان ، ومقام الإحسان . ولا تكلم أهل الزمان حتى في التوكل والزهد أبداً ، إلا إن مر ذلك في كتاب ، ومن لا يحسن الإسلام ولا قام بواجب صلاة ولا زكاة ، كيف يمكن معه ذلك ؟ ومن لم يكن معه لبن ، من أين يستخرج الزبد والسمن ؟ وتراهم يقصرون في إخراج الزكاة ، أحد يعطيها للأشراف ، وأحد يجعلها ضيافات يتجمل بها ويحسبها من الزكاة ، ولا تُحَرِّك من رأيته في هذا الزمان يسيِّب أو ساكناً ، فقد كانوا إذا حركوا ، يخرج من تحريكهم قطعة الذهب والجواهر ، وأما هؤلاء إذا حركوا لم يخرج إلا العظام وجهمومة الشاة » .

قال الأهدل : قوله : « يسيب » ، أي مثل به للعامي البليد ، البعيد عن فهم المعاني ، ولا يهمه أمر الدين . « وجهمومة الشاة » ، عظام رأسها .

وفي حديث : اطلبوا العلم ولو في الصين[1] . التعريف بالألف واللام للعهد ، والمراد هو علم مقامات الدين الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان . لقوله ﷺ لسيدنا عمر رضي الله عنه : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : هو جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم[2] . يعني إنه أتاني في صورة رجل يسألني ، وأنتم تسمعون جوابي له ، لتعلموا به أمر دينكم ، أي ما شرحته له في سؤاله عن كل واحد منها ، فإنها هي علوم الدين المعروفة في العلم

---

(١) رواه الخلال في العلل (٦٣ منتخبه) وابن عدي (٤/ ١١٨) وأبونعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٥٦) وابن عليك النيسابوري في الفوائد (٢٤١/ ٢) وأبو القاسم القشيري في الأربعين .

(٢) متفق عليه .

المذكور ، وما خرج منها فهو آلة لها ووسيلة إليها .

قال رضي الله عنه : « وقد هممنا بشرح حديث جبريل » . يعني هذا الذي فيه سؤاله .

قال رضي الله عنه : « فمنعنا عن ذلك ما رأينا من إعراض الناس عن ذلك ، وعدم رغبتهم فيه » .

قال الأحسائي : مع ما حث عليه رسول الله ﷺ من طلب علم الدين ولو في أقصى محل من الأرض ، وهو الصين أقصى المشرق ، ولا تبقوا جاهلين بعلوم دينكم .

أما علم الإسلام ، فهو علم الفقه المعرف للأحكام الشرعية ، وهي مباني الإسلام الخمسة وما تفرع منها من السنن ، وهي التي قال الله يعنيها : ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وهي هذه : الصلاة والزكاة والصوم والحج ، هذا الفروع الأربعة ، والخامس أصلها : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ثم قال : ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل . يعني النوافل من كل واحد منها بعد إحكامها .

ثم علم الإيمان ، وهو علم العقائد المعرف للأمور الإيمانية ، معرفة ما يجب اعتقاده مما يجب لله ، وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه .

ثم علم الإحسان ، المعرف لصفات القلب المعنوية المحمودة ، المنجيات بعد محو أضدادها المهلكات ، على ما أشار إليها في جملة الإحياء ، على ما نقلنا عنه من كتاب الغرور .

وجملة الثلاثة هي علوم الدين المعرفة بآلة التعريف ، وما عداها من العلوم خادمة لها .

قال رضي الله عنه : « الإسلام مجرد عمل فقط ، والإيمان مجرد علم وتصديق ، والإحسان مشترك بينهما . والأول في الجوارح ، والثاني في القلب ، والثالث فيهما . والأول ظاهر الثاني ، والثاني باطنه ، والثالث خالصهما ، وهو الغاية من الإسلام والإيمان ، إذا اجتمعا صارا إحساناً » .

قال رضي الله عنه : « وفي الحديث حثٌّ على طلب العلم ، وعلى تكرير المعلم على المتعلمين ليرسخ حفظهم ، وعلى تخصيص أكمل الحاضرين بالخطاب » .

قال رضي الله عنه : « الطريقة التي تذكر إنما هي طريقة باطنة ، وهي العقائد والأخلاق ، وإنما مَثَّلَ لها بالطريق الظاهرة لتعقل وتفهم » .

قال رضي الله عنه : « الحقائق إذا تبعتها طرائق سلمنا لصاحبها ، وإن كان حقائق بلا طرائق فإنما هي أخت الزندقة ، والشريعة علم والطريقة عمل والحقيقة ثمرة ، وكل من الثلاثة قسمين ، ولا عليك من فروعها ، فإن عملت ظاهراً فثمرتك ظاهرة ، وإن عملت باطناً فثمرتك باطنة ، ومن أظلم قلبه عمل بالمعاصي وهي ثمرته ، وكان الشيخ عبدالله العيدروس يمثل للشريعة باللبن ، وللطريقة بالزبْد ، وللحقيقة بالدهن ، والزبد هو الدهن بعينه ، ولا فرق بينهما إلا أن يطبخ الزبد ويكبس وصار دهناً » .

قال الأحسائي : يشبه مادة هذا الكلام لما مر في الدرس حديث جبريل .

قال رضي الله عنه : « من تأمل أحوال الصحابة وتوقفهم في الأمور عما لا يعني عرف آداب الرجال ، وآداب العلم ، وآداب الأئمة ، وعرف ما ينبغي أن يستكثر منه من العلم ويستقل منه ، وما يُظهر منه وما يكتم ، انظر كيف لم يسألوا النبي ﷺ عن الرجل الشديد بياض الثياب من هو ؟ ومن أين جاء ؟ حتى ابتدأ بنفسه ، وحكاه لعمر بعد مدة ، ويعرف من ذلك منع الإخبار عن الشيء قبل وقته ، وإذا جاء الوقت أَخبر من غير سؤال ، وكيف لم يسألوا المرأة التي طلبت أن يقام عليها حد الزنا عن الرجل الذي أتاها ، وهل هو بغصب أو برضا منها ونحو ذلك » .

قال الأحسائي : قوله : « يعرف من ذلك منع الإخبار عن الشيء قبل وقته .. الخ » ، أي كما قال الخضر لموسى عليه السلام : فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . وقوله بعد مدة ، وذلك بعد ثلاثة أيام كما بين ذلك في حديث سيدنا عمر في هذا ، حيث قال : فلبثت ملياً فتبين ذلك في رواية أنه ثلاثة أيام .

وما ذكر من آداب الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الله سبحانه لما اختارهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ألهمهم كمال حسن الأدب اللائق منهم لرسول الله ﷺ ، وعلمهم إياه ، وما فوق أدبهم إلا أدب الأنبياء عليهم السلام .

الحديث رقم (٤)

قال ﷺ: « رَحِمَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاها كَمَا سَمِعَهَا » .

قال رضي الله عنه : « من أتانا قاصداً الإنتفاع ، فليسمع ما نقول ، ويفهمه ويصدِّق به ويَصْدُق فيه إذا نقله إلى أحد ، لكن مع فهم القيد لقوله ﷺ : رَحِمَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاها كَمَا سَمِعَهَا ، الحديث [1]. وللوارث حكم الموروث ، والنّبي ﷺ ما ورَّث إلا العلم ، وما كان له من ذلك مطلقاً كان لورثته مقيّداً ، وإذا أخذ النَّاس من ذلك بسهمٍ أخذنا - أي ورثته - منه بسهمين ، سهمٌ من جهة العلم ، وسهمٌ من جهة النَّسب . وإذا سمعتَ شيئاً فانقله بحروفه على أصله ، خصوصاً ما كان عن أهل الدِّين ، لأنهم طرائق إلى رسول الله ﷺ » انتهى .

قال الأحسائي : قوله : « فليسمع » أي يلقي باله لسماعه بتمامه على وجهه بلفظه كما قال : « بحروفه » ، ويفقهه ويصدّق به بلا شكٍّ فيه ، ويصدق بنقل لفظه المؤدِّي لمعناه الذي أراده بلا زيادةٍ فيه ولا نقصٍ منه ، وهو معنى قوله : « على وجهه » ولا يكون ذلك إلا بفهم قيوده وفحوى ما جرَّ الكلام لأجله .

وقوله في الحديث : « فوعاها » أي حفظها ، يعني المقالة بقيودها ، فإذا « أدَّاها » أي بلَّغها لمن سمعها منه « كما سمعها » أي بقيودها .

وقول سيدنا : « وللوارث حكم الموروث » يعني كما شرط النَّبيُّ ﷺ في نقل كلامه أن يفقهه على وجهه وبقيوده وأن يؤدّيه كما سمعه أيضاً بتمامه وعلى وجهه وبقيوده ، فكذلك أيضاً اشترط في نقل كلامه لأنَّه وارثٌ للعلم عن النّبي ﷺ ، فلكلامه حكم كلامه في تلك الشُّروط ، فللوارث حكم مورِّثه فيما يتعلَّق بأوامره ومناهيه وأحكامه ، لأنَّها كلّها أحكامٌ شرعيةٌ لا

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده .

اختلاف فيها ، والمتأخِّر مجدِّدٌ ومقرِّرٌ للمتقدِّم ، ولذلك قال : « خصوصاً ما كان عن أهل الدِّين » ، لأنهم طرائق إلى رسول الله ﷺ .

وقوله : « والنَّبي ما ورَّث إلا العلم » لقوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لا نورَث » ، وفي رواية : « لا نورِّث ديناراً ولا درهماً ، ما تركناه صدقة »[١] ، يعني فما ميراثهم إلا العلم ، كما قال أبو هريرة لما حدَّث في مسجد رسول الله ﷺ - وكذلك حدَّث فيه غيره - وفَقَدَ وقت التَّحديث أناساً ما حضروا سماعه فراح إليهم إلى السُّوق ، فقال لهم : هناك ميراث رسول الله ﷺ يقتسم وأنتم قاعدون هنا . فراحوا يتراكضون يحسبون أنَّ هناك مالاً ، وما مراده لهم إلا سماع الحديث والعلم .

وما ذكر من الإرث في العلم والأسهم منه ، فالإرث هنا بالقسمة الإلهيَّة إذا خصَّت أحداً منه بشيءٍ من ذلك قلَّ أو كثر حصل لا بالنَّسَبِ والسَّبَبِ كالمال ، وقد يقسم بها من الجهتين - أي جهة العلم والنَّسَب - بقدر ما قَسَمَ منهما لمن قُسِمَ له ، كما قال : « وإذا أخذ النَّاس » أي من قُسِمَ له من ذلك - أي من العلم - بالقسمة المذكورة بسهمٍ واحدٍ ، « أخذنا » نحن يا ورثته بتلك القسمة « بسهمين » من الجهتين ، وهذا له خصوص .

ونسبة النَّسب شرعيَّة : هو تخصيص الورثة حكم الشَّرع ، كلُّ طبقةٍ بسهمٍ معلومٍ من الإرث ، من الرُّبع والثُّلث ، وضِعفُ كلٍّ ونصفه . والجهة الأخرى : حقيقيةٌ وهبيَّةٌ .

ولسيِّدنا وأمثاله من أهل البيت النَّبوي أكبر الأسهم وأوفرها وأكثرها من الجهتين ، وما أحسن قول الأبوصيري[٢] - صاحب البردة[٣] والهمزيَّة[٤] - شاهداً في ذلك في قصيدته الدَّاليَّة[٥] التي مدح بها الشَّيخ أبا الحسن الشَّاذليَّ[٦] وتلميذه أبا العبَّاس المرسي[٧] ، حيث يقول فيها :

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ، والطبراني في الأوسط .

(٢) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، تُوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ ، عن عمر بلغ ٨٧ عامًا .

(٣) قصيدة البردة أو قصيدة البُرأة أو الكواكب الدريَّة في مدح خير البرية ، وشرحها عدد كبير من أئمة المسلمين واعتنوا بها اعتناء كبيراً .

(٤) التي أولها : كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاءُ .. يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ .

(٥) التي أولها : كَتَبَ المَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ .. بَغْضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الخُرَّدِ .

(٦) ولد ٥٧١ هـ ، وتوفي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب متوجهًا إلى مكة في أوائل ذي القعدة ٦٥٦ هـ .

(٧) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي المرسي ، ولد في مدينة مرسية في الأندلس عام ٦١٦ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٦ هـ ودفن في الإسكندرية .

يَـا وَارِثـاً بِالفَـرْضِ عِلْـمَ نَبِيِّهِ شَرَفـاً وَبِالتَّعْصِيـبِ غَـيرِ مُفنَّـدِ

أشار بهذا البيت إلى أبي الحسن أنَّه لأجل نسبه وَرِث من جهة النَّسب سهمين : فرضاً وتعصيباً . وذكرهما استعارةً لهما ، حيث إنَّ الإرث بالنَّسب الحسِّيَّ بهما خاصَّة ، لا يكون منه إرثٌ إلا بهما ، فذكرهما استعارةً للإرث المعنوي الذي هو إرث العلم والفضل الحاصل بالقسمة الإلهيَّة التي قد تُخصِّص من لا نسب له ، وتَحرُم ذا النَّسَب ، وقد تخصِّص ذا النَّسب بالإرث من الجهتين . وغير مفنَّد : أي غير مسفِّهٍ في دعوى ذلك حسّاً ، فكذلك في الكمال معنى ، ثم قال :

اليَـوْمَ أحمَـدُ مِنْ عَـلِيٍّ وَارِثٌ حَظَّـيْ عَـلِيٍّ مِـنْ وِرَاثَـةِ أحمَدِ

أشار بهذا البيت إلى أحمد أبي العباس المرسي ، أنَّه ورث من جهة العلم بتلك القسمة الإلهية من عليٍّ - وهو أبو الحسن - سهميه المذكورين : الفرض والتَّعصيب ، الحاصلين له ظاهراً بالنَّسب ، وإنما ذلك باطناً بتلك القسمة من وراثة أحمد النبي ﷺ .

فكذلك سيدنا أخذ بتلك القسمة الإلهيَّة من جهة النَّسب التي وَرِثَ منها أبو الحسن ما ورَّثه أبو الحسن ، وهما السَّهمان المذكوران : سهما الفرض والتَّعصيب . الفرض مع غيره من أهل الفروض ، والتَّعصيب ما اختُصَّ به العاصب بعد أخذ كلٍّ من أهل الفروض فرضه ، وهما من حيث أنَّهما من جهةٍ واحدةٍ ، وهي النّسب سهمٌ واحدٌ وسهمٌ آخر من جهة العلم . كما يحصل بتلك القسمة الإلهيَّة لغير ذي نسبٍ ، وهما السّهمان اللذان أشار إليهما من جهة النَّسب ومن جهة العلم .

وقوله : « ما كان له مطلقاً » أي علماً واسعاً في كلِّ شيءٍ لا حدَّ له في شيءٍ ، « كان لورثته مقيَّداً » أي خصوصاً لخصوصٍ في حدٍّ مخصوصٍ بحسب الخصوص من موسَّعٍ ودونه انتهى .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (٥)

عِنْدَ بِدْءِ الوَحيِ دَخَلَ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ : « أَيْ خَدِيجَةُ ، مَا لِي » وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، قال : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » ، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةَ : كَلَّا أَبْشِرْ ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، وَاللهِ ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ .. الخ .

قال الأحسائي : وكان يوماً طالعاً من الصالح إلى الحاوي ، وذلك بعد الإشراق يوم الجمعة ٢٤ جماد آخر المذكور[1] ، فسأل عن غريب قدم منذ يومين ، ظاهر حاله التجرد وتقليل الطعام ، حتى امتنع من الدخول مع الجماعة للعشاء ، ويصوم .

قال رضي الله عنه : « هل له قيام بالليل ؟ » .

قلت : ما رأيناه .

قال رضي الله عنه : « قلة الأكل ، وقلة النوم متلازمان » . قلت : وكثير من الغرباء عند مجيهم يعملون على هذا ، ولكنهم لا يثبتون عليه ، كما قصة فلان ، حيث أراد يدخل الأربعينية واستأذنكم في ذلك .

قال رضي الله عنه : « ليس ذاك الأربعينية المذكورة في طريق السابقين ، أوَ تريم فيها أربعينية ؟ وإنما هي أربعينية . كذا في طريق أصحاب اليمين ، وهذه الطريق ليس فيها أربعينية ، بل هي طريقة سهلة تفضي بالإنسان إذا واظب عليها باللحوق بأهل تلك الطريقة ، فربما حصل له في هذه الطريقة فتوح ، فالتحق بأهل تلك ، وليس فيها من طريقة السابقين إلا من كل شيء جزء يسير ، وهي طريقة سهلة ولا أربعينية فيها ولا مشقة ولا خطر ، وأما طريقة السابقين فهي مشقة وفيها أربعينية ، ولكنها مخطرة يخشى فيها حتى على أمور الدين ، من تغير القلب والعقيدة ، وكثير من الناس إذا رأوا شيئاً من ذلك خرجوا من الأربعينية . كيف وقد قال النبي ﷺ وهو

---

(١) سنة ١١٢٥ .

مؤيد بالوحي والعصمة : لقد خشيت على نفسي[1] » .

قلت : قال ذلك ، لما رأى الملك .

قال رضي الله عنه : « وهذا أيضاً ، ربما رأى الملك ، ملك الإلهام لا ملك الوحي ، وأيضاً النبوة فيها ملك وحي ، ولا سبيل للشيطان مع ملك الوحي ، وأما ملك الإلهام ربما حضر معه الشيطان ، وقريش إنما استنكرت من النبي ﷺ لما رأوه مخالفاً لهم ، وقالوا : نخشى أن يكون أصابه الشيطان ، وأرادوا ينظرون له طبيباً يداويه ، وأكثر ما يحصل التغير في الأربعينية لمن يدخلها بغير شيخ ، أو من غير امتثال ، ولا يليق بأهل هذا الزمان إلا هذه الطريقة السهلة دون الأخرى . وأين الناس اليوم ؟ وقد كان جاء إلى عندنا رجل يعمل لنفسه رياضات ، وأدخل نفسه الأربعينية ، ويزن القوت بالجريد الأخضر . فقلنا له : اترك هذا ، واعمل على تلك الطريقة السهلة ، فعل الأوامر الظاهرة والإقتصاد في العمل مع المداومة عليه . فأبى ، فقلنا له : تكذب في عملك هذا ، أنت ما بعد أحكمت طريقة أصحاب اليمين ، فكيف يمكنك سلوك طريق السابقين ؟ فسافر فتعوقت عليه الطريق ، حتى رجع نحو ثلاث مرات ، حتى تيسر له السفر فيما بعد . ونحن ما نتأسف على فعل الخير ، وإنما نتأسف على كلمة صدرت منا لأحد ، وكان يسعنا فيها العفو عنه والتجاوز والإغضاء ، ومنذ ابتدأنا إلى الآن ما أشهرنا أنفسنا بطريقة السابقين ، لا سابقاً ولا لاحقاً ، ولا سَلَكْناها بين الناس ، ولا سَلَّكنا فيها أحداً . وأين الزمان من الزمان ، والناس من الناس ؟ طالباً أو مطلوباً » .

قلت : فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ، ولا طريقة أصحاب اليمين ، فماذا يفعل ؟

قال رضي الله عنه : « يعمل على ما نحن عليه ، فما يرانا نفعله يفعله ، كما ترى من إقامة الصلوات وقراءة القرآن وترتيب الأذكار ، وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك . فهل رأيت أحداً دام على ذلك من علماء الحرمين أو غيرهم ؟ أو سمعت أحداً ينكر هذه الطريقة ؟ » .

قلت : لا .

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم : ١٦٠ ، والترمذي : ٣٦٣٢ ، ومسند الإمام أحمد : ٢٥٤٢٨ ، ومصنف ابن أبي شيبة : ٥٤٩٨ .

قال رضي الله عنه : « فهذه طريقة أصحاب اليمين ، وهي اللائقة . فينبغي أن يطلق لأهل الزمان طريق العموم ، لتعذر طريق الخصوص ، وإلا فكم واحد يظن بنفسه أنه مثل الشيخ عبدالقادر[١] ، وهو ما يكون مثل شوكة في رجله » .

قلت : فالطمع طبع ، أي يطمع في كل شيء أن يكون له منه الحظ الأوفر .

قال رضي الله عنه : « الطمع يكون في أمور الدين ، فإذا كان الطمع في أمور الدنيا مذموماً ، فكيف به في أمور الدين » .

❁ ❁ ❁

(١) عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني ، ولد في ١١ ربيع الثاني وهو الأشهر سنة ٤٧٠ هـ ، توفي ليلة السبت ١٠ ربيع الثاني سنة ٥٦١ هـ .

الحديث رقم (٦)

قال ﷺ : « اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » .

قال رضي الله عنه : « لو قلنا لك : اعط فلاناً ثيابك . خطر لك عشرون خاطراً من هذا القبيل ، وقد سكر كثير من الناس من الصوم حتى ملهم الصوم وما ملوه ، ولم يحصل لهم من ذلك ذرة ، لأنها قسم ومواهب لبعض العباد ، ألا ترى أن الإمام الغزالي[١] بعد ما ملأ الأرض علمًا ، لما جاء إلى بغداد وأراد أن يدرس ، امتسك لسانه عن التدريس من غير سبب ظاهر ، فهذا بأي سبب كان ؟ حتى قيل إن عيناً أصابت الإسلام ، والإمام النووي[٢] مع جلالته وكثرة علمه يثني على الصوفية ويستحسن أحوالهم ، ولكنه ما تصوف ، فماذا منعه من التصوف وهو يعتقد أنه الحق ؟ فاعرف بهذا إنما هي أقسام » .

قال الأحمائي : فقلت له : لكن يحصل نشاط فيما تأمرون به ابتداء دون ما تُستأذنون فيه .

فقال : « نعم ، يتوهم أنه يحصل له بذلك شيء ، وتلك الأشياء قد قسمت ، أما تسمع قوله تعالى : نحن قسمنا بينهم ، نحن قدرنا » .

قلت : فعسى ببركاتكم يحصل كمال الرضا بالقضاء . فقال : « قال النبي ﷺ : اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ[٣] » . أو كما قال .

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري ، ولد الغزالي عام ٤٥٠ هـ ، توفي يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ مدينة طوس .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ولد في نوى ف سنة ٦٣١هـ ، وتوفي سنة ٦٧٦ هـ .

(٣) رواه الترمذي ٢٦٧٩ .

الحديث رقم (٧)

قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيُّ شَيْءٍ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ ؟ » . فَقَالَ بَعْضُهُمُ : المِلْحُ ، وَقَالَ آخَرُ : النَّارُ ، فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ ، قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : « ذَلِكَ الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ [١] : « أي لأهله ، أو العلم الواجب من كيفية الصلاة والطهارة وأمور العبادات ، لأن العلم أنواع ، شيء يبذل لعامة الناس ، وشيء للخصوص ، كالمال ينقسم إلى جهات مختلفة، شيء منه لأهل الخُمُس ، والفيء ، وشيء للفقراء والمساكين ، وغير ذلك » .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الهندي في كنز العمال : ٢٨٦٧٠ ، وانظر كشف الخفاء والإلباس ٢ : ٨٧ .

الحديث رقم (٨)

قال ﷺ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوائِجكُم بالكِتمَانِ » .

قال الأحسائي : ولما شرح السيد الحبيب الجليل أحمد بن زين الحبشي[١] القصيدة العينيَّة وتأخَّر إتمامه ، قال رضي الله عنه : « لو لم يُظهره قبل تمامه لتيسَّر عليه وأتمَّه سريعاً ، وفي الحديث : اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُم بالكتمَانِ[٢] » .

ثم إنِّي ذكرت قوله ذلك للسيد أحمد في بعض مكاتباتي له ، فقال لي في جوابه :

« وما أشرتم إليه عنه من سبب تخلّف شرح العينيّة ، فقوله صدقٌ وكلامه حقٌ ، والخفَّة فينا موجودة ، والمراعاة منه حفظه الله إلى الغاية والنِّهاية بالرِّفق واللُّطف في الهداية إلى الصَّواب بالتَّعريض والتَّلويح ، لما يعلم منَّا من ثقل التَّصريح ، وهو كذلك كما نشهده نحن من أنفسنا ، والله يتولانا بما تولى به السَّالكين صراطه المستقيم بنعمته آمين » .

ولما ذكر سيدنا تخلُّف إتمام شرح العينيَّة ، وهو الذي جرَّ إلى كلِّ هذا الكلام ، قلت له : هل تخلُّف إتمام الفصول العلميَّة[٣] لهذا السَّبب ، حيث نويتم أن لا تظهروها حتى تتمَّ أربعين فصلاً ، فأظهرتوها قبل ذلك فلم تتم ؟

قال رضي الله عنه : « ليس تأخُّر إتمامها من هذا السَّبب ، لأنَّا وإن نوينا أن لا نظهرها إلا بعد تمام الأربعين ، فإنَّا إنما أظهرناها بنيَّة ، وأيضاً كلّ فصلٍ بمنزلة كتاب ، لأنَّه معنىً مستقل غير معنى الفصل الآخر ، وأيضاً إنَّما هي وارداتٌ ترد ، فمتى ورد شيءٌ أثبتناه ، إلا إنَّ هذا الزَّمان

---

(١) ولد أوائل عام ١٠٦٩ هـ بمدينة الغرفة ، وتوفي في التاسع عشر من شهر شعبان عام ١١٤٤ هـ وعمره ٧٦ .

(٢) مسند الروياني ١٤٤٩ ، واعتلال القلوب للخرائطي ٦٨٠ .

(٣) من مؤلفات الإمام الحداد .

ليس أهله أهلاً للواردات ، فبهذا السَّبب توقَّفت فيه ، فلم يرد منها شيء ، ونحن أعلم بأهل جهتنا منك ، فإنَّهم غافلون عن كلامنا ، وليس نرى عند أحدٍ منه شيئاً ، ومن كان معه منه شيء فربَّما أخذه ولم يفهمه ، وسكت ولم يسأل عنه » .

الحديث رقم (٩)

قال ﷺ: « مَا وَسِعَنِي أرضِي ولا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي قَلبُ عَبدِي المؤمِن » .

قال رضي الله عنه في قوله سبحانه في الحديث القدسي : مَا وَسِعَنِي أرضِي ولا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي قَلبُ عَبدِي المؤمِن[1] : « وَسِعَ معرفته ، وَحَمَلَ الأمانة التي عجزت عنها السماوات والأرض ، والقلب لا يضيق بكثرة المعلومات وإن كثرت ، وإنما تضيق أماكن الفراغ بما يكون فيها من الأجرام » .

قال الأحسائي : ولهذا صار عمله أبلغ من أعمال الجوارح بأضعافٍ . ومعنى كونها أمانة ، إنها أوامر ونواهي بين العبد وبين الله ، لا يطلع عليها إلا الله ، ولو غدر فيها وخالف لا يعلم به إلا الله ، كما إن الأمانة شيء فيه ذمته وأمانته بينه وبين ربه ، لو غدر فيها وخان لا يعلم به إلا الله ، ولا يقوم بهذا الأمر على وجهه من كل الوجوه إلا الكامل في التقوى ، ولذلك عظم شأن التقوى والمتقين عند الله ، وكانت هي وصية الله للأولين والآخرين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[2] ، والتقوى هي سلوك سبيل الشاكرين المذكورة المبينة بالهداية في الآيتين المذكرتين ، بين سبيلهما وأعطى من كلفه الإختيار في سلوك أيهما اختار ، وجعل الجزاء لهما في مقابلة الإختيار ، والله سبحان القائد لهما بلجام القضاء والقدر ، على حسب مراده للفريقين ، من شاء منهما بما شاء لأيهما ، كما شاء من الجزاء لهما من جزاء الخير لمن وفقه للطاعة وجزاء الشر لما خذله وقاده للمعصية .

❁ ❁ ❁

---

(١) الأسرار المرفوعة للقاري : ٢٦٠ ، وانظره في إتحاف السادة المتقين ، شرح إحياء علوم الدين ٧ : ٢٣٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٣١ .

الحديث رقم (١٠)

قال رَسُولُ الله ﷺ : « نِيَّة المُؤْمِن خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » .

قال رضي الله عنه : « إنَّ أعمال القلوب أبلغ من أعمال الجوارح ، لأنَّه قد يحصل الثَّواب على مجرَّد النية ، وإن لم يقترن بها عملٌ ولا عكس ، وكذلك القول في ضدِّه كما فصَّله الحديث : نِيَّة المُؤْمِن خَيْرٌ مِنْ عَمَله [١] » .

---

(١) كشف الحفاء ومزيل الالباس : ٢٨٣٦ .

الحديث رقم (١١)

قال ﷺ: « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِندَهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إلى سبعمائة ضِعفٍ إلى أضعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِندَهُ حَسَنَةً كامِلَة » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِندَهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إلى سبعمائة ضِعفٍ إلى أضعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِندَهُ حَسَنَةً كامِلَة [1] : « أي منعه الخوف من الله مع القدرة عليها ، فإن منعه العجز فعلى حسب نيَّته ، فإن كان عاجزاً عن ذلك ولم يتمكَّن منه وقد علم الله صدقه كُتِبَت كما ذُكِرَت » .

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري : ٦٤٩١ ، ومسلم : ١٦٧٢ ، والترمذي : ١٣٩٤ ، والنسائي : ٤٧٤٠ ، وأبي داود ٤٥٢٧ ، ومسند الإمام أحمد ١٦٣ : ٣ .

الحديث رقم (١٢)

قال رَسُولُ الله ﷺ : « إنَّ الخَير عَادَة » .

قال الأحسائي : وذكر الأعمال واحتياج الإنسان إلى فعل الخير ، وذلك يوم السبت ١٥ شهر رمضان سنة ١١٢٤ ، قال رضي الله عنه : « الجدُّ في الجدِّ ، والحرمان في الكسل[١] ، وإنَّ الله تعالى لا يترك عبده المؤمن في الخير من إحدى همَّتين : إما همَّة العادة أو همَّة الفتوح . فهمَّة العادة أن يكون يعتاد شيئاً من الخير فهو يفعله ويهتمُّ به لاعتياده له . والثَّانية يعرفها من حصلت له وذاقها . وقد جاء في الحديث : إنَّ الخَير عَادَة[٢] » .

قال الأحسائي : إنَّ همَّة العادة ناقصةٌ بالنسبة إلى الأخرى ؟

قال رضي الله عنه : « لا ، إذا لم تحصل لك تلك فلا تترك نفسك ، بل كلِّفها واحمِلها على فعل الخير بالتَّكلُّف لتعتاده ، وقد يحصل للإنسان شيءٌ من همَّة الفتوح ، فإذا باشر مفسداتها فسدت » .

قال الأحسائي : وما مفسداتها ؟

قال رضي الله عنه : « مجالسة الغافلين ، وترك الذِّكر ، وفضول الكلام ، وأكل الحرام ، والكذب وأمثال هذه . ولها أركانٌ إن حصلت استقامت وثبتت ، وإلا ذهبت وانمحقت » .

قال الأحسائي : وما ذاك ؟

قال رضي الله عنه : « أكل الحلال ، ومجالسة الصَّالحين ، والذِّكر ، وترك الخوض فيما لا

---

(١) القصيدة اللامية للصفدي ، التي أولها : الجَدُّ في الجدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ .. فانصبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ .

(٢) أورده ابن الخطيب في (الفقيه والمتفقه ، ١ : ٧) .

يعني » . أو قال : « فيما لا ينبغي » . أو كما قال انتهى .

قال الأحسائي : والأركان المذكورة آخراً ضد المفسدات المذكورة أولاً ، ولم يبيِّن همَّة الفتوح لأنها من العلوم الذوقية اللدنية التي لا يعرفها إلا من ذاقها ، ولا يجوز ذكرها لمن لا يعرفها ، وكلُّ تلك العلوم الذوقية لا يجوز ذكرها لغير أهلها كما أشار إلى ذلك في تلك المكاتبة ، وأهلها من يعرفها ويعيها ، وغير أهلها من لا يعرفها ولا يعيها ، كما قال : « إنما يعرفها ويعيها من هو من أهلها ، ومن ليس من أهلها لا يبقى في يده منها شيءٌ » .

فلهذا يُعزِّونها ويصونونها عن من ليس من أهلها ، وأيضاً لو ذكرت وفصِّلت لا يعرفها إلا من حصلت له ، فذكرها لمن لم يعرفها تعبٌ مجرَّدٌ ، ولو بُيِّنت غاية التَّبيين والتوضيح ما ازدادت إلا غموضاً ، ومثَّلوا لها كشهوة الوقاع لو ذكرت للصغير وفُصِّلت لا يفهمها ، فإذا بَلَغَ عرفها من غير تعليمٍ ، فكذلك تلك العلوم المذكورة لمن لا يعرفها ، فإذا فتح الله على عبدٍ بمعرفتها عرفها من غير تعليمٍ ، كالطفل الذي لم يدرك مقادير الأعداد ، فإذا كَبُرَ عرفها من نفسه من غير أن يعلِّمه أحدٌ .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (١٣)

قال رَسُولُ الله ﷺ : « دِينُ الله الوَسَط ، لا غُلُوّ ولا تَقْصِير » .

قال رضي الله عنه : « كلَّما نأمركم به ونحثُّكم عليه إنَّما نريد به الوسط ، وفي الحديث : دِينُ الله الوَسَط ، لا غُلُوّ ولا تَقْصِير » .

قال الأحسائي : أراد سيدنا بقوله هذا أن يقابل الشّيء بضدِّه ، فإنَّ كلَّ ما أفرط الطَّبع وما تهواه النَّفس في طلب شيءٍ ، بالغ الشَّرع في طلب ضدِّه جداً ، لعل أن يحصل الوسط المعتدل الذي هو المقصود ، فإنَّ النفس كل مطالبها حظوظٌ دنيويةٌ لا حقَّ لله فيها ، والشَّرع أراد من كلِّ الخلق تجريد القصد في الأفعال كلها لله ، لا يلاحظ فيها هوى النفس في أقلِّ قليلٍ كَمُلَ لهم القيام بحقوق الله . فإن كل ما للنفس فيه حظ وجرَّد القصد له ، لا حق لله فيه وإن قصده أيضاً ، فاختلفوا فيه فمن قائلٍ : له بقدر قصده ، ومن قائلٍ : لا شيء له ، فإنَّ الله سبحانه جَبَلَ كلَّ الخلق على الميل لما تهواه نفوسهم ، ثم أرسل إليهم شرعه على يد رسوله يدعوهم من الميل إلى أهوية النفوس بالكلية ، إلى تجريد القصد كله لله سبحانه ، ليتحقق منهم كمال تحقيق العبودية للربوبية .

كما قال رضي الله عنه : « ما بعث الله الرُّسل إلى الخلق إلا ليدعوهم من الدنيا إلى الآخرة » ، فوفَّق الله لكمال ذلك - أعني ما دعت إليه الرسل - من أراد من الخلق ، ومنهم دون ذلك ومنهم أيضاً دون ذلك ولهذا اختلفت درجاتهم عند الله وعند خلقه ، وفي الدُّنيا وفي الآخرة بحسب اختلافهم في درجات التَّقوى التي هي مخالفة أهوية النَّفس الذي دعتهم إليه المرسلون . ومثال ذلك لما أن أفرط الطبع العامِّي في طلب الأكل بالغ الشَّرع في خلافه ، وحثَّ الطَّبع الخاصِّي على موافقة الشرع في مجاهدة نفسه في تركه إلى الغاية حتى ربَّما اكتفى بلقمتين أو ثلاث ، وربَّما عند ذلك فتح الله عليه بما يُسَلِّيه ويُغنِيه عن الأكل ، وجعل لذَّته عن ذلك في العبادة دونه

كالملائكة إذ غذاهم الذِّكر ، ويكون ذلك إن كان عند الله من الخواص .

الحديث رقم (١٤)

قال رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ .. الخ » .

قال الأحمدي : ورأيت في ترجمة سيدي إبراهيم الأعزب[1] أنه قال لأصحابه : نريد نسلبكم أحوالكم في الدنيا ونردها لكم في الآخرة .

قال رضي الله عنه : « ولعل ذلك بسبب تذبذبهم » . فقلت له : فما ينفع عمل لا ذوق فيه ولا حضور ؟ أعني إذا سلبوا الأحوال فلا ذوق ولا حضور في الأعمال .

قال رضي الله عنه : « ليس ذلك إليك ، ويكفيك ما ضربه رسول الله ﷺ مثلاً لليهود والنصارى مع المسلمين » انتهى .

قال الأحمدي : يعني في حديث الصحيحين : إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ . ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً ، قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّهُ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ[2].

فشاهدنا في هذا الأخير : أن ذلك الزائد في العبادة المضروب لها المثل بالعمل ، من المعارف والأذواق واللذة ونحوها ، المضروب لها المثل بالفضل الذي يعطيه من شاء ، زائداً على أجر

---

(١) توفي سنة ٦٠٩ هـ .

(٢) البخاري : ٢١٤٩ ، ومسند الإمام أحمد : ٤٤٩٤ ، ومجمع الزوائد : ١٨٢٢١ ، والترمذي : ٢٨٧١ ، والمعجم الصغير للطبراني : ٥١ ، والأوسط : ٤٩٨ ، والبيهقي : ١١٣١٦ ، ومصنف عبدالرزاق : ٢٠٥٦٥ .

العمل . إن ذلك الزائد ليس متعلقاً بالعمل وإنما حد أجر العمل الحسنات الموعود بها ، من عشر وسبعمائة والأضعاف التي فوق ذلك ، بحسب المشيئة المضروب لها المثل بالقيراطين في مقابلة القيراط الواحد للأمتين ، على أن القيراط الثاني ولو أنه مذكور في الشرط فهو أيضاً زيادة فضل منه ، بكثرة الجزاء على قلة العمل ، في مقابلة ما أعطى الأمتين من القيراط الواحد على عمل أكثر من عملهم .

وفضل ربك كذلك لك ذلك أيها المحمدي على عملك ، فما زاد لك عليه من المعارف والأحوال والأمور الباطنة ، أيضاً لك زيادة على الآخر الذي وعدك ، على أنه قد قيل إنه من جزاء عملك عجل لك في الدنيا ، حتى قالوا : لا ينبغي العمل بقصد حصول ذلك ، لكونه حظاً معجلاً ، ولا يلزم ذلك من العمل ، وليس من لازمه حصوله ، إلا إن تفضل به الرب سبحانه ، فإنه فضله يؤتيه من يشاء ، ولذلك مثل به سيدنا وقال : « يكفيك ما ضربه رسول الله ﷺ لليهود والنصارى » ، ومراده هذا المعنى ، لأنه فضل آخر زيادة على ما وعدك من زيادة الأجر والجزاء ، أو مثل مدة الدنيا إلى يوم القيامة بمثل يوم واحد ، وأن مدة اليهود كنصفه مثلاً لكثرة عملهم وقلة جزاهم ، والنصارى كربعه فعملهم أقل والأجر واحد .

وهذه الأمة أقلهم مدة ، وهي أقل من الربع ، من العصر إلى المغرب ، والأجر مضاعف في العامة على المشروط في الخواص ، مضاعف إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، مع المعارف المذكورة كل على حسبه وحسب وهبه ، ومدة عمل الصنفين من هذه الأمة إلى تمام اليوم الذي المراد به يوم القيامة ، فافهم هذه التماثيل بهذه الأمور لتعرف أن الذوق في العبادة والتلذذ بها ، والأحوال الشريفة التي أشار إليها من ذاقها بقوله : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه في الليل إنهم لفي عيش طيب . وقول الآخر : منذ أربعين سنة ما غمني إلا طلوع الفجر . إن ذلك ليس من لازم العبادة ، ولا من كسب الإنسان ، بل ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء ، فقد يؤتيه على العمل اليسير ولا يؤتيه على العمل الكثير ، فمن أوتيه فليحمد الله ، ومن حرمه فليسلم أمره إلى الله ، ويرضى بما قسم الله ، ولا يسخط قضاء الله ، فكما أن الله سبحانه خص هذه الأمة بالأجر الجزيل على العمل القليل ، وما أعطى أولئك على العمل الكثير إلا الأجر اليسير ، ثم إنه سبحانه أعطى كلا على عمله كما وعده وما نقص مما وعد شيئاً ، وزيادة لهذه الأمة عليهم من زيادة الوعد بالأجرة والزيادة على ما وعد ، ومن زيادة المعارف وغير ذلك ، كل ذلك فضل منه لا لمجرد العمل ، فيفهمك هذا من ضرب الأمثلة وما ذكر معها ، أن ذلك

فضل منه سبحانه أعطاه على القليل ، وقد منعه أولئك على الكثير ، كما هو مجرب يراه العامل من نفسه في وقت دون وقت .

الحديث رقم (١٥)

قال ﷺ : « يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ الله يحفَظكَ ، احفَظِ الله تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ الله ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن بالله ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ الله لَكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ .. الخ » .

قال رضي الله عنه في حديث ابن عباس الذي فيه: واعْلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ[1] : « أي غير مُستقلين بذلك ، بل سعوا فيه ، ووافق القدر في حصوله ، فالإيمان بالقدر إجمالاً واجب ، فلا يُحتج به في فعل معصية أو ترك طاعة ، فإن هذه بدعة وهي تضر بالعامة ، وهي حجة لا تنفع ، يحتجون بقَدَرِ الله ، فالإيمان واجب ،وبعد ذلك إذا أَصَبْتَ معصية تب منها واعمل الطاعة وأنت مع ذلك تؤمن أنها بِقَدرِ الله » .

قال الأحائي : وفي مخاطبته للسيد زين العابدين العيدروس في مجلسه عنده ، وذلك مجلس أنيس فيه مذاكرات ، وملآن بذكر أخبار عن أناس صالحين ، ومن جملة كلامه فيه : ذكر حديث : احفَظِ الله يحفَظكَ . قال رضي الله عنه : « أصل أن تحفظ الله في أوامره ونواهيه ، وما له عليك من الحق ، يحفظك في كل شيء » .

وكان ذلك بعد ظهر يوم الأربعاء في ٧ ربيع أول ١١٣٢ ، وهو عام وفاته ، وكان عادة السيد زين العابدين يجيء للقراءة يوم الثلاثاء ، فحصل له مانع عن المجيء إذ ذاك ، فجاء في اليوم بعده انتهى .

❁ ❁ ❁

---

(١) سنن الترمذي : ٢٥١٦ ، ومسند أحمد ١ : ٢٣٩ .

الحديث رقم (١٦)

قال رَسُولُ الله ﷺ: « إنَّ النُّورَ إذَا دَخَلَ القَلْبَ انْشَرَحَ لَهُ وانْفَسَح » .

قال الأحباني : وحضر بعض العامة من الفلاحين مجلس سيدنا عبدالله الحداد نفع الله به ليلة الجمعة ، وقت الذكر ، وكان ذلك الرجل قد تفقر ، فتحرك فعاتبه سيدنا ولامه على ذلك ، فقال له : « أنت على طريقة العيدروس أو طريقة ابن علون ؟ » . فقال : بل على طريقة العيدروس . قال : « فلم تتحرك ؟ » . فقال : لضيق يحصل في قلبي .

قال رضي الله عنه : « هذا من الشيطان ، لأنه يضيِّق القلب إذا دخله ، وأما الحق فإنه يوسع القلب ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[1]، وقال ﷺ : إنَّ النُّورَ إذَا دَخَلَ القَلْبَ انْشَرَحَ لَهُ وانْفَسَح[2] . فإذا حصل عليك مثل ذلك ، فليقرأ عليك أحد شيئاً من القرآن ، وإلا فقم امش خطوات ، والعامي الذي لا يعرف الطريق يدخل الشيطان في صدره ، والشيطان إذا دخل القلب لم يرد أن يبقى من الانسان للحق بقية .

وقد ذكر ابن عربي[3] : أنه حضر محضراً فيه سماع ، قال : وكان في المجلس رجل صالح مكاشف يعتقده الحاضرون ، فبينما هم كذلك ، إذ به يقول : إن الشيطان دخل إلى الحلقة ، وأنه دخل في صدر فلان . فما تم كلامه حتى قام الرجل الذي ذكره يستوجد » انتهى .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٢٢ .

(٢) الأربعين للنيسابوري : ٢٢ ، وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي : ٣٣٥ .

(٣) محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي ، توفي في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨ هـ ، ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق .

الحديث رقم (١٧)

قال ﷺ : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .

قال رضي الله عنه في قول الحديث : وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا[1] : « الحسنة المعروفة ، المكفرة لجميع السيئات ، هي التوبة النصوح الصادقة بجميع شروطها ومعتبراتها ، إن أُتْبِعَتْ بحسنة من جنسها بعد أن يكفرها فذلك أحسن ، وإلا فقد أتى بما عليه » .

وعند قوله : وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، قال رضي الله عنه : « إن أتبعت بحسنة من جنسها يعني بحسنة من عضو السيئة التي عملها به » .

❋ ❋ ❋

---

(١) جامع الترمذي : ١٩٠٦ ، وسنن الدارمي : ٢٧٠٥ ، ومسند الإمام أحمد : ٢٠٨٨٣ ، والمستدرك : ١٦٤ ، مختصر الأحكام : ١٤٤٢ ، والبحر الزخار بمسند البزار : ٣٤٣٠ .

الحديث رقم (١٨)

قال رَسُولُ الله ﷺ: « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً [1] : « يعني لأن المجلس لا يخلو أن يكون معمور بحرام أو فضول في الغالب ، فإذا لم يحصل ذكرٌ يكفِّر ذلك ، كان عليهم تِرة وحسرة على فعلهم » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٥١٥ .

الحديث رقم (١٩)

قال ﷺ : « فَازَ الـمُخِفُّونَ » .

قال الأحمدي : ولما خرج لصلاة العصر ٩ شهر رمضان المذكور[1] ، وجلس في الضيقة سكت ساعة ، ثم ذكر حديث : ذهب المفردون بالأجر . ثم ذكر حديث : فَازَ المخِفُّون[2] .

ثم قال رضي الله عنه : « ليس مراده عليه الصلاة والسلام في هذا ولا في غيره أمر الدنيا ، وحاشا من ذلك ، ولكن إذا أخذ اللبيب من كلام نبيه ﷺ معنى لأمر دنياه فلا حرج عليه ، وما في شيء من أمور النبوات من أولها إلى آخرها أن أمر المعاش أصل في شيء أبداً ، وإنما هو عارض ، وإنما بعث الله الأنبياء ليدعوا من جعل أمر المعاش أصلاً إلى الله » .

قلت : ومعظم الناس مع ذلك جعلوا أمر المعاش اليوم ، هو الأصل الذي عليه المعول ، وغيره تبع له .

قال رضي الله عنه : « ولهذا بعث الله الأنبياء ، ليدعوهم من الدنيا إلى الآخرة » .

قيل : فهو مع ذلك يضطر إليه جداً .

قال رضي الله عنه : « نعم ، لهذا مَيَّزَ الله سبحانه بين المخلوقات ، وفضل بعضها على بعض ، وإلا لاشتبهت الملائكة وبنو آدم والدواب ، لا فضل لشيء منها على آخر ، فلو لم يضطر الحيوان إلى المعيشة لاشتبه المخلوقات ، وقد أحوج الله الناس بعضهم إلى بعض في جميع حرفهم ، ليعمروا الدنيا وينتظم أمر المعاش إلى حين » .

---

(١) سنة ١١٢٨ .

(٢) رواه الحاكم وصحح إسناده (كشف الخفاء والإلباس) ٢ : ١٠٩ .

الحديث رقم (٢١)

قال ﷺ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (١) : « وهذا يقتضي عدم الحسد والبغض ونحو ذلك ، تعتقد هذا في قلبك وما عليك من فعل الله ، أن لا يكون فعله لك أو له ، أو لواحد دون الآخر » انتهى .

قال الأحسائي : تقدم أن القاعدة المطردة ، أنه مهما ذُكِر لفظ المؤمن والإيمان في القرآن والحديث ، أن المراد به الإيمان الكامل والمؤمن الكامل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ (٢) ، وهذا الحديث المذكور ، وليس كل المؤمنين كذلك ، ومن أقر بلسانه وصدق بقلبه وإن لم يكن على ما وصف من هذا الوصف ، لا نخرجه من دائرة الإيمان ، بل هو من المؤمنين المتحقق إيمانهم ، وفي الآخرة درجاتهم متفاوتة انتهى .

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري ١ : ١٠ ، ومسلم (كتاب الإيمان) ، والترمذي ٢٥١٥ ، والنسائي ٨ : ١١٥ .

(٢) سورة الأنفال ، الآيات : ٢ - ٤ .

الحديث رقم (٢٤)

قال ﷺ : « إِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيكَ طَرِيقَان ، فَاسْلُكْ أَيْمَنَهُمَا » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيكَ طَرِيقَان ، فَاسْلُكْ أَيْمَنَهُمَا[1] : « هذا إذا كان كل منهما يسلك بك مقصداً واحداً ، فاشتبه عليك الأقرب منهما ، فأما إذا تحققت أن أيسرهما هو الطريق الأبعد أو الأقرب فاسلكه » .

❁ ❁ ❁

(١) مسلم : (المساقاة) ، وابن ماجة : ٢٣٣٩ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٤٢٩ ، والبيهقي ٦ : ٦٩ .

والشرع لم يزل يذم ما تستحسنه النفوس القاصرة ، حتى إن الشهادة بمقتضى الهوى كما صديقه وعدوه لا تقبل شرعاً ، وكل هذا الأمور وأمثالها من عيوبه لا يراها من نفسه ، ويرى كل ذلك من غيره ، وفي الحديث إخباراً عن الطبع الجبلي العام : يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ، ولا يرى الجِذْع في عينه[1]. والقذاة : كناية عن العيب الصغير يراه ويدركه من غيره . والجذع : كناية عن العيب الكبير يخفى عليه من نفسه ولا يدركه منها لعدم إنصافه ، ولو أنصف لعكس ، فرأى كل ما منه سيئاً وتقصيراً ، وما من غيره إذا لم يحرم حسناً واحتياطاً ، لكن إذا قام الهوى اضمحل الحق ، وبالعكس إذا غلب الهدى ساء ظنه بنفسه ، ورأى كلما منها خلافاً وتقصيراً ، وبقيام الهوى يظهر الردى ، وباضمحلاله يظهر الهدى ، وكان الأولى والأوجب والمطلوب اتباع الهدى والحق والإنصاف ، سواء كان لك ومنك أو عليك ومن غيرك لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2] .

وفي الحديث الذي ذكر فيه المؤمن مرآة أخيه على ذلك التأويل المتقدم : أي حيث كان من طبع الآدمي ألا يرى العيب الذي فيه ، ويراه إذا كان في غيره ، فإذا كان فيه وفي غيره فيراه في الغير ولا يراه في نفسه . شبَّه الغير بالمرآة التي ترى فيها الصور والألوان ، فإذا كان في وجهه لون لا يراه ، فنظره في المرآة رآه فأزاله عن وجهه ، فكذلك إذا رأى عيبه في غيره ، فينبغي أن يزيله عن نفسه . كما قيل لبعضهم : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، لكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته .

وقوله : « والإنسان لا يعذر نفسه ، إنما يعذره غيره » ، يبين ما ذكرنا من كون إنما المطلوب أن يساير غيره ويعذره على الشرط المذكور ، لا أن يساير نفسه ويعذرها ، فإن هذا فهم الجاهل المغتر ، وفعله بمقتضى فهمه القاصر ، وهو شأن الجاهلين البعيدين من العلم والتقوى ، وهو كمن سمع فضيلةَ مَن فَطَّر صائماً فله من الأجر كذا ، فصام هو وفعل لنفسه فطوراً وفطر نفسه ، وادعى أنه فطر صائماً ، وظن أنه أصاب المراد ، وليس كذلك انتهى .

❁ ❁ ❁

(١) رواه ابن حبان .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .

الحديث رقم (٢٩)

قال ﷺ : « اهْتَبِلُوا العَفْوَ عَنْ عَثَرَاتِ ذَوي المُرُوات » .

قال رضي الله عنه في حديث : اهْتَبِلُوا العَفْوَ عَنْ عَثَرَاتِ ذَوي المُرُوات . وفي رواية : أَقِيلُوا ذَوِي الهَيئاتِ العَثَرَات[1] : « معنى اهتبلوا : اغتنموا . وهذا إذا كان إنما يعثر نادراً ، وأما إذا كثر منه العثار فليس من ذوي المروات ، فلا يقال كل حين » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده صاحب كنز العمال : ١٢٩٧٨ و ١٣٤١٩ . وفي رواية (أقيلوا ذوي العثرات) ، أخرجه أبو داود : ٤٣٧٥ ، واحمد بن حنبل في المسند ٦ : ١٨١ ، والبيهقي ٨ : ٢٦٧ ، والدارقطني ٣ : ٢٠٧ ، وابن حبان : ١٥٢٠ .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، وجاء أنهم ثلاثمائة ينزلون على الإنسان في هذين الوقتين في الصلاتين ، فينزل عليه في صلاة العصر ثلاثمائة ، وهم حفظته بالليل ، وينزل عليه في صلاة الصبح ثلاثمائة ، وهم حفظته بالنهار ، فيسألهم سبحانه وهو أعلم بهم : ماذا تركتم عبادي ؟ فكل من الحَفَظَيْنِ يقول : أتيناهم وهم يصلون ، وفارقناهم وهم يصلون . قال العلماء : وفي السؤال وطلب ذلك الجواب منهم تذكيراً لهم ، لقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[2] ، وتبكيتاً عليهم بسبب قولهم ، ولأجله يباهي بالمؤمنين الملائكة في كل اجتماع على عبادة ، من اجتماعهم في جمعة أو جماعة أو وقوف بعرفة أو اجتماع في الجهاد في سبيل الله أو في ذكر الله وغير ذلك .

فأشار كلامه إلى الفهم أن معنى المصافحة لموافقة نزولهم ، أي قرب نزولهم ، فإن نزولهم في حالة الصلاة ، والمصافحة بعد الصلاة والأذكار الثلاثة والدعاء . وفي سؤالهم وجوابهم أيضاً تنويه بذكر المؤمنين عند الملائكة ، يعني فانظروا ما ترون من عبادتهم مع كثرة الصوارف لهم عنها ، التي أنتم سالمون منها من الشهوات والأهوية المركبة فيهم ، فعباداتهم مع ذلك أمكن من عباداتكم ، إذ أنتم سالمون مما اعتراهم ، فقد رأيتم عباداتهم وعرفتوها الآن .

وهنا أمر عجيب وأمر غريب ، ومعنى دقيق ينتج عن الفهم البليغ الصافي ، يدل على وسع تبحر علم سيدنا في فهم علوم الكتاب والسنة ، ودقائق عمله بهما في فحصه وغوصه على اتباع آثارهما والإهتداء بهديهما ، وهو أنه رضي الله عنه ولو أنه كان كثير الإستعمال للطيب في أكثر أوقاته ، بل هو طيب معنى وحساً بتطييب الله له في طهارة وطيب أهل البيت النبوي الطيبين الطاهرين ، وما خصه الله به من الطهارة والطيب وراء ذلك ، ولكني أراه يخص التطيب في هذين الوقتين خاصة أكثر من غيرهما ، أعني لصلاة العصر وصلاة الصبح ، فلا يخرج إليهما إلا متطيباً ، وفيه كما ذكر من وصف النبي ﷺ ، أنه كان يرى بعض الطيب من مفرق رأسه ، فإنه يرى أثره عليه كثيراً .

❁ ❁ ❁

(١) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

الإنفراد ، وقد أعفاه هذا في مسيره ، لكنه رآه أنسب في المسير معه من غيره .

ومعنى القصتين الأوليتين ، نسبة الأمور الخارقة إلى الله ، وإنه تعالى يفعلها لهم حين يريد ، لا حين يريدون ، وقد يدركونها بذِكْرِهِ وطاعته ، حيث يَكْمُلُون في معرفته ، حيث قال قطب الدين : ما مشيت على الماء إلا بِذِكْرِ الله . وإن القاصر في المعرفة قد يتوفق معهم في الأمر الخارق كرامة لهم ، وإنه لمكان نقصه في المعرفة قد يتخلف عن موافقتهم في ذلك لنقص عبادته عن عبادتهم ، كما أن ذلك المريد قال : ذكرت الله ، فغرقت . وقصة سهل ، وكان صاحب كرامات ظاهرة أراد الله نجاته على يد ذلك المؤذن ، ستراً له عن إظهار أمر خارق على يديه ، مع حصول مقصود النجاة ، وفي كل ذلك نسبة الأمور إلى الله من عبادة وكرامة ، كما تدل على ذلك أيضاً قصة باجبير ، وقد سمعتها من سيدنا غير مرة ، ورأيتها أيضاً مكتوبة بهذا اللفظ ، أنه أمره سائراً في طريقه بالإفطار من صيامه وعالجه ، وذكر له لفظ الحديث المذكور ، ومع كل ذلك يأبى وبقي على صيامه ، فلمخالفته سلط الله عليه شدة العطش ، فلما صعد المعجاز ، وهو جبل يمر عليه المار من هذه الطريق ، وتسمى طريق المعجاز ، فلما رأى السقاية لم يتمالك ، ووقع كالمغشي عليه ، فشرب ماء كثيراً حتى تقيأ ما شربه .

والمعنى أن الله ما كتب له صيام ذلك اليوم ، إذ هو استشهاد بقوله : « والمدد يجيك مثل البحر » ، يعني يجيء المدد إلى الخلق من الله إلى النبي ﷺ ، ثم إلى من أراد سبحانه ، وهو معنى قوله : « ومنه تتفرع طرق السماء » ، أي تتفرق أقسام المدد النازل من السماء ، أي من عند الله كل قسم منه وفق ما أراده الله ، والله أعلم .

ومن معنى قصته مع باجبير ، فالذي ظهر لي من معنى ذلك ، أن الإنسان إذا قصد أمراً يرجو نفعه وعمله فما يحصل له تمامه ونفعه إذا تم إلا بإرادة الله ، فإذا لم يرد له فعله رده عنه قهراً عليه ، وإن بذل جهده فيه وعجز الخلق عن رده عنه ، فلا يطمع فيه أصلاً ، وإلى هذا المعنى الإشارة بمعالجة سيدنا لباجبير على الإفطار ، وامتناعه عنه وتصميمه على الصوم ، وما ذاك إلا رغبة منه في ثوابه ، ثم إنه لم يقسم له حيل بينه وبينه قهراً ، كما قال سيدنا في بعض المكاتبات :

« وإذا لم يرد الله للعبد أمراً من الأمور ، أيُّ أمر كان ، صرفه عنه بما شاء من الصوارف ، فكان ذلك من قدره » .

وقوله : « ونحن ما نحب أن نطالب أصحابنا بالإجتماع علينا ولا نحبه منهم ، بل الأحسن أن يبقى كل مكانه ، حتى تبقى القلوب سليمة ، ومع كثرة الإجتماع لم تحصل سلامة القلوب ، ونكره كل أمر يكون فيه وحشة الخاطر على أحد ، فينبغي أن تحصل السلامة في القلب ليحصل المدد والإنتفاع ، وقد ذكرنا لكم اختلاف المذاهب ، وقصة الحنفي والتستري وقصتنا مع باجبير ، لتعرفوا بذلك ما هنالك ، وأهل الزمان ما مرادهم إلا خوارق كخوارق السحر » ، أو كما قال .

الحديث رقم (٤٠)

قال ﷺ : « إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِين » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِين[1] : « أي ما عدا الشَّيطان الكبير، وهو إبليس فلم يرد فيه نَصّ ، ولو كان كذلك لما تعرض لهم يوم بدر ، حيث أخبر الله عنه بقوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾[2] . ووقعة بدر كانت في رَمَضان وحَظّ أعوانه من الإغواء أكثر منه ، فإنه ماله من العمل إلاّ الوَسْوسة ، فيوسوس له في الأمور المذمومة ، والمصفدون هم المردة منهم ، وقيل لبعضهم أينام الشيطان ؟ قال : لو نام لاسترحنا ساعة » .

---

(١) البخاري : ٣٠٥٥ ، ومسلم : ١٨٠٠ ، والترمذي : ٦١٧ ، والنسائي في الصغرى : ٢٠٨٣ ، وابن ماجة : ١٦٣٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٤٨ .

الحديث رقم (٤١)

قال ﷺ: « إنَّ اللهَ خَتَمَ سُورَةَ البَقَرَة بِآيَتَيْن أَعطَانِيهُما مِنْ كَنْزِهِ الذِي تَحْتَ العَرْش ، فَتَعَلَّمُوهُنَّ ، وَعَلِّمُوهُنَّ نِسَاءَكُم وَأَبْنَاءَكُم ، فَإِنَّهُنَّ صَلاة وَقُرْآن وَدُعَاء » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ اللهَ خَتَمَ سُورَةَ البَقَرَة بِآيَتَيْنِ أَعطَانِيهُما مِنْ كَنْزِهِ الذِي تَحْتَ العَرْش ، فَتَعَلَّمُوهُنَّ ، وَعَلِّمُوهُنَّ نِسَاءَكُم وَأَبْنَاءَكُم ، فَإِنَّهُنَّ صَلاة وَقُرْآن وَدُعَاء[1] : « أي ينبغي تعليمهن ذلك وإن لم يمكن تُكتب وتعلق عليهم ، وإن جمع لهم بين ذلك فحسن ، وإن أمكن نزعه عند دخول الخلا فليفعل » .

❊ ❊ ❊

(١) سنن الدارمي : ٣٢٩٥ ، والمراسيل مع الأسانيد لأبي داود : ٨١ ، وفضائل القرآن للقاسم بن سلام : ٣٥٢ .

الحديث رقم (٤٢)

قال ﷺ: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ثُلُثُ القُرآن ، والزَّلزَلَة نِصف القُرآن ، وَالكَافِرُون رُبع القُرآن » .

قال رضي الله عنه في حديث : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ثُلُثُ القُرآن ، والزَّلزَلَة نِصف القُرآن ، وَالكَافِرُون رُبع القُرآن [١] : « إن هذه أسرار لا يُطلع عليها إلا بنور النبوة ».

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (كتاب صلاة المسافر) ، والترمذي : ٢٨٩٤ ، والنسائي ٢ : ١ ، وابن ماجة : ٣٧٨٧ ، وأحمد بن حنبل ٣ : ٢٣ ، والطبراني ٤ : ١٩٨ .

الحديث رقم (٤٣)

قال ﷺ : « الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ ، يَتَرَاءَى لأَهْلِ السَّمَاءِ ، كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لأَهْلِ الأَرْضِ » .

قال رضي الله عنه : « الطاعة في الأماكن بركة ونور ، وقد جاء : إنَّ أَمَاكِنَ الطَّاعَة تَتَرَاءَى لِأَهْلِ السَّماءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لأهلِ الأَرْض[1] » .

❋ ❋ ❋

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان : ١٨٢٩ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨ : ٢٦ ، والإمام أحمد ٦ : ٦٥ .

الحديث رقم (٤٤)

قال ﷺ : « قال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، خِصَالٌ أَرْبَعٌ : الدُّعَاءُ لَهُمَا ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا رَحِمَ لَكَ إِلا مِنْ قِبَلِهِمَا » .

قال الأحائي : وفي حديث : هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ الوَالِدَينِ شَيء ؟ فَقَالَ عَلَيهِ السَّلام : نَعَمْ ، أَنْ تَصِلَ الرَّحِم التي لا تُوصَل إلا بِهِما ، وَأَنْ تَصِلَ أهلَ وُدِّ أبيك .. الحديث[1] قال رضي الله عنه : « هذا إن عُهِدَ إليه في شي من ذلك » .

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (كتاب البر والصلة) ، وأحمد بن حنبل ٢ : ١٦٠ .

الحديث رقم (٤٥)

قال ﷺ : « عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ » .

قال رضي الله عنه لرجل : « لأي شيء ما حليتوا ؟ والمحلة عادتكم » .

فقال : نحن في الهمة ، والمشيئة بيد الله .

قال رضي الله عنه : « ما عليك ، مشيئة الله شيء ، ومشيئتك شيء آخر ، مشيئة الله قوية قاهرة ، وإذا لم يرد شيئاً لم يقع ، وإنما هي همتك وعزمك » .

قال الأحائي : ثم إن الرجل شكا إليه من الظلم ، وما هو وغيره عليه من الأحوال ، فقال له : « إذا اشتد الأمر فالفرج قريب ، وإذا قد حَمَلَتْ بالرأس وَلَدَتْ » .

وشكا إليه أيضاً من ولد له غير بار ، وليس هو في رأيه ، فقال له : « ما عاد معك إلا الصبر والمسامحة ، والصبوة في الصغر لا تستنكر ، وفي الحديث : عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ[1] . والصبا شعبة من الجنون، وإذا غلبتك الأمور فاغلبها بالصبر، ولا تَدَعْها تغلبك » .

❋ ❋ ❋

(١) الحديث أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٧ : ٥٠ ، والقرطبي في تفسيره ٥ : ٧١ .

الحديث رقم (٤٦)

قال ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بَآبَائِكُمْ » .

قال رضي الله عنه في حديث النهي عن الحلف بالآباء[1] : « أي من ليس فيه صلاح ، فإن كان فيه صلاح فإنما هو حلف بالله ، إذ لا ينبغي أن يحلف به كل حين ، فيبتذل الاسم الكريم ، وفي الغالب أنك لا ترى من يحلف بأحد من آبائه إلا إن كان فيه صلاح ، إلا إن كان أحد من النساء ، ولو حلف حالف بما كان يحلف النبي ﷺ به ، مثل : والذي بعثني بالحق . فيقول : والذي بعث محمداً بالحق فيحسن ، إذ يحصل به التعظيم له عليه السلام ، والتبرك بذكره ، والسلامة من اليمين ، ومن الحلف بالآباء » انتهى .

قال الأحباني : قوله : « فإنما هو حلف بالله » ، في هذا توسعة من توسعات اللغة العربية ، كما في حديث : لا تسبوا الدهر ، فإنما الدهر الله . أي فعل الله ، إذ الدهر هو الزمان ، الليل والنهار ، وهو خلق الله وفعله ، والصلاح أيضاً خلق الله وفعله ، يجعله الله في من أحب من عباده ، فالحالف بأحد بسبب الصلاح ، حالف بوصف الله ، أي بقدرته وإرادته .

قوله : « فإن كان فيه صلاح ، فإنما هو حلف بالله » ، يعني أن الصلاح صفة شريفة من عند الله ، يخص بها من يشاء من عباده ، فإذا خص بها أحداً فحلفت به لأجلها ، فإنك في الحقيقة ما حلفت به ، إنما حلفت بصفة الفضل من الله التي اختصه بها ، فلا حرج عليك في ذلك فافهم ، وتحر هذا المعنى في مواضع كثيرة ، منها أنك إذا استغثت بولي من أولياء الله ، أو ناديته في شدة ، فإنما استغثت بالله بقلبك ، وناديته بالتفات قلبك إليه وإنزال حاجتك به ، وقطعك يقيناً لا شك فيه أن لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا الله .

---

(١) البخاري ٧ : ٩٢ كتاب الأدب ، ومسلم ٢ : ١٤ .

وإنما معنى استغاثتك بالولي ومناداتك له ، أي يا فلان الذي أنعم الله عليه بالولاية وصفة الكمال ، كما منّ الله عليك بما أعطاك ، أرجوه أن يعطيني ما سألت من فضله سبحانه ، وكرمه يشملنا إذ كلنا عبيده ، وعند ذِكْرِ من أنعم الله عليه فيه تمثل وبيان لمن أولى النعمة ، وجدير بمن ذكر المحبوب المنعم عليه أن ينعم عليه أيضاً بإبلاغه ما أراد .

كما تقدم من القصص ، كقصة الشيخ أبي بكر في إرسال السحابة التي سقت المعطشين وغير ذلك ، فكذلك السائل يطمع في ذلك فهو جدير ، ويحققه ما وقع لكثير من نجاح المطالب من رب العالمين عند ذكر عباده الصالحين ، كما جرب ذلك .

وأما النساء فقد يكون من بعضهن الحلف بآبائهن بلا صلاح ، تكبراً منهن وعتواً ، وربما تكبرت بأبيها لكونه ظاهراً لالتفاتها إلى الدنيا ، لعظمها في نفسها ، بل ربما كان أميراً ظالماً انتهى .

❊ ❊ ❊

الحديث رقم (٤٧)

عَطَسَ رَجُلٌ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَال : السَّلامُ عَلَيكُم ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَيكَ وَعَلى أُمِّكَ ، إذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمين ، وَلْيَقُلْ لَهُ مَنْ يَرُد عَلَيهِ : يَرْحَمُكَ الله ، وَلْيَقُلْ : يَغْفِر اللهُ لي وَلَكُم » .

قال رضي الله عنه : « الأدب والإنتفاع على قدر المتأدِّب والمتأدَّب به ، وإذا كان الوعاء ملآن يطرحون له في أيش ؟ ونحن أصحابنا مؤدبون بتأديب إلهي ، بسبب الغربة والإنقباض ، ولولا أن الله جعل فينا هيبة لابتَذَلَنا الناس » .

قال الأحسائي : ثم ذكر قصة الذي صحب الإمام مالك عشرين سنة ، سبعة عشر سنة منها في الأدب ، وثلاثاً في العلم ، ثم قال : ليتني جعلتها كلها في الأدب ، *قال رضي الله عنه* : « وما كل أحد يعرف الأدب ، وكيف يتأدب ، فإن الناس فيهم جهال وفيهم بدو وغير ذلك ، أما سمعت خبر العاطس بحضرة النبي ﷺ ، فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال له عليه الصلاة والسلام : عَلَيكَ وَعَلى أُمِّكَ[1] . والذي قال له : علم فلان الإستئذان ، وعلم آخر كيفية رد السلام . وما كل أحد يعفى عنه سوء الأدب » انتهى .

قال رضي الله عنه : « إن بعضهم قال : ينبغي إذا أراد أن يقول لأحد بارك الله فيك ، أن يقول : بورك فيك . لئلا يكثر ذكر اسمه تعالى في كل لفظ ، وفي كل محل غير لائق ، فيكون فيه شبه الإخلال بالحرمة . وكذلك الإتيان به في الألفاظ المذمومة ، كأخزاك الله ونحو ذلك ، إذا كثر تكرر الإسم الشريف فيها ؛ يخل بالتعظيم الإلهي ، ويعرف ذلك من حيث العلم الذوقي أو العلم الكشفي ، ولكن لا يفهمون بكثرة التعليم ، وقد تعوج الألفاظ في ألسنة العامة ، فيقلبونها ولا أحد ينكرها عليهم ، فيحتاجون إلى تعليم ، وقد جاء رجل إلى عند النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود : ٥٠٣٢ ، وأحمد بن حنبل ٦ : ٨ ، والطبراني ٧ : ٦٧ ، وابن حبان ١٩٤٨ .

قوله : وعلى أمك ، لأنه خطأ في التشميت ، ولم يتعلم مع تأهله للتعلم ، وعدم عذره ، فلم يعذره ﷺ ، ولم يحتمل له سوء أدبه ، بخلاف الذي علمه كيفية الإستئذان والذي علمه كيفية رد السلام ، لعذرهما بقرب إسلام أو من أهل البادية ، والله أعلم اه .

فقال : عليك السلام يا رسول الله . فقال ﷺ له : وعليك وعلى أمك الحديث . وألفاظ كثيرة بكثرة الإعتياد ما يحس الإنسان إلا قد وضعها في غير محلها بحكم الإعتياد ، كألفاظ الطهور والخلاء . وقد يقع لي أنا هذا كثيراً » .

قال الأحسائي : والذي جاء في تشميت العاطس لما عطس في حضرة النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال له عليه الصلاة والسلام : وعليك وعلى أمك . يعني ليس هكذا يقول العاطس إذا عطس ، بل يقول : الحمد لله . ويشمت بقول : يرحمكم الله .

والذي أمره أن يعلم الداخل الإستئذان لما رآه وقف ولم يستأذن ، فأمر بتعليمه أن يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ وَلِمَا روى أبوهريرة لسيدنا عمر حديث الإستئذان قال له : ائتني معك بشاهد ، وإلا أوجعتك ضرباً . فاستشهد معه جابراً . والذي علمه رد السلام لما دخل قال : عليك السلام يا رسول الله . فعلمه كيف ذلك بأن يرد السلام إذا دخل ، ثم المحاياة بعد ذلك . وكل ذلك تأديبٌ منه ﷺ وتعليم لهم .

ويشير سيدنا بقوله هذا إلى أن الإنتفاع على قدر حسن الأدب ، فمن قل أدبه قل انتفاعه ، ومن لا أدب له لا انتفاع له ، وذلك على الوجه الذي قدمنا .

وقوله : « ما كل أحد يعفى عنه سوء الأدب » يدل عليه ، يعني أن الأدب متعين على كل من سلك على أيدي المشايخ ، إلى أن يمن الله عليه بما أراد له من الواهب ، وهو المجذوب بعد السلوك ، وأما من وهب قبل السلوك ثم سلك وهو المجذوب قبل السلوك فلا يتوقف على شيء ، لكن إذا سلك يعرف أدب كل مرتبة من مراتب السلوك انتهى .

❁ ❁ ❁

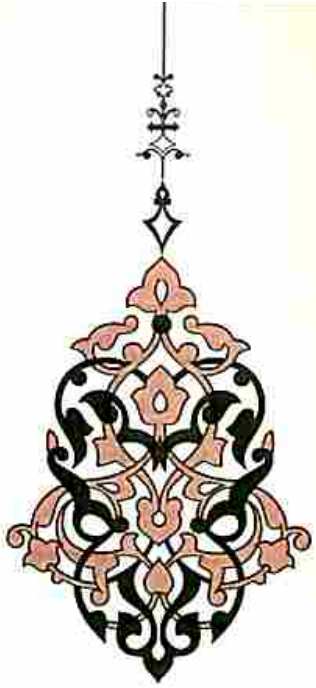

الحديث رقم (٤٨)

قال ﷺ : « صِلْ رَحِمَك وَإِنْ قَطَعَتْ » .

قال الأحسائي : وتكلم في قطيعة الرّحم ، قال رضي الله عنه : « إذا أراد الله بامرئٍ سوءاً سَلّط عليه قَطِيعة الرَّحم ، فعند ذلك يسرع إليه الذهاب والدمار والهلاك ،وقد ورد : صِلْ رَحِمَك وَإِنْ قَطَعَتْ[1] » .

❊ ❊ ❊

---

(١) الحديث في مجمع الزوائد ٤ : ١٦٥ .

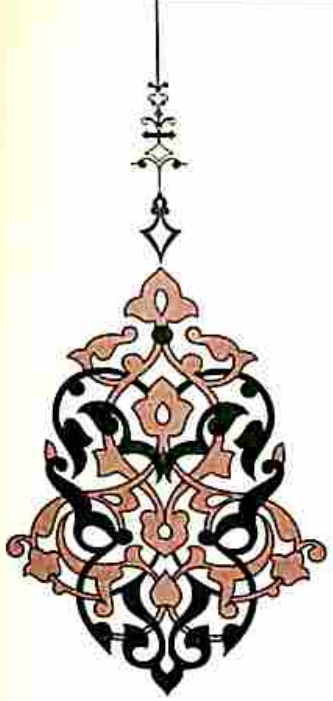

الحديث رقم (٤٩)

قال ﷺ : « إنَّ الله يُحِبُّ أَن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عَبدِه » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ الله يُحِبُّ أَن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عَبدِه[1] : « أي إذا كان واجداً ، فلا ينبغي أن يقتر على نفسه ، إلا إن كان بنية زهد وكان من أهله » .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الترمذي : ٢٨١٩ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢١٣ ، والحاكم ٤ : ١٣٥ .

الحديث رقم (٥٠)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ أهلَ البَيتِ الخَصِب » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ اللهَ يُحِبُّ أهلَ البَيتِ الخَصِب[1] : « أي في المعيشة ، إذا كان هناك شيء بغير إسراف » .

❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث في جمع الجوامع للسيوطي : ١٨٩٨ .

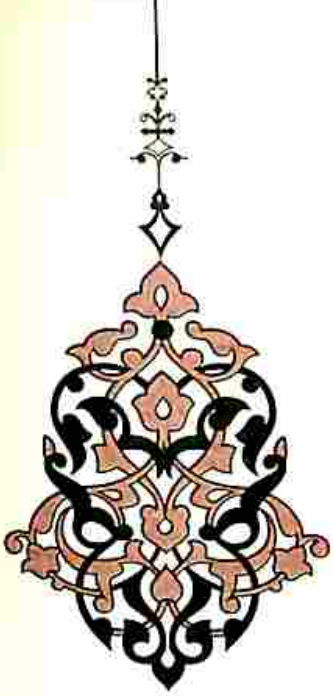

الحديث رقم (٥١)

قال ﷺ: « مَنِ الْتَقَطَ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الطَّعَامِ ، حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّار » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنِ الْتَقَطَ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الطَّعَامِ ، حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّار [1] : « أي للتواضع والصيانة وشكر النعمة، أي لما في ذلك من ذلك » .

❋ ❋ ❋

(١) الحديث في كنز العمال : ٤٠٨٢٥ .

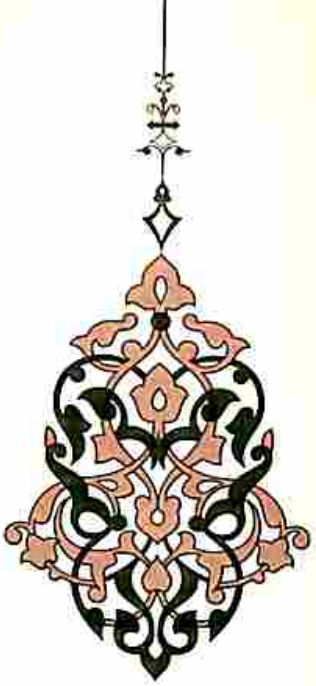

الحديث رقم (٥٢)

قال ﷺ : « إنَّ الرَّجلَ ليُحرم الرِّزقَ بالذنبِ يُصيبُهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ الرَّجلَ ليُحرم الرِّزقَ بالذنبِ يُصيبُهُ [1] : « للرزق جهات متعددة ، وكذلك الذنوب ، فقد يكون الذنب في جهة الرزق ، فإذا حصل ذنب في جهة رزق كأن كان رزقه في البيع والشراء فأذنب ببخس وتطفيف ونحو ذلك ، حُرِم ذلك الرزق ، بأن ذهبت بركته وتلاشى عليه فيفتقر ، أو حصلت له آفة أذهبته من يده ، كما هو مشاهد في أهل الربا ومانعي الزكاة وغيرهم ، ويحرم الرزق المقابل لذنبه خاصة دون غيره ، فإن كان له رزق في الحراثة أو غيرها ولم يذنب في جهته ، فلا يحرم الرزق منه بذنبه في جهة البيع والشراء ونحو ذلك ، وإن كان ذنبه في ما هو عام لجميع الأرزاق أو أكثرها كالنقد ، حرم الرزق بذلك المعنى من جميع الجهات التي يأتيه رزقه به منها ، لأن عليه مدارها ، وإن أحسن في الكل حصلت له البركة والنمو في الجميع ، أو أحسن في البعض ففيه دون غيره ، ويجبر خلل كل واحد بالإحسان فيه دون الآخر ، كما يجبر خلل العبادة بعضها ببعض ، كذلك كما تجبر الصلاة بالصلاة ، والصوم بالصوم ولا عكس ، وإن كان الذنب بأمر خارج عن أسباب الرزق كزنا وترك صلاة وغير ذلك ، عم الضرر العمر والرزق ، وإن توالت عليه أرزاقه مع عصيانه فذلك استدراج له » انتهى .

وذكر قلة الخريف الموجود سنة ١١٣١ ، قال رضي الله عنه : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه – وتقدم ما تكلم به – وما بهم إلا ذنوبهم ، ذنوب بلا توبة ولا ندم ولا إستغفار » .

قال الأحمدي : انتهى كلامه ، وهذا التفصيل العجيب والتقييد البديع من سيدنا نفع الله به من ثقوب فهمه وحدة خاطره ، وهو يدل على تبحر علمه ، واطلاعه على معاني علوم الشريعة

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٢٧٧ .

، وأنه نتيجة من علم الوراثة كما قدمنا تفصيله ، وقد *قال رضي الله عنه* : « قرأنا قليلاً ، وطالعنا كثيراً ، وفُتِح علينا بأكثر » . ويدل على غزارة علمه ؛ اطلاعه على وزان العادات من العبادات ، بإطلاع الله له على ذلك ، وعلى غيره بالإلهام والعلم اللدني .

قال رضي الله عنه لرجل ثقيل على خواطر الناس ، وهو مع ذلك يلومهم في عدم إقبالهم عليه : « الذي ترجوه من الناس قَدِّر إنك ترجوه من الله ، ومن تميز بالدين لا يعلق قلبه بالناس ، أو يقول للناس : عظموني واصطنعوا إليَّ . واظب على قراءة القرآن والطاعة لكن مع الإخلاص ، ولا عليك من الناس ، إذا رأوه متمسكاً بالدين عظموه ، وعاده إلا يرد الزائد ، والرزق مقسوم ، لو بغيت ترده ما ارتد إلا بالذنب ، قال النبي ﷺ : إن العبد قد يصيب الذنب يمنعه الرزق . وأسأل ربك البركة ، فإن القليل مع البركة كثير ، والكثير مع عدمها قليل كقصة صاحب الدينار وإذا حصل للإنسان رزق ، فصَرَفَه في الشهوات ، إيش الفائدة هل شيء غير الحساب ؟ » .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (٥٣)

قال ﷺ : « لا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ الْغُرَفَ ، وَأَلْهُوهُنَّ بِالمغَازِل » .

قال الأحسائي : وذكر حديث : لا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ الْغُرَفَ ، وَأَلْهُوهُنَّ بِالمغَازِل[1] ، ثم ذكر النساء وخداعهن ثم قال رضي الله عنه : « إن بعضهم قال : إذا صاحت المرأة فأدركوا الرجل » .

قال الأحسائي : يعني لعل أن تكون قد دهته بشيء من مكائدهن ، ثم صاحت ستراً لحالها ورمياً للتهمة عليه ، فإن كيدهن عظيم ، فقد عظم الله كيدهن وضعف كيد الشيطان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] .

ومن كيدهن : أن تتظلم وهي ظالمة ، وتستخون غيرها وهي خائنة .

وذكرن النساء عند سيدنا علي كرم الله وجهه فقال :

لا تتخذوا النساء على حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تدعوهن يدبرن أمر العيال ، ولا تفشوا لهن سراً ، ولا تدعوهن يدبرن أمراً ، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن المسالك ، وعصين المالك ، وأوردن المهالك ، فإنا وجدناهن لا ورع لهن في خلوتهن ، ولا دين لهن عند شهوتهن ، يتهافتن على العصيان ، ويتمادين على الطغيان ، وينكرن إذا منعن القليل ، ينسين الخير ، ويذكرن السوء ، اللذة بهن يسيرة ، والحيرة بهن كثيرة . أما صوالحهن فغادرات ، وأما طوالحهن ففاجرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات ، إن أؤتمن على مال ضاع ، أو على شر شاع . فيهن ثلاث خصال من اليهود : يتظلمن وهن ظالمات ، ويحلفن وهن كاذبات ، ويمتنعن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٩٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٧٦ .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢٨ .

وهن راغبات . فاستعيذوا بالله من خيارهن ، وكونوا من شرارهن على حذر انتهى .

الحديث رقم (٥٤)

قال ﷺ : « إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم خِيَارَكُم ، وَتُجَّارُكُم أُمَنَاءَكُم ، وَرَأَيكُم عِندَ خِيارِكُم ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيرٌ لَكُم مِن بَطْنِهَا ، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم شِرَارَكُم ، وَتُجَّارُكُم خُوَنَاءَكُم ، وَرَأَيكُمْ عِندَ نِسَائِكُم ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيرٌ لَكُمْ مِن ظَهْرِهَا » .

قال الأحسائي : وتذاكر مع بعض السادة في النساء واستطالتهن على الرجال ، فذكر سيدنا له حديث الذي قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ماذا خير لنا بعدك بطن الأرض أو ظهرها ؟ فقال ﷺ : إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم خِيَارَكُم ، وَتُجَّارُكُم أُمَنَاءَكُم ، وَرَأَيكُم عِندَ خِيارِكُم ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيرٌ لَكُم مِن بَطْنِهَا ، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم شِرَارَكُم ، وَتُجَّارُكُم خُوَنَاءَكُم ، وَرَأَيكُمْ عِندَ نِسَائِكُم ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيرٌ لَكُمْ مِن ظَهْرِهَا أو كما ورد[1] .

ثم قال رضي الله عنه : « لا تجعل للمرأة وجوداً - أي تصرفاً - إلا إن كان وجودها من تحت وجودك ، ولا تجعل الأمر إليها ، بحيث لو أردت أن تتصدق بشيء منعتك ، فإن مثل هذه قهرمانة ، ما هي صاحبة أمانة ، وانظر من كل شيء إلى أحسنه ، وقيل : لا تُمدح المرأة إذا هي صالحة حتى تموت . ومنهن عطايا ومنهن خطايا ، ولا يحصل للإنسان الأجر إلا بالصبر والإستقامة ، وأن تقوم عليها في حقوق الله ، فلا تفرط في أمور الدين فتتركها تمكث بجنابتها وتترك الصلاة ، وكن معها من أول الأمر على حزم ، فلا تمنعها اليوم مثلاً من أمر وغداً تمنع - أي تتعلق - فيها » .

فقال له ذلك السيد : إنها تحتاج إلى ما لا بد منه .

قال رضي الله عنه : « لا بد لها من شيء من العدل والإحسان . ومثل هذه الأمور لا يمكن العلماء فيها التفصيل ، فلو فصلوها لاحتاجت كل مسألة إلى مجلد وتفصيل كثير ، ولكن يفصله الناس بالعقول » .

---

(١) سنن الترمذي (الفتن) ٢٢٦٦ .

قال رضي الله عنه : « ما مشوش على فلان إلا زوجته ، وهو عارف بالدواء ولكن أبى أن يستعمله ، وهن مجربات ومعروفات بأنهن يغلبن الأخيار ويغلبهن الأشرار ، ولا يسلك الإنسان معهن إلا بأحد أمرين : إما باليسر إن أمكن ؛ وإلا فبالرفق . لأنهن إذا أردن أمراً فمع الأشرار يغلبونهن حتى يدخلن في أنفسهن ودينهن ، ومع الأخيار يأخذونهن باليسر والمسامحة ، فإن لم يجيء مع ذلك منهن شيء دارَوهنَّ ورَفقوا بهنَّ وصبروا عليهن ، ومن رأى حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أزواجه وكثرة شاغلهن لم يستنكر منهن ما يَكره ، وإبراهيم الخليل عليه السلام أخرجته زوجته سارة من وطنه الشام إلى الحجاز غريباً مع ولده وسريته قهراً من غير اختيار منه ، وهكذا عادة أهل الخير معهن . وقيل : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : المرأة والعبد والولد » أو كما قال انتهى .

قال الأحسائي : حفظت من بعض التواريخ في هذا ، أن هاجر كانت جارية لسارة ، أعطاها إياها النمرود الجبار ، وذلك أنها خرجت يوماً في بعض حوائجها ، فرآها وهو في قصره مارة في الطريق ، فأمر من قبضها وأتى بها إليه فمد يده إليها ، فحصلت له كفخة في دماغه فغشي عليه ، فلما أفاق مد يده أيضاً فحصل عليه كذلك ثم أفاق ، ثم مد يده ثالثة فحصلت عليه أيضاً هكذا ثلاث مرات . ثم إنه سرحها من غير أن يمسها بيده حماية من الله ، ووهب لها هاجر ، وجاءت بها إلى إبراهيم ، وأخبرته بما جرى ، ثم وهبتها له وقالت : تسررها لعل الله أن يرزقك منها ولداً لما لم يحصل لك مني ، فتسررها فحملت بإسماعيل ، فلما أحست منها بالحبل جاءتها الغارية التي هي طبيعة النساء ، وهو من الحسد المحرم ، لكن الله سبحانه حليم لا يعجل ، فحلم عليهن وعذرهن ، وأمر الرجال بالحلم عليهن كذلك ، فلما تحركت تلك الطبيعة معها تصبرت حتى ولدت ولداً ، فزاد عليها الأمر ، فحلفت أن تقطع جزءاً منها وأن تدميها وأن تعزر بها ، وأن يبعدها وولدها عنها . فأمر الله إبراهيم أن يطيع سارة فيما أرادت ، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يأمر سارة بأن تبر بيمينها ، فأمر إبراهيم سارة أن تبر بيمينها ، وأمر هاجر أن تسمع لسارة وتطيع لها ، فأمر الله إبراهيم أن يأمر سارة أن تدميها ، بأن تخزق آذانها ، وتقطع جزءاً منها بخفضها - وهو الختان ، وتعزرها بأن تشبهها بالرجال ، بأن تحزمها بسير ، وهو النطاق المعروف عند العرب ، وتسمى أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، لأنها شقت نطاقها نصفين ، نصف تحزمت به ونصف ربطت به الجراب الذي فيه زهاب النبي ﷺ مع أبي بكر لما أرادا السفر مهاجرين إلى المدينة ، وكلها صارت عادة معروفة عند النساء . وأول من فعل به ذلك

هاجر ، كما أن سيدنا إبراهيم أول من اختتن ، وذلك في القدوم موضع - ويبعدهما عنها ، بأن يضعهما - أي هاجر وولدها - عند البيت ، فوضعهما عند البيت الحرام ، ثم قال : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1] .

ثم إن الله سبحانه لطف بسارة ورزقها الولد ، فأطفأ نار غاريتها بحصول الولد لها ، فأرسل الملائكة يبشرونهما مع إبراهيم بالولد ، فأتوهما في صور آدميين ، فحين ما رأتهم حاضت ، وكان الحيض قد انقطع عنها ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[2] أي ولداً لإسحاق ، وفيه خاصية زائدة ، أن جميع الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته من ذرية إسحاق ، كما أن الخاصية الكبرى لإسماعيل أن النبي ﷺ من ولد إسماعيل خاصة وحده ، لا نبي من ذريته غيره .

فهذا ما حلفت لتفعلنه بها ، وكيفية إبرارها بيمينها ، ولطف الله وحلمه على ما صدر منها من تلك الطبيعة ، وأن تلك الكفخات في دماغ عدو الله مقدمات لما سيهلكه الله به ، وهو تسليط البعوضة التي هي أضعف ما خلق الله على دماغه ، حتى دخلته وأكلته فأهلكته بتجبره وتكبره ودعواه ما ليس له بحق .

قال رضي الله عنه : « فانظر كيف أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بامتثالها ، وفعل ما أرادت ، وهذا من باب الرفق بهن والصبر عليهن ، وكذلك جرى كثيراً لكثير من الصالحين » .

❁ ❁ ❁

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٢) سورة هود ، الآية ٧١ .

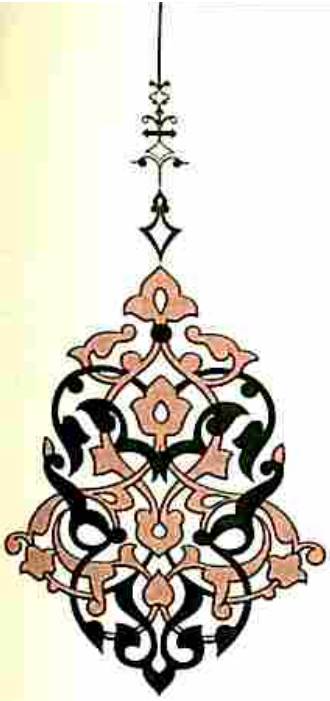

الحديث رقم (٥٥)

قال رضي الله عنه : « فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَيرُ العِيَال البَنَات » .

قال رضي الله عنه لبعض القراء : « تأن » ، قال له مرات متعددة ، ثم قال في بعض المرات : « تكرير الكلام لا يحتاج إليه ، فإنه إذا تكرر سقط وقعه على النفوس ، ولهذا ترى عيال العالِم أكثر تساهلاً في كلامه من غيرهم ، لتكرر كلامه معهم ، ونحن ما عاد نعاقبهم كما كان الأولون يعاقبون ، لأنا مُدْبِرُون وهم مقبلون ، وهم من طبقة ونحن من طبقات » .

قال رضي الله عنه : « نريد منهم أن يأخذوا ما تيسر مع الإصغاء والإستماع ، وفي الحديث : فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَيرُ العِيَال البَنَات . لأن الولد إذا كبر ما يريد لك معه وجود ، لا في مال ولا في أمر ، فإن كثروا كان أكثر لذلك ، والبنت تكون في ميزانك بسبب اهتمامك بها وبمعاشها ، والولد تكون في ميزانه » .

❊ ❊ ❊

الحديث رقم (٥٦)

قال ﷺ : « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً » .

قال رضي الله عنه : « عجبت من أهل الزمان ، إذا طلبت منهم الإستقامة على الحد العدل الذي هو الحق المشروع الذي يرضي الله وهو الوسط ، بلا إفراط ولا تفريط ، لم يمكنهم ذلك ، وتعدوا منها - أي الإستقامة - إلى الإفراط والإعوجاج ، وذلك لأنهم تبعوا نفوسهم ، وولوها وصاروا منقادين لها . والنفس خبيثة كالمرأة السوء ، وقد قال عليه السلام : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً[1] » .

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري ٦ : ١٠ ، والترمذي : ٢٢٦٣ ، والنسائي ٨ : ٢٢٧ ، والبيهقي ٣ : ٩٠ ، والحاكم ٣ : ١١٨ .

الحديث رقم (٥٧)

قال ﷺ: « أَعْدَى عَدُوِّكَ زَوجَتُكَ التي تُضَاجِعها ، وَمَا مَلَكَت يَمِينك » .

قال رضي الله عنه في حديث : أَعْدَى عَدُوِّكَ زَوجَتُكَ التي تُضَاجِعها ، وَمَا مَلَكَت يَمِينك [1] :
« أي لأنه يقع منهم بلايا ، وأقلّ الحال أنهم يوقعونك في طلب الدنيا ، إن لم يكن معك شيء » .

❁ ❁ ❁

(١) شرح الإحياء ٧ : ٢٠٦ ، وكنز العمال : ٤٤٤٨٣ ، وكشف الخفاء ١ : ١٤٣ .

الحديث رقم (٥٨)

لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَبيعُونَ الصَّاعَين مِنَ التَّمْرِ الرَّدِيءِ بِصَاعٍ مِنَ التَّمرِ الطَّيِّب ، فَنَهَاهُم عَنهُ وقال ﷺ : « هُو الرِّبَا بِعَينِهِ ، وَلَكِن بِيعُوا الصَّاعَينِ بِدِرْهَمَيْنِ ، وَاشْتَرُوا بِهِمَا الصَّاعَ مِنَ الجَيِّد » .

قال الأحسائي : وآخرين من الناس في محبة الدنيا والتَّهافت عليها يرون أنفسهم منسوبين إلى علمٍ وصلاحٍ فيستحون أن يُعرفوا بذلك ، ويودون ما يسترهم عن التظاهر بأخذ الحرام ، فطلبوا عذراً يسترهم عن الناس وما راعوا جانب الله ، يستحون من الناس ولا يستحون من الله وهو معهم ، وحجةً يحتجُّون بها بأنهم إنَّما أخذوا حلالاً فالتجأوا إلى التَّحيُّل لإستحلال الرِّبا والحرام بما سمعوا عمَّن هو مثلهم وتحيَّل لهم وأفتى لهم بأنَّ الحيلة في الرِّبا جائزة ، وخالف بقوله هذا قول أهل الحقّ أنَّ الحيلة في الرِّبا من الرِّبا ، ولا حجَّة لهم إلا لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَبيعُونَ الصَّاعَين مِنَ التَّمْرِ الرَّدِيءِ بِصَاعٍ مِنَ التَّمْرِ الطَّيِّبِ ، فَنَهَاهُم عَنْهُ وَقَالَ لَهُم : هُو الرِّبا بِعَيْنِهِ ، وَلَكِن بِيعُوا الصَّاعَينِ بِدِرْهَمَيْنِ ، وَاشْتَرُوا بِهِمَا الصَّاعَ مِنَ الجَيِّد[1] . فامتثلوا وعملوا ، وزعم هؤلاء أنَّ هذه حيلة واغترُّوا بها في حيلٍ كثيرةٍ في وجوهٍ شتّى من الحرام ، ويغطُّون عليه بتراب حِيَلٍ باطلة اضطرَّتهم إلى اعتقاد حلِّه ، فكفروا بسبب ذلك كما وُصِفوا .

فانظر الآن ضرر قول من قال بجواز الحيلة ، ما أشدَّ ضرره على المسلمين ، ولو رأى قائل ذلك حيلهم التي يتعاطونها بسبب قوله وضلالهم عن الحق به ووقوعهم في الباطل لأنكرها وأفتى ببطلانها ، فما ينفعه وقد مهَّد له في قبره مهاداً يضره في معاده لا حيلة له في ردّه . وكلُّ ذلك نصيبٌ مكتوبٌ لمن كتب له لا محيص له عنه ، وهو شاهدٌ لما قال رضي الله عنه : « ما أفسد على النَّاس دينهم إلا العلماء ، ولكن بعد فساد دينهم » .

فإذا كان الزَّمان اليوم مجرَّداً لهذين الصِّنفين من الناس فمن يتظاهر بأكل الحرام ولا يبالي ، ومن يتحيَّل على تحليل الحرام بالحيل الباطلة الفاسدة التي لا تفيده إلا زيادة غضبٍ من

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الله وشدَّة سخطٍ ومقتٍ ، فما ظنّك بفساده وقلّة الخير فيه وقلّة الحق أو عدمه وعدم اتِّباعه ، لأنهم الأكثر من عُمَّارِهِ ، ومن تترتَّب عليهم الأحكام بين الناس وإن كان أولئك موجودين في خاصتهم لا تتعلَّق بهم أحكامٌ ظاهرةٌ من شعار جمعةٍ وجماعةٍ وأحكام معاملةٍ فإنهم غرباء ، والغريب لا يتعلّق به وجوب جمعةٍ ولا جماعةٍ ، وإنما هم إشارة إلى أنَّ هذه الآية لا تخلو من خيرٍ فلو ملأوا الأرض كأولئك ، واشتهروا كشهرتهم لتعلَّق بهم شعار الدِّين وأحكامه .

وقد *قال رضي الله عنه* في خبر التَّمر المذكور : « إنَّ ذلك منه ﷺ إرشادٌ لهم وتبيينٌ للحقِّ لا تعليماً لهم للحيل ، نعوذ بالله من نسبة الحيلة إليه ﷺ ، فإنَّ الحِيَل جريٌ مع الباطل ، وإنما هو ﷺ مرشدٌ للحقّ ومبيِّنٌ له » .

قال الأحسائي : وقد مرَّ هذا الحديث على سيدنا في الدرس ، في قراءة من كان يقرأ في كتاب النَّصائح الدِّينية - من مؤلَّفاته - فلمَّا ذكر بيع الصَّاعين بالدِّرهمين *قال رضي الله عنه* : « لكنَّه يقبضهما ويشتري بهما الصّاع من الجيِّد ، وإلا صار مثل هؤلاء الفسقة » . يعني إذا باعهما بالدرهمين ثمّ شرى بالدرهمين وهما عند صاحبهما وما قبضهما من عنده صاعاً من الجيِّد ، فهذه حيلةٌ فكأنَّه إنَّما أعطاه الصَّاعين بالصَّاع ، فانظر إلى عمق اطِّلاعه في معرفة العلم وكنه الورع والإحتياط انتهى .

❋ ❋ ❋

الحديث رقم (٥٩)

قال ﷺ : « الْفَقْرُ بِالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ أَزْيَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعَذَارِ الْحَسَنِ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : الْفَقْرُ بِالرجلِ الْمُؤمن أزين على الْمُؤمن مِنَ الْعَذَارِ الْحَسَنِ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ[1] : « ليعرف الإنسان أحكام الفقر والغنى من العلماء بالله ، فإن الفقر المحمود ما كان مع الصبر والرضا ولا يغبط الأغنياء ، وأما الذي يتمناها ويده منها خالية ، ويضجر ويتبرم فهو أخس من الأغنياء ، فليعرف أحكام الفقر والغنى ، والدنيا كلها لهو ولعب ، فخذ من اللهو واللعب ما ينفعك في الآخرة » انتهى .

قال الأحسائي : الإنسان خلق في الدنيا تاجراً ، يسعى فيها لطلب كل ما يربحه ، ويتجنب فيها كل ما يخسره ، وصار الإنسان فيها غارقاً في كثرة أمور الخسران ، وقليل ما يربحه ، وربحه ما يرضي الله ويفوز به يوم لقاه وينفعه في الآخرة ، وخسرانه ما يغضب الله ويضره في الآخرة ، والنفس بجهدها ومجهودها تدعوه إلى ما يضره ويرديه من أهويتها ، والشيطان يدعوه ويقوده إلى المعاصي ، ومحبة الدنيا قد جبل عليها ، فسحرته ببهجتها وبهرجها وزخرفها ، وهي لهو ولعب لا طائل تحته ، أشبه شيء بالخرافات ولعب البنات ، فصار في هذه البلايا والرزايا حائراً ، يرى ما ينفعه ويحال بينه وبينه ، ويرى ما يخسره ويضره فيقع فيه قهراً ، يستجره إليه هوى النفس ودعاء إبليس فيتمكن منه ، فأمره الله أن يجاهد نفسه في هذه الأمور كلها ، ويحملها قهراً بجهاده لها ، على اتباع الأحسن النافع ، وعلى ترك الأسوأ الضار ، فيأخذ بالخلق الحسن ويترك السيء ، ويأخذ بالطاعة ويترك المعصية ، فهو في ذلك في شدة وعناء وكثرة بلاء ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾[2] ، أي شدة مكابدة ومعاناة ، وتعب شديد مما يلاقي من هذه

---

(١) أخرجه الطبراني عن شداد بن أوس . انظر (الفتح الكبير ٢ : ٢٨١) .

(٢) سورة البلد ، الآية : ٤ .

الأمور والأحوال ، وقد بين الله له في كتابه وعلى لسان رسوله جميع ما ينفعه عند الله وفي الدنيا والآخرة ، وأمَرَه به وحثه على فعله ، وأكد عليه في ذلك ، وبيَّن له جميع ما يضره في الدارين ، وأكد عليه في تركه وتجنبه ما استطاع ، فإن وفقه مع ذلك أعانه على الإمتثال في الفعل والترك ، واستخرج له النافع من الضار ، كما استخرج اللبن من بين فرث ودم ، واستجره إلى ما ينفعه ، ودفعه عما يضره ، وقاده إلى أمور الحق ، وجنبه أمور الباطل طوعاً وكرهاً ، كما ورد : كلٌّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له[1] . قال رضي الله عنه : « الخلق مكلوفون لما خلقوا له » ، أي مكرهون على فعله ، يجرهم إليه بكلاليب القضاء والقدر ، لا محالة لا محيص لهم عنه ، كما قال الإمام الغزالي : يجرهم بلطف في عنف ، وطوعاً في كره ، وبلين في قهر . أو كما قال .

ويقال : إن علامة السعادة ، أن يقصد العبد إلى فعل الشر فلا يتمكن منه ، ويحال بينه وبينه ، ويقصد فعل الخير فيتمكن منه ، ويتيسر له ويفعله . وعلامة الشقي بعكسه : أن يقصد إلى الخير فلا يمكنه ، ولا يتيسر له فلا يفعله ، ويقصد إلى فعل الشر فيتيسر له ويفعله . فالموفق يأخذ الدنيا بلاغاً وزاداً للآخرة ، واستعانة على الطاعة على الوجه الشرعي ، ولا يعرج على ما وراء ما يتزود به لآخرته ، والفاجر يتخذ الدنيا متاعاً ، يعني يمتع بها نفسه بتمكينها بها من شهواتها ، ولا ينوي بها الإستعانة على الطاعة ، وربما كان حراماً ولا يبالي ، فإذا صلح قلبه وتجرد عن الدنيا بقلبه وبدنه ، فهو غاية الكمال ، وهو الفقر الصادق الحقيقي المطلوب ، الذي هو على المؤمن كالعذار الحسن على خد الفرس ، وإن تعلق قلبه وبدنه بها فهو الفقر المذموم المستعاذ منه ، الذي قال فيه : إن حاله أخس من أحوال الأغنياء الراغبين فيها .

وقولنا : بها . أعني تعلق بها وسعى في تحصيلها لنفعها ، بأن قصد بها نفعها الدنيوي الذي في الدنيا خاصة ، دون ما ينفع في الآخرة وعند الله ، فإن قصد بها الإستعانة على ما عند الله فذلك لله لا للدنيا .

وقد اختلف كلام الشيخين سيدنا عبدالله ، وسيدنا أحمد بن عمر الهندوان في معنى الفقر المستعاذ منه على الوجهين الآتيين عنهما :

فقد حضرت يوماً مجلس السيد الكامل الفاضل أحمد بن عمر الهندوان باعلوي رحمه الله ،

---

(١) رواه البخاري : ٦٢٣١ .

فقال لي : يا الحساوي . قلت : لبيك .

قال : ما الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ ؟

فقلت كما حفظته من قول سيدنا عبدالله : إنه هو الفقر المقرون بالتضجر والتبرم ، والتسخط لقضاء الله تعالى .

فقال : لا ، ما هو هذا ، فاسأل حبيبك - يعني سيدي عبدالله - .

فقلت : هكذا حفظته من قول حبيبي . قال : لا ، فاسأله عن ذلك .

وكان ذلك يوم الخميس ، وكنت مرتباً زيارته وحضور مجلسه يوم الخميس والجمعة ، فبعد ذلك بثلاثة أيام ، وهو يوم الأحد ، كنت أماشي سيدنا عبدالله خارجاً إلى السبير ، على عادته من خروجه إليه كل يوم أحد إلا لعذر ، فهو يسير مشتغلاً بقراءة ورده ، ونحن نسايره جماعة خارجين معه ، وهو مشغول عنا بالقراءة ، إذ سكت عن القراءة والتفت إلي وقال : « يا حاج » . قلت : لبيك . وما كان يسميني ويدعوني إلا بقول : « يا حاج » .

فقال : « ما قط سألك السيد أحمد عن مسألة ؟ » .

فقلت : بلى سألني يوم الخميس ، وقال : ما الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ ؟

قال : « فماذا قلت له ؟ » .

قلت : فقلت له عن قولكم أنه الفقر المقرون بالتضجر والتبرم والتسخط لقضاء الله تعالى .

قال : « فما قال لك ؟ » .

قلت : قال : لا ما هو هذا ، فاسأل حبيبك عن ذلك .

قال رضي الله عنه : « أنت ما تعرف السيد ، ما سألك ليستفيد منك ، إنما سألك ليرى ما عندك من العلم ، فإذا سألك بعدها فلا تجبه بشيء ، وقل : أنا مستفيد . وخله يحكي لك بما عنده ، والذي عندك هو محفوظ » انتهى .

قال الأحسائي : أي مضموم . فاعجب لهذه المكاشفة العجيبة من سيدنا نفع الله به ، وما وقعت إلا لأمر ، فعزمت بعد ذلك على أنه إن سألني عن شيء أن أقول وأفعل ما أمرني به سيدي .

فلما كان الخميس الآخر أتيته على العادة ، فلما استتم المجلس سألني عن المسألة بعينها ، ونسي أنه سأل عنها أولاً ، أو أنه كشف له ، وأراد أن أقول له كما أمرني سيدي ، ليقول فيها ما قال . فلما سأل قلت : الله يحفظك ، أنا مستفيد . أي طالب فائدة لا مدعي علماً .

فقال : الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ هو خوف الفقر . فحفظت ما قال وسكت ، فلما كان يوم الأحد ، وسرنا مع سيدنا إلى السبير ، أخبرته في الطريق بأن السيد سأل أيضاً عن المسألة كما سأل عنها أولاً ، وأني قلت له : أنا مستفيد . كما أمرتني ، فقال : « ماذا قال ؟ » .

قلت : قال في معنى ذلك : أنه خوف الفقر . فقال : « هكذا » . أي كن هكذا ، أو قل ذلك له إذا سألك وخذ جوابه وافهمه .

ومعنى سيدنا : مدح فقر اليد إذا صحبه غنى القلب ، فسلم فيه من الأوصاف المذكورة وما دعت إليه ، ولا يكون ذلك إلا مع غنى القلب والزهد الصادق . وتفضيله إذا كان كذلك على الغنى بالمال ، ولو كان زاهداً صادقاً ، فإن خلي عن الزهد وصحبه فقر القلب ، بأن كان كما قال : يتمناها ويده خالية منها ، كان حينئذ أخس من الأغنياء ، وكان فقره هو الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ .

ومعنى السيد أحمد : تفضيل غنى القلب على غنى اليد ، وذم فقره مطلقاً من غير نظر إلى غنى اليد وفقرها ، فمهما خاف الفقر ولو كان غنياً فهو فقير القلب ، وهو المستعاذ منه ، فإذا استغنى القلب ففقر اليد لا يضر ، وفقرها وغناها سواء ، وإذا افتقر القلب فلا ينفع معه غنى اليد .

❁ ❁ ❁

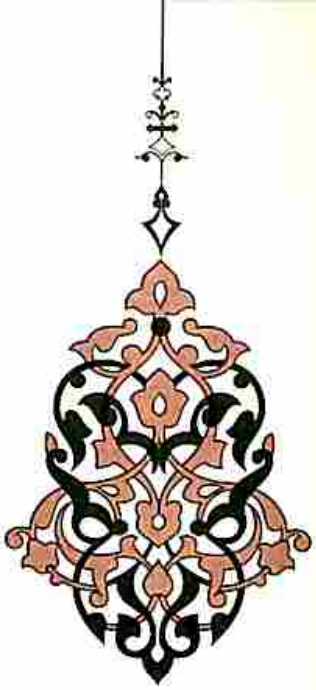

الحديث رقم (٦٠)

قال ﷺ : « الزَّهادَة في الدُّنيَا تُريحُ القَلبَ وَالبَدَن ، والرَّغبَة في الدُّنيا تُكثرُ الهَمَّ والحَزَن » .

قال رضي الله عنه في حديث : الزَّهادَة في الدُّنيَا تُريحُ القَلبَ وَالبَدَن ، والرَّغبَة في الدُّنيا تُكثرُ الهَمَّ والحَزَن[1] : « أي يستريح قلبه عن همها ومحبتها ، والفكر في جمعها وحفظها ، وبدنه عن طلبها والسعي لها ، وزهد القلب أفضل من زهد الظاهر ، وأما مع الرغبة فإذا زَهِد في ظاهره وهو راغب يكون فتنة وبلاء على نفسه وعلى غيره ، فيغتر به ، وأما إذا زهد في الدنيا أولاً ، ثم أقبلت عليه وكثرت ، فلم تشغله وفرقها فهو الزهد الكامل ، وهو زهد النبي ﷺ ، وزهد الصحابة رضي الله عنهم » .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٨ : ٣٤٨ .

الحديث رقم (٦١)

قال ﷺ : « فوَالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُمْ ولكنِّي أَخْشَى أن تُبْسَطَ الدُّنْيا عليكُمْ كما بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قبلَكُم فَتَنافَسُوها كَما تَنافَسُوها فتُهْلِكَكُمْ كما أهلَكَتْهُم » .

قال رضي الله عنه في حديث : فوَالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُمْ ولكنِّي أَخْشَى أن تُبْسَطَ الدُّنْيا عليكُمْ كما بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قبلَكُم فَتَنافَسُوها كَما تَنافَسُوها فتُهْلِكَكُمْ كما أهلَكَتْهُم[1] : « وكان ابتداء الفتنة في أول الإسلام – أو قال : في أول الأمة – على محبة الدنيا ، يتقاتلون على طلب الملك » .

قال الأحمائي : ويعني : « أول الإسلام » ، بعد الخلفاء الراشدين الأربعة ، الذين قال ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ[2] . يعنيهم بذلك ، حيث علم أنهم على سنته لا يشذون عنها ، وذلك منه ﷺ حث على الإقتداء بهم خاصة ، واتباع سيرتهم وهديهم ، لتقدمهم بعده على دينه وسياسة أمته ، وذلك بعدما حث عموماً على الإقتداء بأصحابه كافة ، بأي واحد منهم . حيث قال : أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم[3] . وذلك لمعرفته بحفظهم عن الخطأ ، من بركة رؤيتهم وجهه ومخالطتهم له ، وخلطتهم له تكسبهم قوة يقين وحفظاً لنظام الدين ، فإذا كان مجالسة غيره تسري في الجليس ، فكيف بمجالسته ؟

ومدة الخلفاء الراشدون ثلاثون سنة إلا ستة أشهر ، تتمتها خلافة الحسن ستة أشهر ، وهي مدة الخلافة الحق ، التي قال النبي ﷺ فيها مدة الخلافة الحق بعدي ثلاثون سنة ، ثم يكون ملكاً عضوضاً . ومن حين ابتدائه ، هو الذي أراد سيدنا بقوله : « كان ابتداء الفتنة في أول

---

(١) البخاري : ٢٩٨٨ ، ومسلم : ٢٩٦١ ، والترمذي : ٢٤٦٢ ، وابن ماجة : ٣٩٩٧ ، ومسند أحمد : ٤ : ١٣٧ .

(٢) جامع الترمذي : ٢٦١٩ ، سنن أبي داود : ٣٩٩٤ ، سنن ابن ماجة : ٤٣ ، مسند الإمام أحمد : ١٦٨١٢ .

(٣) رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) : ٨٩٥ ، وابن حزم في (الإحكام) .

الإسلام على محبة الدنيا ، يتقاتلون على طلب الملك » .

وذلك من ابتداء الملك العضوض بعد الثلاثين ، فتقاتل عبدالملك وأولاده ومن يليهم على ذلك ، وذلك في القرن الأول من الثلاثة التي هي خير القرون ، ثم دونه الذي يليه ، ثم دونه الذي يليه . فالثلاثون السنة مدة الخلفاء الراشدين خير كلها بلا شر ، ثم بعدها إلى آخر القرن فيه خير وشر ، والخير فيه أكثر ، والذي يليه كذلك ، لكن خيره دون خير الأول وشره أكثر من شر الأول ، وخيره أغلب من شره . والثالث دون الثاني خيراً وأكثر منه شراً ، والخير فيه أغلب دون غلبة الذي قبله ، والعبرة بالأغلب . وهذا ترتيبه في الحديث بثم ، وزادت خيرية الأول مدة الثلاثين ، مع أن خير ما بعدها من القرن أكثر من شره ، ثم بعد القرون الثلاثة ؛ الشر أكثر بكثير .

وكلما تأخر الزمان قل الخير وكثر الشر ، وهكذا نزولاً يتضاعف الشر ويتقاصر الخير إلى يوم القيامة ، حتى لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ومن لا يذكر الله ، ويرجعون إلى أحوال أهل الجاهلية ، ولا يتآمرون ولا يتناهون ، حتى أن الرجل يجامع زوجته والناس يرونه ، وطيبهم من يقول له : تنح واستتر لا يراك الناس . ثم ينقصون عن ذلك ، حتى أن الرجل يواقع المرأة بالحرام والناس يرونه ، وما أحد منهم ينهاه أو ينكر عليه ، ذكر ذلك بمعناه الإمام السيوطي رحمه الله انتهى .

الحديث رقم (٦٢)

قال ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مالٍ يُطْغِينِي » .

قال رضي الله عنه : « ومن طبع ابن آدم الطغيان إن وجد له محلاً ، سواء كان محقاً أو مبطلاً ، إلا إن قرع بالخوف ، فإذا كان النبي ﷺ مع كماله المطلق استعاذ وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مالٍ يُطْغِينِي .. الحديث[1] ، فما ظنك بغيره ؟ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾[2] » انتهى .

قال الأهدل : وكثيراً ما أسمع سيدنا عبدالله نفع الله به يقول ، في جملة دعائه بعد الصلوات المكتوبة : « وأعوذ بك من دنيا تلهيني ، ومن صاحب يرديني ، ومن مال يطغيني » .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي : ٤٢٨٩ ، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : ٥٦٠٦ ، والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي : ١٤٧٦ ، وكشف الأستار : ٢٩٢٠ ، والدعاء للطبراني : ٦٠٥ ، وعمل اليوم والليلة لابن السني : ١٢٠ .

(٢) سورة العلق ، الآية : ٦ .

الحديث رقم (٦٣)

قال ﷺ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا دَمًا عَبِيطًا ، لَكَانَ قُوتُ الْمُؤْمِنِ مِنْهَا حَلَالًا » .

قال رضي الله عنه في حديث : لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا دَمًا عَبِيطًا ، لَكَانَ قُوتُ الْمُؤْمِنِ مِنْهَا حَلَالًا[1] : « لأن المؤمن الكامل الإيمان لا يأكل إلا للضرورة ، لا للتشهي . كمن يأكل للضرورة لسد الرمق كأكل الميتة ، فإن كان حلالاً فذاك ، وإلا كان أكله للضرورة مباحاً فيكون أكله حلالاً على حال » .

قال الأحسائي : وتعريف المؤمن في الحديث ، أي المؤمن المعهود وهو الكامل الإيمان ، حيث أطلق لفظ المؤمن في الكتاب والسنة ، فيراد به هو دون غيره من سائر المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2] ، إلى آخر هذه الآيات وغيرها . وكما في الحديث : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وليس كل المؤمنين كذلك ، ولو خصصنا الإيمان بمن هو على هذه الأوصاف ، لأخرجنا أكثر الأمة عن الإيمان من كل من أقر بلسانه وصدق بجنانه وعمل بأركانه ، سيما وقد حصر الإيمان في الآيات المذكورة بأداة الحصر ، وهو لفظة : إنما ، من اتصف بتلك الأوصاف . ونفى في الحديث المذكور الإيمان عن من لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فدل على أن المراد بالمؤمن في كلام الله وكلام رسوله ، المؤمن الكامل .

ويناسب ما في الحديث من قوله : دماً عبيطاً . أن الشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن صاحب الرباط من بلاد دوعن ، وكان من أهل الحقائق ، وطريقته شاذلية كان مجاوراً في المدينة ، مع جماعة من أهل بلده ، فاجتمع فيها برجل شاذلي من أهل المغرب ، فأخذ عنه تلك الطريقة وفتح الله عليه : رأى أنه وقع سيل من دم ، طبق الأرض كلها ، وأنه تعلّى هو وأصحابه فوق تل مرتفع

---

(١) الأسرار المرفوعة : ٣٨٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

، ولا أصابهم منه شيء . فأخبر شيخه بالرؤيا ، فقال له : من أين تأكلون في بلادكم ؟ قال : لنا أراضي في بلادنا ، نرثها عن آبائنا عن أجدادنا ، فإذا جاءها السيل حرثناها فأكلنا مما حصل لنا منها . فقال له شيخه : إن الحرام قد طبق الأرض كلها ، وأنتم تأكلون حلالاً . أو كما رأى وكما قال له .

الحديث رقم (٦٤)

قال ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ » .

قال رضي الله عنه في حديث أبي هريرة : ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ .. الحديث[1] : « إن هذه المذكورة في الحديث كلها مما يقتضي إجابة الدعاء ، إذ ورد : إن دعاء المسافر مستجاب . وكم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبر قسمه ، ولكن مع أكل الحرام لم تنفعه تلك الأشياء في حصول الإجابة ، وإذا لم يستجب دعاؤه لذلك ، فكذلك صلاته » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، الباب : ٤٠ رقم : ١٣٠ .

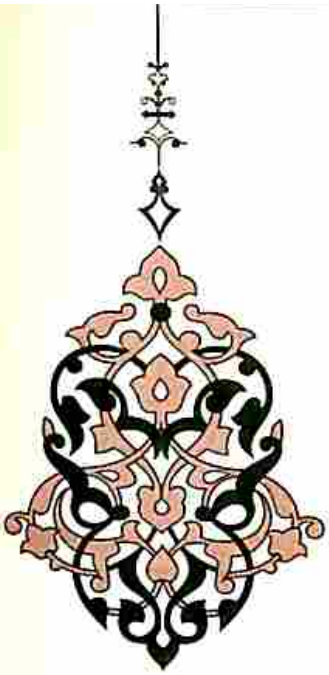

الحديث رقم (٦٥)

قال ﷺ: « إِنَّمَا تُرحَمُونَ بِضُعَفَائِكُم ، وابْغُونِي فِيكُمُ الضُّعَفَاء » .

قال رضي الله عنه في أهل الدنيا ، فقال : « في هذا الزمان قد ذهبت الدنيا عن أيدي الأخيار ، وصارت في أيدي الفجار - أو قال : في أيدي الأشرار - ، والفقراء كالمتاع في البيت ، هو الذي يحتاج أن يحفظ ، والأغنياء كالحجارة ، ولو أقبل الناس كلهم على الدنيا ما استاهلوا أن يحفظوا ، وإنما يحفظ الله خلقه بفقراء وصغار وشيبان . قال النبي ﷺ : إِنَّمَا تُرحَمُونَ بِضُعَفَائِكُم ، وابْغُونِي فِيكُمُ الضُّعَفَاء[1] . وفي أحد الوجهين في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ ﴾ الآية[2] ، ولولا الضعفاء رحم الله بهم الكافة لأصابهم العذاب » .

❊ ❊ ❊

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٠ : ٤٣ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

الحديث رقم (٦٦)

قال ﷺ: « ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخُيَلاءِ » .

قال الأحباني : وذكر الشح المطاع ، والهوى المتبع ، والإستغناء بالرأي ، وقد مرَّ الثلاثة في الحديث[1] وقت الدرس ، قال رضي الله عنه : « قد يكون في الإنسان الشح ، ولكن لا يضره إلا إن أطاعه ، بأن أطاعه في ترك واجب كالزكاة ، أو فعل حرام كأخذ مال حرام ، فلا شك أن ذلك يضره ، والشح هو الذي جرَّه إلى ذلك . كذلك الهوى ، كلٌّ فيه هوى لأنه من طبع النفس ، فإن اتبعه حتى وقع في حرام مما تدعوه إليه نفسه ، أو ترك ما يلزمه ، فلا شك أن ذلك مما يهلك الإنسان . والإستغناء بالرأي ، لكونه يمنعه من أن يستشير من هو أعرف منه ، فيقع هو في المحذور » انتهى .

قال الأحباني : كلامه هذا يشير إلى القاعدة المطردة ، من أن الطبائع الخَلْقِيَّة في الآدمي لا لوم ولا إثم عليه فيها ، لأنها خلق من خلق الله خلقها فيه ، لا مدخل له فيها ، كأعضاءه الحسية ، ولكن لها فيه دواعي اختيارية محرمة عليه يأثم بتعاطيها ، وقد أشار إلى ذلك الإمام الغزالي رحمه الله ، كالحسد والكبر والعجب وغيرها ، فإن أجاب الحسد مثلاً إلى ما يدعو إليه ، من السعي في إزالة النعمة عن المحسود ، وفعل ما يضره أَثِمَ ، ولو لم يفعل ما يدعوه إليه لم يأثم ، وكذلك إذا أجاب الكبر إلى التكبر على عباد الله والترفع عليهم ، واعتقاده أنه خير منهم ، وإذا لم يفعل ذلك لم يضره ، وإذا فعل ما يقتضيه العجب من استعظام طاعاته والدعوى بها ، فكل ذلك حرام يضره .

ولذلك أدوية يعرفها المخلصون الصادقون في عبادة الله ، من المحبة لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ، والتواضع ، ورؤية المنَّة لله ، وكذلك يجري في أمثالها ، كما جرى في الحديث المشار إليه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٠١)، وفي «الأوسط» (٥٩١٥) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٩)

من الثلاثة المذكورة ، كما فصلها سيدنا في قوله المتقدم .

الحديث رقم (٦٧)

قال ﷺ: « يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشُبُّ مَعَهُ خِصْلَتَانِ: الْحِرْصُ وَطُولُ الأَمَلِ » .

قال رضي الله عنه في قوله ﷺ : يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشُبُّ مَعَهُ خِصْلَتَانِ: الْحِرْصُ وَطُولُ الأَمَلِ[1] : « هذا خاص بأن من كانت في قلبه من صغره ، كلما كبر ازداد حرصه عليها ، وأما من عاش في صغره بالزهد ونحوه فالبعكس من ذلك ، ودليل ذلك من الحديث الآخر : يموت المرء على ما عاش عليه . أو أن معناه أن صاحب الدين والزهد في الدنيا ، كلما كبر ازداد زهداً فيها وتقللاً منها ، وصاحب الدنيا المحب لها ، كلما كبر ازداد ضعفاً في بدنه وعجزاً عنها وعن التمتع بها ، وفي قلبه تعلق بها ورغبة فيها وطلباً لزيادتها » انتهى .

قال الأحسائي : وهذا الأخير هو الظاهر اليوم من أحوال الناس ، من ضعفه عنها ، وشدة تعلق قلبه بها .

ولقد رأيت في هذا الوقت عجباً ، وهو من إنقلاب الأمور والأحوال فيه عن أوضاعها إلى أضدادها ، كما تقدم ذلك من قوله غير مرة ، وهو أني رأيت من جماعة غير واحد ، أنهم مرضوا مرضاً شديداً ، أشرفوا فيه على الموت ، وأيسوا من الحياة ، ثم إن أحدهم في قضاء الله وقدره لم يحضر أجله ، وبقي له شيء من العمر ، فعوفي وصح من مرضه ذلك ، فأقبل كل واحد منهم حينئذ على الدنيا بوجهه وقلبه وكليته ظاهراً وباطناً ، إقبالاً مفرطاً ، وشح بها شحاً متلفاً ، أشد من حاله قبل المرض ، ولو أنه كان قبل ذلك شديد الحرص عليها ، فأقبل عليها إقبال من لا يظن أنه يموت ، فصار من البخل والحرص أشد من الأول أضعافاً مضاعفة ، وما كان ينبغي منه هذا ، بل ينبغي كما أيس منها أن يكون عائداً إليها بسماحة نفس وقناعة ، وأن تهون على قلبه ، إما زاهداً فيها وإلا قانعاً منها ، فصار الأمر في أهل هذا الزمان بالعكس ، فياللعجب منهم

---

(١) الحديث في شرح الإحياء للزبيدي ١٠ : ٢٣٩ ، وكشف الخفاء والإلباس ٢ : ٥٤٦ .

ومن أحوالهم ، فاعرف بذلك تحقق قوله رضي الله عنه في هذا ، وفي غيره أن الأمور تنعكس في هذا الزمان إلى أضدادها ، فينبغي أن يسمى الزمان مخيب الظنون ، فانظر مثل هذا وغيره كثيراً فاسأل به بصيراً .

الحديث رقم (٦٨)

قال ﷺ : « يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ » .

قال رضي الله عنه في معنى حديث : يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ[1] : « أي من أيام الآخرة ، وهو ألف سنة ، ونصفه خمسمائة سنة » .

قال رضي الله عنه : « يعني فقراء كل طبقة يدخلون الجنة قبل أغنيائها بذلك القَدْر » .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن حبان : ٢٥٦٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٨ : ٢١٢ .

ومن أحوالهم ، فاعرف بذلك تحقق قوله رضي الله عنه في هذا ، وفي غيره أن الأمور تنعكس في هذا الزمان إلى أضدادها ، فينبغي أن يسمى الزمان مخيب الظنون ، فانظر مثل هذا وغيره كثيراً فاسأل به بصيراً .

الحديث رقم (٦٨)

قال ﷺ : « يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ » .

قال رضي الله عنه في معنى حديث : يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ[1] : « أي من أيام الآخرة ، وهو ألف سنة ، ونصفه خمسمائة سنة » .

قال رضي الله عنه : « يعني فقراء كل طبقة يدخلون الجنة قبل أغنيائها بذلك القَدْر » .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن حبان : ٢٥٦٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٨ : ٢١٢ .

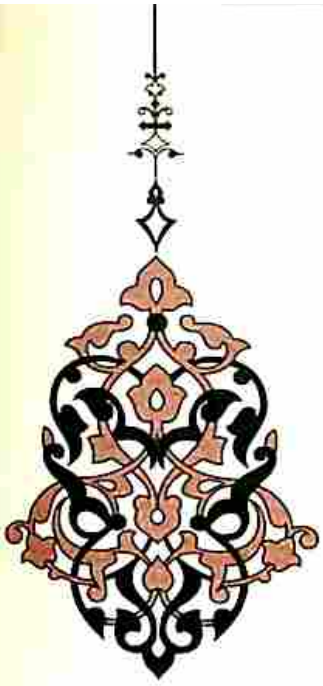

الحديث رقم (٦٩)

قال ﷺ: « يُحْشَرُ المحتكِرُونَ وَقَتَلَةِ النَّفس فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَة » .

قال الأحسائي : ودخل رضي الله عنه الضيقة يوم الجمعة تاسع ربيع أول سنة ١١٢٩ فرأى صبياً يتيماً فقيراً ، وكان تلك السنة في البلد قحط شديد ، والجهة مُسنِتَة جداً ، فقال له : « غَدَّوك ؟ » .

قال: نعم لكنه قليل .

قال رضي الله عنه : « اقنع اليوم بالقليل والشيء عند ربك . اليوم من معه شيء يقسمه بينه وبين مسكين ، ومن ما معه شيء وحصل له قليل يقنع به ، وأما أن يتسخط الإنسان القليل إذا أُعْطِيَه نُزِعَت منه البركة ، ومع القلة والضيق لا ينبغي أن يحاذر الإنسان ، بل يفعل كل شيء بقدر ، ومن خبأ التمر لا لأجل صدقته ، ولا لأجل مؤنته ، فهو محتكر ملعون ، وفي الحديث : إنه يحشر مع قتلة النفوس » .

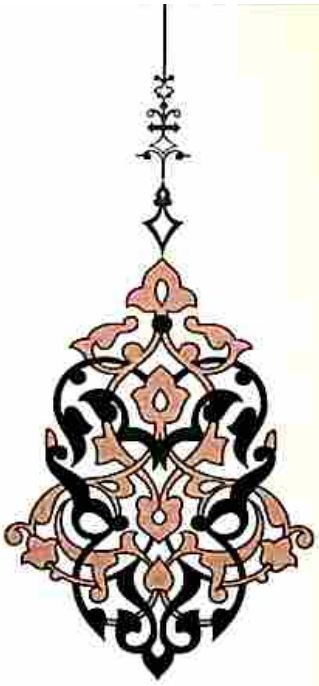

الحديث رقم (٧٠)

قال ﷺ : « إِنَّ الله تَعَالَى يُبْغِضُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ ، السَّخِيَّ عِنْدَ مَوْتِهِ » .

قال الأحسائي : ومرَّ في القراءة حديث: إِنَّ الله تَعَالَى يُبْغِضُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ ، السَّخِيَّ عِنْدَ مَوْتِهِ[1] .فقيل : أليس هو أحسن ممن لم يفعل أبداً ؟

قال رضي الله عنه : « وورد : إنك إن تترك ورثتك أغنياء ، خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس[2] . وايش هذا الكرم الذي جاءه عند الموت ، بعد أن لم يفعل محتسباً لله تعالى في حال صحته بل لا يجوز له إن قصد أن يُحرِم ورثته » .

❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث في مسند الفردوس ١ : ٢٠٣ ، والجامع الصغير ١ : ٧٥ ، والمغنى عن حمل الأسفار ٣ : ٢٤٩ .

(٢) الفوائد المنقاة العوالي الحسان للسمرقندي : ٧ .

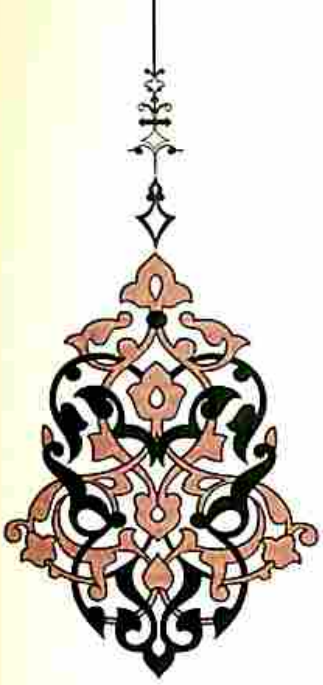

الحديث رقم (٧١)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِر » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِر ، وَبِأَقْوَامٍ لا خَلَاقَ لَهُم[1] : « كما ترى أقواماً يقاتلون الكفار مرادهم الغنائم وأخذ البلدان ، فيحصل بهذا دفع عن الإسلام والمسلمين ، وآخرين يقاتلون قطاع الطريق ، وغير ذلك مما يقوى به الدين ، وأكثر ما يكون ذلك في الولاة ، أفلا يكونوا أولئك من خير الناس » .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه : ٤٥١٧ ، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة : ٢٢٥١ ، وابن حزم في المحلى ١١ : ١١٣ .

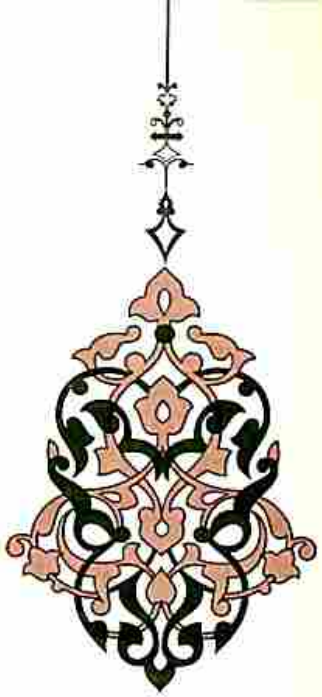

الحديث رقم (٧٢)

قال ﷺ: « إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[1] : « أي الحذق في الأمور ، بأن يأخذ فيها كما ينبغي ، ولا يجلس ويتسهن من الناس ، وهذا في أمور الدين ، وأما في أمور الدنيا ، فالعجز أحسن » .

قال الأحسائي : أي إن لم يكن محذور .

---

(١) أبو داود : ٣٦٢٧ ، وابن ماجة : ١٣٦٧ ، وأحمد بن حنبل ٦ : ٢٥ ، والبيهقي ١٠ : ١٨١ .

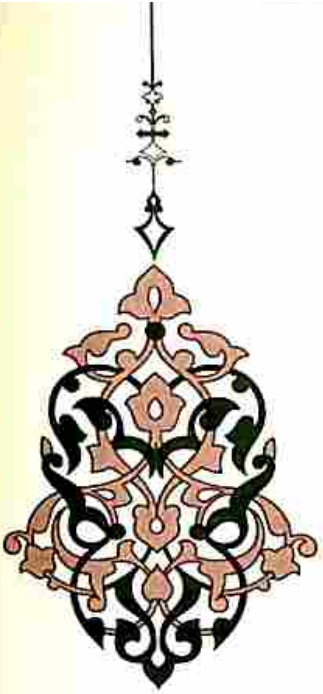

الحديث رقم (٧٣)

قال ﷺ : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ .. الحديث[1] : « أما خوفه في الدنيا : بأن يجتنب ما نهى عنه من حرام ومكروه وفضول ونحو ذلك ، وأمنه بالغفلة عن الله ، وتضييع ما ذكر ، ويتناول كل ما يشتهيه ، ويفعل كلما أراد ، ولا يبالي ولا يمنع نفسه مما يذم » .

❋ ❋ ❋

---

(١) ابن حبان : ٦٤٠ ، والبيهقي : ١١٤٥ ، والزهد والرقائق لابن المبارك : ١٥٧ .

الحديث رقم (٧٤)

قال ﷺ: « إِنَّ الله قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا ابْتَلَيتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، فَلَيسَ لَهُ جَزاء إلا الجَنَّة . أو كما ورد[١] : « يختلف الأجر باختلاف الصبر ، واختلاف طول المدة بعد ذلك وقصرها ، فيزيد الأجر وينقص بحسب ذلك ، وإذا كان ذلك في صغره أو كبره ، أو كان يحتاج إلى التمتع بهما أكثر ، فله على قدره ، وتتفاوت منازل الصبر في الدرجة الواحدة ، كما تختلف في الدرجتين ، وكثير من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين حصل لهم ذلك في آخر أعمارهم ، كعبدالله بن عباس وكعب بن مالك والشيخ أبي بكر بن عبدالله العدني[٢] وغيرهم » .

قال رضي الله عنه : « إن جملة من الصحابة والتابعين ومن السادة آل باعلوي كُفَّت أبصارهم في آخر أعمارهم ، كابن عباس والشيخ أبي بكر صاحب عدن ، لكثرة المطالعة والكتابة سيما بعد العصر ، والسهر في الصبا ، وكثرة البكاء تعمش العيون ، ولما كف ابن عباس أنشد[٣] :

إنْ يأخُذِ الله من عينيَّ نُورَهُما ... ففِي لِسانِي وقلبي مِنْهُما نورُ
قلبي ذَكيٌّ وعَقلي غَيْرُ ذي دَخلٍ ... وفي فمِي صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ» .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣ : ٣٧٥ ، عن أنس بن مالك .

(٢) ولد بمدينة تريم بحضرموت سنة ٨٥١ هـ ، وتوفي بعدن سنة ٩١٤ هـ .

(٣) كتاب الحيوان/ الجاحظ، باب شعر في الخصب والجدب: ج ١ ص ٢١٦.

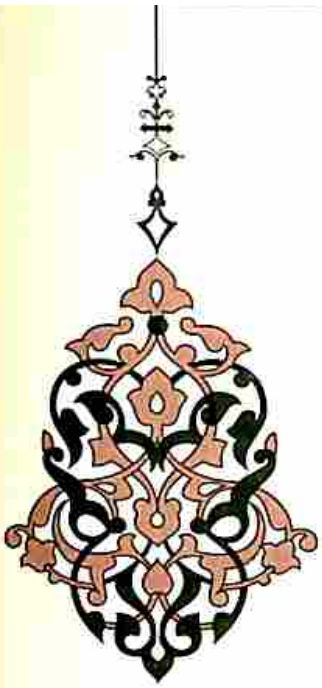

الحديث رقم (٧٥)

قال ﷺ : « مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ الله رِدَاءَهَا ، إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ الله رِدَاءَهَا[١] : « أي حسنة كانت أو سيئة ، ويلبسه ذلك بالجملة لا بالتفصيل ، وهو أنه إذا أسر حسناً حصل له القبول عند الناس ، وأثنوا عليه خيراً ، وإن أسر سيئاً لم تقبله قلوبهم وأثنوا عليه شراً ، وربما برز منه قليل - أي مما أسر - فاستدل به على الباقي من الأمرين وعرف به » .

قال الأحسائي : قد جاء ما يحقق ذلك ويشهد له في حديث وفي قصة .

أما الحديث : فهو أنه ورد : إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر[٢] .

وأما القصة : فحكي أن رجلاً في وقت الحسن البصري[٣] قال : لأعبدن الله عبادة يذكرني بها الناس . فكان يصوم النهار ويقوم الليل ، وأول داخل للمسجد وآخر خارج منه ، فكان الناس إذا رأوه شتموه وسبوه وأثنوا عليه شراً ولعنوه ، وقالوا : لعن الله هذا المرائي الكذاب . ثم إن الله بعد ذلك ألهمه رشده ، فقال في نفسه : أراني أعمل في غير معمل ، فماذا ينفعني به الناس ؟ والله لأخلصن عملي لله . فأخلص نيته لله ولم يزد على ما كان يعمل من عبادته تلك شيئاً ، فصار الناس بعد ذلك إذا رأوه قاموا له وقبّلوا يديه وتمسحوا به ، واعتقدوه وأثنوا عليه خيراً .

---

(١) الأمالي الخميسية للشجري : ١٨٨٨ .

(٢) المستدرك : ١٣٩٨ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، ولد سنة ٢١ هـ ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

فانظر الفرق بين الحالتين ولم تختلف منه إلا نيته ، لما كانت سيئة أبغضوه ولعنوه وأثنوا عليه شراً ، فلما حسنت وصلحت أحبوه واعتقدوه وأثنوا عليه خيراً ، وهذا مصدق لقوله ، وبهذا إن الظاهر تابع للباطن صلاحاً وفساداً ، فيلبس الله ظاهره ما تلبس به باطنه ، ويظهره للناس على كلا الوجهين انتهى .

الحديث رقم (٧٦)

قال ﷺ : « لِيَلِني مِنكُمْ أُولوا الأَحْلامِ والنُّهَى » .

قال رضي الله عنه : « لا تحرك أهل الزمان ، فإن حركتهم ظهر من أمورهم الباطنة أشد من أمورهم الظاهرة ، التي أنت مشمئز منها ، وأهل الحق إذا فسد الزمان ، يتعين عليهم أن يتشبهوا بأسلافهم ، قال النبي ﷺ : لِيَلِني مِنكُمْ أُولوا الأَحْلامِ والنُّهَى[1] . وكذلك السلطان والتاجر ينبغي لكل أن يتشبه بسلفه ، فإذا لم يقدروا على كمال الإقتداء بهم والفعل بمثل فعلهم ، فليقاربوهم في ذلك ، لأن كل عامل من محترف أو عابد له إمام يقتدي به ، ومن لا له إمام فإمامه الشيطان ، فكل من يقتدي بأحد يقال له إمامه ، حتى إن المتبوعين من الكفار سموا أئمة ، قال الله تعالى : ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾[2] » انتهى .

قال الأحدل : يعني يقتدى بهم في أفعالهم وسيرهم المحمودة شرعاً ، ديناً ومروة ، ويؤسِّسوا أمورهم وسيرهم عليها ، لا على السيئة في الشرع والمروة ، فمن لا له سيرة في الخير وإمام فيها يقتدي به ، فبالضرورة الجذب إلى ضدها ، وهو دعوة الشيطان التي يدعو إليها ، فكأن الشيطان إمام سالكها ، كما قال سيدنا علي في خُطبته : ألا إن لكل مقتدٍ إماماً يقتدي بآثاره ، ويستضيء بأنواره ، ومن لا له إمام في الخير كان إمامه الشيطان في الشر ، ألا إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن مطعومه بقرصيه .

ويعني بقوله : إمامكم . يعني نفسه ، ومراده يقول : فاتبعوني في ذلك قناعة وزهادة ، لتكونوا مقتدين في الصواب بإمام قدوة لكم إلى الحق ، وإلا صرتم مقتدين بالشيطان ، وصار قدوة لكم إلى الباطل ، مقتدين به إليه ، فمن لا له سيرة حسنة في الشرع والمروة ، وكان في سيره

---

(١) أخرجه أبو داود : ٦٧٤ ، والترمذي : ٢٨٨ ، والنسائي ٢ : ٨٧ ، وابن ماجة : ٩٧٦ ، وأحمد بن حنبل ١ : ٤٥٧ ، والدارمي ١ : ٢٩٠ ، والبيهقي ٣ : ٩٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢ .

مقتدياً بالنبي ﷺ ، وبأهل الديانة والفتوة ، كان سيرته الباطل وقدوته الشيطان وإمامه في ذلك ، فإذا بطلت السياسة بطلت الرئاسة .

وقد كانت هذه الأمور الجميلة من اتباع الشرع والمروة تهم الأخيار في أوقات الخير ، ويحبون الإقتداء فيها بأسلافهم ، وأما اليوم فلا تهمهم ولا يتشبهوا فيها بآبائهم الصالحين ، رغبة في الإقتداء بجميل أفعالهم ، بل للتجمل بين الناس بانتسابهم إليهم ، كما ترى من أراد أن يرفع نفسه بدعوى السيادة ولو كذباً وزوراً وضع على رأسه خرقة خضراء ، ليراه الناس كذلك ، ويظنوا به ما ادعاه ، والله حسيبه إن كذب ، وينتسبوا إليهم أيضاً لأجل أخذ أموالهم والترفع بهم ، ثم هم ينكصون عن جميل أحوالهم وأفعالهم ، فلهذا سمى من تجردت فيه دواعي الردى ، وتخلفت عنه دواعي الهدى : ميتاً . وصح وصدق قول سيدنا علي كرم الله وجهه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم انتهى .

❋ ❋ ❋

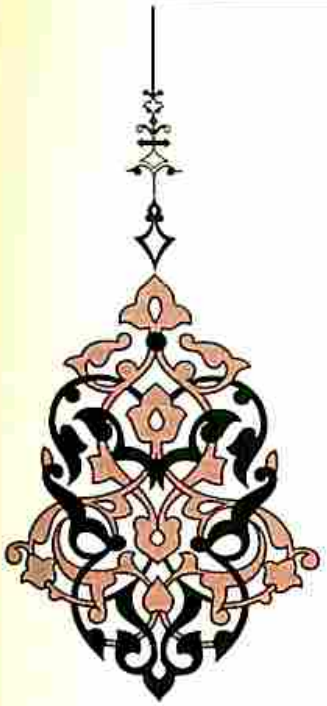

الحديث رقم (٧٧)

جَعَلَ ﷺ يَصِف الحُمَّى لِرَجُلٍ ، ثُمَّ قال ﷺ : « أَتُرِيدُ أَنْ أَزِيدَكَ مِنْ وَصْفِهَا ؟ فَقَالَ : لا ، لو لم يَكُن إلا مَا ذَكَرْتَ » .

قال الأحسائي : دخل عليه السيد زين العابدين بن مصطفى العيدروس ، وذلك في مرضه سنة ١١٣٠ ، قال رضي الله عنه : « الحمد لله حصلت العافية - أو : العافية حاصلة - وإنما هي حمى خفيفة ، وإذا كان الإنسان يروح ويجيء ، ويقيم صلاته ، ولو كان معه أمراض خفيفة ما يخالف . وإنما المرض ما أقعد الإنسان ، وقد لي نحو سنتين ما أصلي إلا وأنا ماسك بالحائط ، ومنذ مكثت في الدار لا أخرج ، إنما أصلي جالساً واسترحت بذلك . والعافية من الله سبحانه ، والعبد ضعيف ، وفي بعض الأحاديث : أن النبي ﷺ جعل يصف الحمى لرجل ، ثم قال له النبي ﷺ : أَتُرِيدُ أَنْ أَزِيدَكَ مِنْ وَصْفِهَا ؟ فَقَالَ : لا ، لَو لم يَكُن إلا مَا ذَكَرْتَ ، أو يكفيني ما ذكرت » .

❁ ❁ ❁

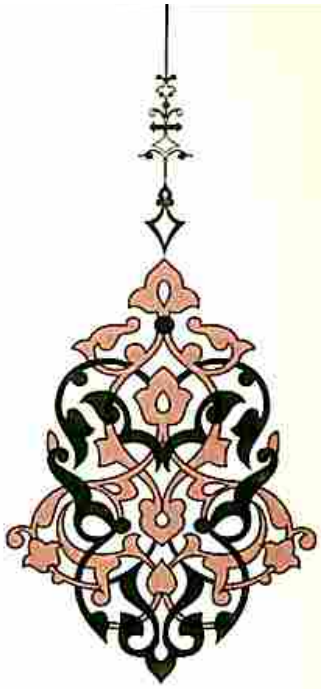

الحديث رقم (٧٨)

قال ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » .

قال الأحسائي : وتكلم في علامات المنافق الثلاث[1] ، قال رضي الله عنه : « ما هو أنه لا يَصدق أبداً ، فقد يصدق ويوفي ولا يخون ، ولكنه لأدنى غرض يكذب ، ولأدنى داعية يخون ، ولأدنى عذر يخلف ، وذلك لعدم التقوى فيه » .

قال رضي الله عنه : « من الخيانة في الأمانة ، أن يحدث بها وصاحبها لا يرضى بذلك . وما زالت خيانته خفية فهو منافق فإذا ظهرت كان فاجراً ، فالخفاء نفاق والظهور فجور ، وعدم العدالة والأمانة تسقط الثقة به ، وبكذبه تسقط الثقة بقوله » .

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه ، من حديث أبي هريرة .

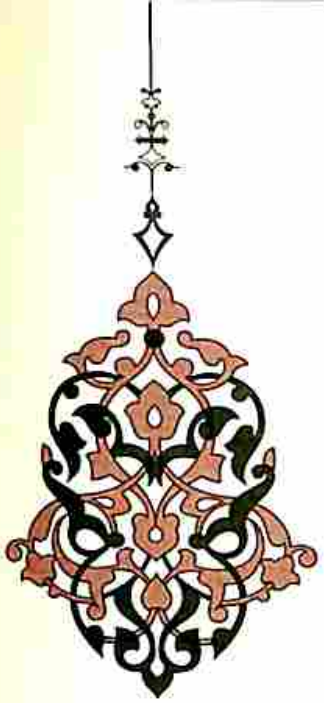

الحديث رقم (٧٩)

قال ﷺ: « لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ .. الخ » .

قال الأحائي : وذكر ابن عربي يوماً ، قال رضي الله عنه : « شرط العارف أن يمضغ بكل أضراسه ورحاه وشقيه ، كابن عربي يتكلم في الحقائق ، مع مبالغته في تعظيم الشريعة ، ومعرفته في كل علم ، فإن من كان مثلاً يعرف الحِرَف كلها ، فهو حِيك - أي حائك - وصبان - أي غسال - وحراث وغير ذلك ، جامعاً للجميع ، فيجيه واحد ما معه - أي لا يعرف منهن - إلا واحدة ، فينكر عليه . فكيف ينكر على من هو أعرف منه في فنه ، فضلاً عن غيره ، ومن أين علم المنكِر أنه في ذلك غير مغلوب ، ألا حملوا قوله على قول القائل حيث قال لما وجد الراحلة : اللهم أنت .. الخ ، حيث أخطأ من شدة الفرح كما في الحديث[1] ، وهذا أيضاً في القول إن صح عنه ، وإلا ففي باطن الإنسان خواطر هي كفر صريح ، والرجل مستقيم في فعله ، غير مستقيم في قوله ، ولأنه إذا سيب سيب كالمدفع ، ومن دعا الناس إلى ذمه ، ذموه بالحق وبالباطل ، وعقيدته وفعله على غاية الإستقامة دون كلامه ، وكلامه أقرب إلى السلامة من كلام ابن الفارض ، لأنه ما يذكر حقيقة ، إلا ويذكر لها عشر كلمات في الإستقامة ، والحاصل إن الضعيف لا ينبغي أن يتعرض للبحور لئلا يغرق فيها » انتهى .

قال الأحائي : وأول الحديث المشار أنه : لله أفرح بتوبة عبده المؤمن ، من رجل ضل راحلته ، وعليها ماؤه وزاده ، حتى إذا أيس منها نام تحت شجرة ، وقال : أنام تحت هذه الشجرة ، حتى يدركني الموت ، فنام ثم انتبه ، فإذا راحلته واقفة عند رأسه ، ففرح بها فرحا شديداً ، وقال : اللهم أنت .. الخ . وقد ذكر كلمة منكرة أخطأ فيها خطأ فاحشاً ، ذهولاً منه لشدة فرحه . وإنما ضرب النبي ﷺ المثل بقصة هذا لشدة ترغيبه في التوبة ، ولأن ما يتوب عبد إلا إذا تاب

---

(١) البخاري ٨ : ٨٤ ، ابن ماجة ٤٢٤٩ ، أحمد بن حنبل ٢ : ٥٠٠ .

الله عليه ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾[1] ، فدل قوله ما يتوب حتى تتقدمه توبة الله عليه أولاً .

وقوله : « البحور » ، هم من وسع الله له في الوهب والعطاء بفضله وسابق عنايته ، ومن قلل له في الوهب والعطاء ، أو من لم يعط مما أعطوا ، لا يجوز له أن يتعرض لأولئك الأكابر بإنكار واعتراض ، فيهلك في دينه . وهو مراده بالغرق ، ومثل بواجد الدابة بعد إياسه منها ، حيث أخطأ هذا الخطأ الكبير فعفى الله عنه ، ولو تعمده لكفر ، ولا يعفو الله عنه إلا بتوبة نصوح بشروطها ، وقوله ذلك يعرفه من يعرف العلم ، ولا ينبغي ذكره ، ولذلك أشار إليه سيدنا لأجل التمثيل ، ولم يذكره .

وقوله : « ففي باطن الإنسان خواطر هي كفر صريح » ، يعني لما كان خطأ هذا الرجل ، مع إنه تكلم به وظهر منه في الظاهر ، حيث إنه بغير قصد منه ، فكيف بالخواطر الكامنة بالقلب بلا ظهور إلى الظاهر ، فهي أولى بالعفو منه سبحانه ، وإن اشتد خبثها وكفرها لو ظهرت .

وقوله هنا : « وكلام ابن عربي أقرب إلى السلامة من كلام ابن الفارض » ، وبعض كلام ابن الفارض أقرب إلى السلامة من كلام ابن عربي ، يعني أن في بعض كلام كل واحد منهما ما هو أقرب إلى السلامة من بعض كلام الآخر ، وبعض من كلاميهما عكس ذلك ، فأشار إلى كل منهما بذلك .

قال الأحسائي : وقد أمرني سيدي بقراءة « رسالة القدس في مناصحة النفس » عليه ، لابن عربي ، وكان يمدحها كثيراً ، لأنها كلها فوائد ، وليس فيها مما يشكل شيئاً ، فلما أتممتها عليه ، *قال رضي الله عنه* : « لا تعود تمر نظرك فيها ، لأن كلامه مظنة الفتنة ، وإن كان في نفسه في غاية الإستقامة » .

وقد سأله بعضهم عن من ينكِر على ابن عربي ، *قال رضي الله عنه* : « هو جدير بالإنكار عليه ، لكن ممن هو فوقه ، لا ممن هو في السناديس . ولكن النفس تميل إلى كلامه ، وتنفر من الكلام الذي فيه دواها ، وبه يحصل لها شفاها ، وهو كلام الإمام الغزالي ، لأن من طبع النفس أنها

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .

تنفر عما ينفعها ، وتميل إلى ما يضرها ، كما تنفر من قول الطبيب الحاذق الناصح إذا وصف لها الدواء » انتهى .

قال هذا مع ما كان يمدح هذه الرسالة ، ويأمر بمطالعتها ، قال رضي الله عنه : « ما في كتبه أوضح منها ولا أسلم من الشبه والخطر ، وأبين للصواب مثلها » .

ومع ذلك قال فيها ما قال ، شفقة منه رضي الله عنه ، وقد قال مؤلفها فيها : ولم يزل أكابر الأولياء مع الفقهاء في كل زمان كالفراعنة مع الأنبياء . فربما نهانا سيدنا عن مطالعتها لذلك وأمثاله ، مما يخاف أن يؤثر في القلب شيئاً انتهى .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (٨٠)

قال ﷺ : « لله تَعَالى مَلَكٌ مُوكَلٌ بالمقَابِر ، فَإِذَا دُفِنَ الميِّتُ وَسوَّى عَلَيهِ وَتَحَوَّلُوا لِيَنْصَرِفُوا ؛ قَبَضَ قَبضَةً مِنْ تُرَابِ القَبْرِ فَرَمَى بِها أَقْفِيَتَهُم وَقَال : انصَرِفُوا إلى دُنيَاكُم ، وَانْسُوا مَوْتَاكُم » .

قال الأحسائي : وَذُكر عند سيدنا رجل مات له ابن ، فتعب عليه كثير ، قال رضي الله عنه : « لا بد للإنسان من الصبر ، وإن لم يصبر رجع إلى التسلية ، فإن الإنسان يتسلى كما تتسلى البهائم ، فقد مات آباء الإنسان والأعزة عليه ، والناس مع الموت ألا مثل القافلة ، هذا قد حط وهذا يسير وهذا يحمل . ومن مات ما عاد عرف له خبر ، وغفل الناس عنه ، كأن لم يكن ، فإن الناس في دعوة الملائكة ، فإنه ورد : إذا وضع الميت في قبره قالت الملائكة لمن حضر : ارجِعُوا إلى دُنْيَاكُمْ ، أَنْسَاكُمُ اللهُ مَوتَاكُم[1] . والمصائب أول ما تبدو عظيمة ، ثم لم تزل تضمحل حتى تفنى كلها ، وهذه الدنيا كثيرة البلايا والمصائب ، ولهذا زهد فيها الصالحون » انتهى .

قال الأحسائي : يعني إن أمده الله بالصبر والرضا والتسليم ، واستراح قلبه وطاب عيشه ، فلا يحتاج إلى تسلي وتذكر ، وذلك ما يحصل إلا بموهبة من الله لمن أراد له ذلك ، وذلك دليل محبته لعبده ، وإن لم يحصل له ذلك وآلم قلبه جداً ، تسلى بما ذُكِرَ من ذِكْرِ من مات قبله من آباء الإنسان والأعزة عليه ، فتذكر نحو ذلك يُسَلِّي . فقد قال في الحِكَم : ما سُلِّيَ المصاب بشيء أحسن من ذكر من أصيب بمثل مصيبته .

ودل كلامه على أن التسلية إنما تكون مع عدم حصول الصبر ، فإذا حصل له استغنى عنها بحصول المقصود منها وهو الصبر ، فإن تحمل حاله فوق ذلك كان من أهل الرضا ، الذين فضلهم رسول الله ﷺ في مقام العبادة على الآخرين ، حيث قال : اعبد الله على الرضا ، فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير[2] . فذاك مقام الخاصة وهذا مقام العامة ، كما بينا

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك ١ : ١١٢ .

(٢) قال عنه الحافظ : أخرجه الطبراني .

الفرق بينهما فيما تقدم ، حتى إن أهل مقام الرضا يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ الآخرون بالعطاء ، لعلمهم أن ذلك مراد الله بهم ، فترجح في قلوبهم بذلك مراد الله على مراد نفوسهم ، كما قيل :

وَخَفِّفَ عَنِّي مَا أُلَاقِي مِنَ البَلَاء ... بِأَنَّكَ أَنْتَ المُبْتَلِي وَالمُقَدِّرُ

وأفهم قوله أن التسلية إنما تكون لمن ضعف عقله أو عدم العقل ، لقوله : « كما تتسلى البهائم » ، لعدم عقلها وتسليها بإلفها لرؤية من أصيب منها ، فإنك تراها تجفل وتخاف وتهرب إذا رأت ذبح شيء من أمثالها ، فإذا ألفت ذلك مراراً هان عليها ولم تجفل لرؤيته .

وذكر دعاء الملائكة ودعاهم مستجاب ، ولذلك غفل الناس عن أمواتهم ونسوهم ، وفي ذلك لهم فائدة ، حتى يَعْمُرُوا الدنيا ، وبعمارتها يعتمر الدين ، ولو خربت الدنيا خرب الدين لخرابها ، ولهذه الفائدة أمَرَ الله الملائكة تدعوا على الناس بذلك فيستجيب لهم فيهم .

❋ ❋ ❋

الحديث رقم (٨١)

قال ﷺ : « مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ فَلَا غيبَةَ لَه » .

قال رضي الله عنه : « من رأيتَهُ على معصية فقد أبدى صفحته ، فلا معنى لحسن الظن به إلا أن يظن به التوبة وعدم الإصرار ، وأما إذا كان ظاهر فعله طاعة أو يحتملها فلا وجه لسوء الظن ، وفي الحديث : مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ فَلَا غيبَةَ لَهُ » انتهى .

قال الأحسائي : معنى أبدى صفحته ، أي أعلن بمعصيته.

الحديث رقم (٨٢)

قال ﷺ : « غَيْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا الله ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا الله ، وَمَخِيلَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا الله ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا الله تَعَالَى ، الْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ يُحِبُّهَا الله ، وَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِهَا يُبْغِضُهَا الله تَعَالَى ، وَالْمَخِيلَةُ إِذَا تَصَدَّقَ الرَّجُلُ يُحِبُّهَا الله ، وَالْمَخِيلَةُ فِي الْكِبْرِ يُبْغِضُهَا الله » .

قال رضي الله عنه في حديث : غَيْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا الله ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا الله ، وَمَخِيلَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا الله ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا الله تَعَالَى . وفصلهما في باقي الحديث[1] : « المخيلة روضة يجدها المتصدق في نفسه عند الصدقة ، يفرح لكونه وُفِّق لذلك ، وعندما يُسأل فيرد السائل يرى في نفسه انقباضاً ، إن كان هو بصيراً بأخلاقه ضد ذلك - أي ضد تلك الروحنة - وكذلك المخيلة في الجهاد مثل ذلك ، يفرح إن وُفِّق لذلك » انتهى .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٤ : ١٥٤ ، والحاكم ١ : ٤١٨ ، ومجمع الزوائد ٤ : ٣٢٩ ، وابن خزيمة : ٢٤٧٨ .

الحديث رقم (٨٣)

قال ﷺ: « في كُلِّ زَمَانٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ ، وَلَيَجِدَنَّ ابنُ مَرْيَمَ مِنْ أُمَّتِي قَوْماً هُم مِثلُ حَوَارِيِّيهِ » .

قال الأحسائي : ثم ذكر الدولتين الأموية والعباسية ، ثم قال رضي الله عنه : « الحاصل إنه لم يكن فيهما مثل عمر بن عبدالعزيز » .

قال الأحسائي : ثم امتد به الكلام ، إلى أن ذكر الأئمة الأربعة ، وقوة العلم والدين في ذلك الزمان ، ثم قال رضي الله عنه : « وما عاد الناس اليوم في الذيول والكبول ، ما عاد شيء نور ، وإلا كان اهتدى الإنسان ، لكنها ظلمة لا يهتدى فيها ، ولكن رحمة الله مرجوة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : في كل زمان من أمتي سابقون ، وليجدن ابن مريم من أمتي قوماً هم مثل حواريه . وآية من كتاب الله تكفيك ، فإن لم تعرف معناها فاسأل عنه أهل العلم به ، وإذا كان في الأمر شيء عن النبي ﷺ ، فلا لأحد عنه مَعْدِل ، وما كان عن الصحابة فيتبع ، وما كان عن غيرهم فيؤخذ منه ويترك ، كما قال أبو حنيفة : قد كان الذي عليه المعول شيء قليل ، إما آية يحفظها ويعرف معناها أو حديث . كذلك هذا هو الذي كان من قبل ، وإنما اتسع الأمر بعد ذلك ، حتى صار الكتاب الواحد في مجلدات ، ثم نقحه الإمام النووي رحمه الله بعد ذلك ، هو وحجة الإسلام المجددين للدين » .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (٨٤)

قال ﷺ : « أَشْقَى النَّاس مَن أَدْخَلَهُ أَجْوَفَاهُ النَّار » .

قال رضي الله عنه : « أكثر ما يُدخل الناس الجنة التقوى وحسن الخلق ، وأكثر ما يُدخلهم النار الأجوفان : البطن والفرج . وقد ورد : أَشْقَى النَّاس مَنْ أَدْخَلَهُ أَجْوَفَاهُ النَّار » .

الحديث رقم (٨٥)

قال ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا وَنَزَلُوهَا بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، فَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، فَيَضَعُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، وَمَنَابِرَ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَمَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، وَمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرَ مِنْ فِضَّةٍ .. الخ » .

قال رضي الله عنه : « أمور الآخرة كلها محتملة ، ولا على الإنسان إلا أن يؤمن بها مجملة ، ولا يفصِّل ، وقد استدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾[1] ، إن الجن مؤمنوهم يدخلون الجنة ، ولما كانوا خلقوا من النار التي خلق منها إبليس قال العلماء : إنهم لا يرون الله تعالى ، ولم يَرد ذلك في صريح الأخبار وصحيح الأحاديث الواردة ، حتى إن النساء لم يصحَّ حديثٌ بالرؤية لهم ، بل في الأحاديث الصحيحة ما يوهم عدم ذلك ، كما في حديث : يُؤْذَنُ لأهلِ الجَنَّة في مِقْدَارِ جُمُعَةٍ .. إلخ ، وفي آخره : فَيَأْتُونَ أَهْلِيهِم ، فَيَقُولُونَ لَهُم : لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً . فهذا شاهد على أنهم بقوا في منازلهم ، ولم يروا معهم » .

قال رضي الله عنه : « إن كان من جُمع الآخرة ، فما هو إلا بعد سبعة آلاف سنة ، لأن اليوم من أيامها ألف سنة ، وإن كان من جمع الدنيا فقريب ، وهذا الإذن عام لخاصة المؤمنين وعامتهم ، وإنما يتميز الخاصة عن العامة بقرب المجلس وأحوال الكراسي ، وتجليه تعالى لكل مؤمن على قدره ، كما ورد : إن الله يتجلى لأبي بكر عامة خاصة ، كما يتجلى لغيره عامة . والقول بعدم إرادة الجنة أو عدم الخوف من النار من شطحات الصوفية التي اعترضوا عليهم فيها ، لأنهم إذا أرادوا النظر فلا بد لهم من الجنة ، ومثل ذلك قول من يقول : ما أريد إلا أن أدخل على السلطان وأراه ، ولا أريد غير ذلك ، وهو يأكل ويلبس ويركب من ماله ، وإنما .. » .

قال الأحسائي : وسقط علي بعد هذا هنا كلام من الأصل .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٧٤ .

الحديث رقم (٨٦)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ يَأْخُذُ بالمظْلَمَةِ الوَاحِدَةِ مِنَ الظَّالِمِ لمن ظَلَمَهُ ثَوَابَ سَبْعِينَ صَلاة مَقبُولَة » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ اللهَ يَأْخُذُ بالمظْلَمَةِ الوَاحِدَةِ مِنَ الظَّالِمِ لمن ظَلَمَهُ ثَوَابَ سَبْعِينَ صَلاة مَقبُولَة : « نعم ، إن حَكَمُوهُ في حسناته يأخذ هذا وزيادة ، لكن مقام العدل لا يقتضي هذا ، بل يعطى قدر حقه قَلَّ أو كثر ، لأن مقام الآخرة كله عدل ظاهر وباطن ، لأن أمره إلى الله لا سواه ، وأما العدل في الدنيا فهو ظاهر لأنه منسوب إلى الخلق ظاهراً ، ومنسوب إلى الله في الباطن أيضاً ، وكما أن الله تعالى طلب من الخلق العدل في الدنيا ، كذلك يعاملهم الله به في الآخرة » انتهى .

قال الأحسائي : يشهد لقوله هذا قول الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] ، وقوله سبحانه : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

وهنا فائدة حسنة ، ذكرها في كتاب انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، قال : ذكرها المفسرون كالامام النيسابوري والثعالبي والبغوي قال : وهي فائدة عظم موقعها في الصدور ، وعز مدركها في الورود والصدور ، ذكروها في تفسير سورة النمل عند قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾[3] ، قال محمد بن كعب القرظي ، وعبدالرحمن بن زيد : قوله تعالى : ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ، يعني الأضعاف التي أعطاه الله بالواحدة عشراً فصاعداً ، لأن للأضعاف خصائص ، منها أن العبد يُسأل عن عمله ولا يُسأل عن الأضعاف ، ومنها أن للشيطان سبيلاً إلى عمله

---

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣١ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ٨٩ .

ولا سبيل له إلى الأضعاف ، ومنها أنه لا مطمع للخصوم في الأضعاف ، ولأن الحسنة على قدر استحقاق العبد ، والتضعيف كما يليق بالرب سبحانه وتعالى ، وذلك أن العبد إذا كانت له حسنات تَعَلَّقَ به الخصوم الذين لهم عليه حقوق يوم القيامة ، وأما المضاعفة التي هي هبة من الله سبحانه ومنّة منه فلا سبيل لهم ولا مطمع لهم فيها ، فتؤخذ حسنات العبد التي عملها وتعطى للمظلوم الذي له عليه الحق ، ويبقى الذي عمل الحسنة المضاعفة التي هي نعمة من نعم الله الخطيرة وفضل من هباته الغزيرة ، فطوبى لنا أيها المؤمنون بهذه العطية السنية والنِّحلة الجسيمة البهية ، ومما يناسب هذه المنحة الجسيمة والموهبة العظيمة أن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصوم ، الصوم لي وأنا أجزي به[1] . فقد ذكر أبو الخير الطالقاني في معنى هذا الحديث خمسة وخمسين قولًا ، من أحسنها قولان :

أحدهما : أنه تتعلق به خصماؤه فتأخذ أعماله ، إلا الصوم فلا سبيل لهم إليه ، فربما نفذت حسناته فلم يبق له إلا الصوم .

والثانية : أن ثواب الصوم أكثر ثواب الأعمال مضاعفة ، فإنه يضاعف إلى سبعمائة ضعف . قاله سفيان ابن عيينة ، حكاه عنه ابن الملقن في كتابه البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير .

انتهى ما ذكره في كتاب انتهاز الفرص .

ومراده بالشرح الكبير ، هو المسمى العزيز شرح الامام الرافعي ، ويسمى المجموع على المهذب .

قال الأحسائي : هنا فهماً فهمه مما نقله صاحب الكتاب المذكور في الأضعاف ، وفي الصوم فضلاً من الله سبحانه كثواب القرض ثمانية عشر ، وثواب إنظار المعسر إن كان إلى أجل فله كل يوم بمثله صدقة ، فإذا حلَّ الأجل وأنظره بعد ذلك ، فله كل يوم بمثليه صدقة ، وكذلك إذا ضوعف العمل إلى سبعين إلى سبعمائة إلى حيث يشاء الله ، لقوله تعالى بعد بلوغ المضاعفة

---

(١) رواه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١) .

إلى هذا الحد : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] ، أي إلى هذا وأكثر منه . وكذلك في قضاء حاجة المسلم في الله ، يكتب له سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها ، وغير ذلك من كل ما ورد به النص من المضاعفة ، كما سنذكر أدلته أن كل ذلك لا يسأل عنه العبد ، كما يسأل عن عمله ، ولا يسلط عليه الشيطان ولا يتطرق إليه البطلان ، ولا مطمع للخصوم فيها ، فإنها كما تليق بالرب من تفضله على عبده وإحسانه إليه ، فلا يحول حائل بينه وبينها حتى تؤدى إليه تامة سالمة ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده .

وإنما ذكرت هذا حيث لم ينص عليه بتخصيص في اللفظ ، وإن كان داخلاً معه في المعنى ، وفي كل ما ذكر من شأن التضعيف وشمل الكل ، حيث أن كله فضل من الله ، حتى إن الصوم وهو من جملة الأعمال لم يجعل جزاءه كجزاء الأعمال ، من كونه حسنة عملها يجزى عليها بعشر ، على القاعدة التي أسسها الله في شرعه لعموم الخلق ، وجعل تلك المضاعفة خصوصاً بسبب مخصوص ، وبحسب كمال العمل ، وذلك لكمال عامله في قوة إيمانه وتمام معرفته بالله ، ورسوخ يقينه في ما وعد الله ، وما جعل الصوم كغيره ، فتدخل تلك العوارض في تلك الحسنة من تسليط الخصوم وما ذكر معها ، وإنما جعل جزاءه على صيغة أخرى من نسبته إليه ، وجزاءه على مراده به ، وضَمِنَ جزاءه عليه ، فالجزاء حيث جعله منسوباً إليه مع عمله ، كذلك فلا يتطرق إليه عارض يرده عما أراده سبحانه ، فكل ما تحقق نسبته إلى الرب فلا خوف عليه من ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة .

فحقق نسبتك إلى ربك بتجردك عن دواعي نفسك ، يتحقق لك كمال العبودية ، وتفيض عليك إمدادات الربوبية ، وتحيط بك عواطف الصمدانية من كل جهاتك ، بالحفظ من كل قاطع وضار بعناية الملك الجبار ، وإنما اختص الصوم بهذه المزية لما ورد فيه من مخالفة دواعي النفس لاتباع مراد الرب ، فلذلك حقق الله تعالى نسبته إليه وذلك أنه ورد في حديثه قال الله تعالى : يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، فالصوم لي وأنا أجزي به .

فافهم إنه ما كان بهذه المزية عند الله إلا بكونه صدر من العبد بهذه الصفة ، فكذلك تلك المضاعفات الكثيرة إنما كانت لصدور الأعمال كذلك ، فكل ما تحقق نسبته إلى الله من الأعمال كان بالمزية العلية عند الله من الأفضال ، ودلائل ما ذكرناه قد تقدمت في هذا النقل ، مما روى

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦١ .

الامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي رضي الله عنه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عن بريدة بن الخطيب الأسلمي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنظر معسراً فله كل يوم بمثله صدقة . ثم سمعته بعد ذلك بمدة يقول : من أنظر معسراً فله كل يوم بمثليه صدقة . فقلت : يا رسول الله ، سمعتك أولاً تقول : فله كل يوم بمثله صدقة . وسمعتك الآن تقول : فله كل يوم بمثليه صدقة . قال : إذا أنظره إلى أجل ، فله كل يوم بمثله صدقة ، فإذا حل الأجل وأنظره بعد ذلك ، فله كل يوم بمثليه صدقة[1] .

وذكر - أي السيوطي - في كتاب الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف ، حديثاً أسنده وصححه وبنى عليه كتابه هذا المذكور ، باسناده إلى أنس خادم رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قضى للمسلم في الله حاجة ، كتب الله له مثل عمر الدنيا سبعة آلاف سنة قيام ليلها وصيام نهارها . وما ذكر في فضيلة الإنظار بشرط أن لا يطلبه ، وأن لا يأخذ عليه رهناً ، ولا يبيعه بزيادة على سعر الوقت الحاضر لأجل الإنظار انتهى .

❋ ❋ ❋

(١) سنن ابن ماجة : ٢٤١١ ، مسند الإمام أحمد : ٢٢٣٦٨ ، المستدرك : ٢١٦٣ .

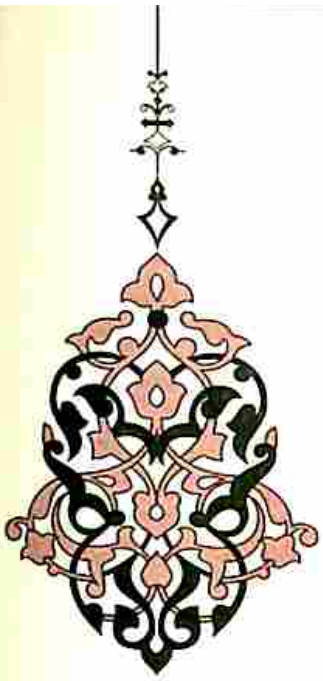

الحديث رقم (٨٧)

قال ﷺ : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْل زِنَاهَا الْخُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ .. الخ[1] : « يعني إن هذه الأعضاء المذكورات أبواب الفاحشة ، منها ما يتصل إلى القلب العزم عليها ، بسبب ما حصل من كل عضو بما يقتضيه ، ولكن تمام ذلك بفعل الفَرْج ، فبه تتم الفاحشة كلها ، وتأثم بها كل الأعضاء المذكورة ، وهو معنى قوله : يصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

قال رضي الله عنه : « أي يتم ذلك بفعله ، أو تبقى ناقصة من عداه » انتهى .

قال الأحسائي : انظر إلى هذا الكلام البديع ، الذي ما رأيته في شروح هذا الحديث قط ، تعرف أنه لسان الوقت ، واسطوان في هذا الدين في هذا الحين إلى يوم الدين ، على ما تقدم بيانه وتفصيله هـ .

قال الأحسائي : والإجتراح ، هو ما فعل بتلك الجوارح يسمى بذلك لذلك ، وأفعال تلك الأعضاء كلها صغائر تكفرها الصلوات والواجبات ، وهي مقدمات لفعل الفَرْج وهو الكبيرة ، فإذا تمت به أثم على تلك الصغائر إثم أمثالها ، وأثم بتلك الكبيرة إثم أمثالها ، فإذا اجتنبها خوفاً من الله كفرت ذنوب الأعضاء باجتنابها .

قال الإمام الغزالي : وهي على عدد أبواب جهنم ، لكل باب منهم جزء مقسوم ، ولا يستحق دخولها من تلك الأبواب إلا من عصى بتلك الجوارح . يعني معصية كل جارحة منها تجره إلى باب من تلك الأبواب ، ومن تلك الأعضاء أيضاً حصول الطاعات ، وثامنها القلب ،

---

(١) أخرجه مسلم ٢ : ٣٠١ باب القدر ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٣١٧ ، وشرح الإحياء ٥ : ٣٢١ ، وكنز العمال ١٣٠٦٤ .

وكلها بعدد أبواب الجنة الثمانية التي ورد : أن من توضأ وتشهَّد ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية إكراماً له ، ويدخلها من أيها شاء[١] . ومعصية كل عضو تكفر بطاعته ، وبفعل الأركان الخمسة ، ومن المعاصي ما لا تكفرها ، ويكفرها الهم بالمعيشة كما ورد[٢] ، وقد مثلوا لتلك الأعضاء بأن الفعل كالحوض ، والأعضاء السبعة كسبعة أنهار ينصب منها الماء إليه ، والماء مثل لأفعاله المؤثرة فيه انتهى .

❁ ❁ ❁

(١) روى مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩) والنسائي (١٤٨) والترمذي (٥٥) وابن ماجة (٤٧٠) وأحمد (١٢٢) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية .

الحديث رقم (٨٨)

قال ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلام : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله . فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : قُلْ إِنْ شَاءَ الله . فَلَمْ يَقُلْ ، وَنَسِيَ فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلا امْرَأَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ الله لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ » .

قال الأحسائي : وذكر قول النبي سليمان عليه السلام : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ .. الخ ، ولم يقل : إن شاء الله . الحديث[1] ، قال رضي الله عنه : « ينبغي إسناد الأمور كلها إلى المشيئة ، إلا ما لا خير فيه مما فيه سوء أدب ، وليس هذا بحكم منه ، إذ الحكم إنما هو الفعل » .

❊ ❊ ❊

(١) البخاري : ٤٩٤٤ ، ومسلم : ١٦٥٤ ، والبيهقي : ١٩٢٨٠ ، والترمذي : ١٥٣٢ ، والنسائي : ٣٨٣١ .

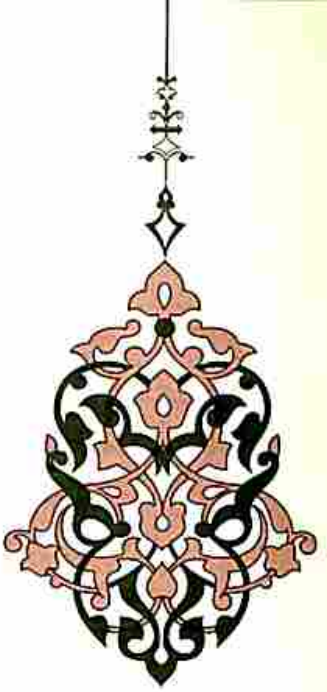

الحديث رقم (٨٩)

قال ﷺ : « إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فيهِ بِرِفْقٍ » .

قال رضي الله عنه في الوسواس فقال : « ما توسوس به في نفسك على أي وجه كان لا تؤاخذ به ، لأنه كلام الشيطان ، ولا يؤاخذ الإنسان بكلام غيره ، فتحسب أنه كلامك وليس بكلامك ، فلو تكلم أحد على النبي ﷺ - أي أو قال حراماً - هل تؤاخذ به أنت ؟ لا ، إنما يجب عليك الإعراض عنه ومنعه إن قدرت لا غير ، ووسوسة الشيطان كذلك ، وما سببها إلا مجالسة الأشرار وأكل لقيمات الحرام ، فاجتنبها أولاً ثم اجتنب الوسوسة ، أصلح الظاهر ثم أصلح الباطن ، ولا يمكن صلاحه إلا بعد صلاح الظاهر ، وترق في ذلك ، فإن الدين درجات ، قال عليه السلام : إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فيهِ بِرِفْقٍ[1] .

وينبغي إذا كثر عليه الوسواس أن يصلي مع طرف وسوسة ليزول ، لأنه يوسوس في ما يمكنه أن يحلف عليه ، أو يقيم عليه بينة » .

قال رضي الله عنه : « إن الله لا يؤاخذ الإنسان بوسواس الشيطان إذا كان له كارهاً وعقيدته بخلافه » .

قال رضي الله عنه : « وهذا الوسواس ما نقيم له وزناً ، لأن عندنا كلما خرج عن الإختيار لا نرى فيه حرجاً » .

قال الأحسائي : وتقدم أن رجلاً شكى إليه من كثرة الوسواس ، قال رضي الله عنه : « هذا بسبب الطعمة والخلطة ، فأطب مطعمك وخالط الأخيار ليزول عنك الوسواس » . أو كما قال .

---

(١) تخريج أحاديث الإحياء : ١١٣٩ .

قال رضي الله عنه : « الشبهة أشد على المتنسك من الحرام ، لأن الحرام يعرف بأنه حرام فيتجنبه ، وإن وقع عليه تاب منه ، والشبهة أمرها عسر فربما اعتقد حراماً أنه حلال أو بالعكس » .

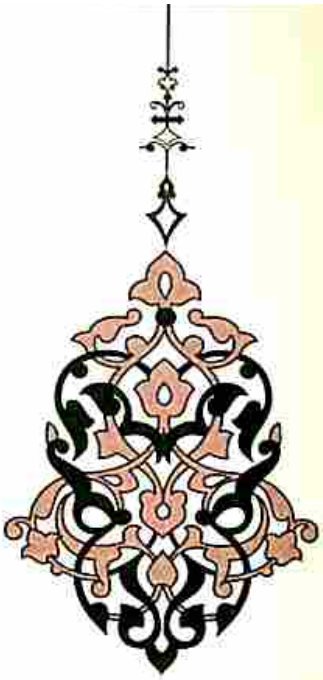

الحديث رقم (٩٠)

قال ﷺ : « أَشْرَارُ أُمَّتِي الصَّوَّاغُون » .

قال رضي الله عنه لمحترف صوَّاغاً : « اللهَ اللهَ في النصيحة في حرفتك ، على قدر جهدك ، واحذر فيها من الغش ، ففي الحديث : أَشْرَارُ أُمَّتِي الصَّوَّاغُون[1] » .

❋ ❋ ❋

---

(١) حديث : شرار أمتي الصائغون والصباغون ، أورده صاحب كنز العمال : ٩٤١٣ .

الحديث رقم (٩١)

قال ﷺ : « يُسْتَوْفَى لِلْقَرْنَاءِ مِنَ الجَمَّاء » .

قال الأحسائي : وسألته رضي اللهَّ عنه عن حديث : يُسْتَوْفَى لِلْقَرْنَاءِ مِنَ الجَمَّاء[1] .

قال رضي الله عنه : « لعل ذلك مبالغة ، ويبقى هذا على ظاهره ، لأن ذلك في قدرة اللهَّ تعالى ، وأمور الآخرة كلها تمر على ظاهرها ، ولا حاجة فيها إلى تأويل شيء ، إلا إن كان حديثاً واحداً واحتيج إليه ، فإن كان وردت أحاديث عند ذلك على معنى يترك ، ويجعل من الأمور السمعيات ، لأنها عند أهل العلم لا تؤول ، وقد جاء تخصيص بعض الحيوانات بدخول الجنة ، ولكن ذكر الإمام الغزالي : أن من ظَنّ أن الله تعالى سيحيي كل بقة وبعوضة حتى يسألها ، فقد انحل عن غريزة العقل ، فلعل ذلك إنما هو في حيوان له خطر » .

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن عدي ٢ : ٢٣٢ .

الحديث رقم (٩٢)

قال ﷺ : « إنَّ لِلْقَبْرِ رَجَّةٌ ، يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إلا الثَّقَلَيْن » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ لِلْقَبْرِ رَجَّةٌ ، يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إلا الثَّقَلَيْن : « حكى لنا رجل وكان ثقة : إنه أتى بعض البلدان ، فرأى قوماً معهم جنازة ، فأتوا بها المصلَّى ، وصلوا عليها ، قال : وصليت أنا معهم ، ثم حملوها إلى التربة ، ومضيت معهم ، فلما وضعوها في القبر ، هربوا في الحال مسرعين ، فعجبت من سرعة مسيرهم وركضهم كأنهم خافوا من شيء ، فسألت رجلاً منهم عن سبب ذلك ، فقال : إنا في بلدنا هذه ساعةَ نضع الميت في القبر نسمع للقبر رجة شديدة ، فنهرب خوفاً منها حتى لا نسمعها » .

❊ ❊ ❊

الحديث رقم (٩٣)

قال ﷺ : « يَأْتِي زَمَانٌ القَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : يَأْتِي زَمَانٌ القَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ[1] : « أي يعسر التمسك بالدين حينئذ ، وأكثر ما يشتد على المتمسك بالدين والعلماء العاملين والصالحين » .

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي : ٢٢٦٠ ، وابن عدي ٥ : ١٧١١ .

الحديث رقم (٩٤)

قال ﷺ : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا [١] : « أي أظهر خلاف ما أبطن، بِقصد الخدعة في سلعته » .

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم : كتاب الإيمان ١٦٤ ، وأحمد بن حنبل ٣ : ٤٩٨ ، والدارمي ٢ : ٢٤٨ ، والبيهقي ٥ : ٢٥٥ ، والحاكم ٢ : ٩ ، ومسند الشافعي ٧ : ٢٩٠ ، وابن حبان : ١١٠٧ ، والطبراني في الصغير ١ : ٢٦١ ، والكبير ١٠ : ١٦٩ .

الحديث رقم (٩٥)

قال ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

قال رضي الله عنه في الحديث الذي فيه ذِكْر أبواب الجنة الثمانية [١] : « هذه الأبواب الكبار التي تكون على حائطها ، حائط سورها يدخل منها إليها ، وإلا فلكل بيت باب ، والنَّار سبع طبقات ، إذا دخل من باب طبقة إلى أخرى ، ينزل حتى الهاوية ، والجنة إذا دخل من باب وأراد الآخر ارتفع ، وكل منزلة أعلا من منزلة ، ولأيّ شيء كانت أبواب النار سَبْعة ، قيل لأنَّ القلب يعد في أبواب الجنة دون النار ، والإنسان إنما يرجو من فضل ربه ، وإلا فما له عمل صالح يرجو الجزاء عليه » .

---

(١) روى مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩) والنسائي (١٤٨) والترمذي (٥٥) وابن ماجة (٤٧٠) وأحمد (١٢٢) .

الحديث رقم (٩٦)

قال ﷺ : « إِذَا لَقِيتُمُ المُصِرِّينَ عَلَى المعَاصِي ، فَالْقَوهُم بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا لَقِيتُمُ المُصِرِّينَ عَلَى المعَاصِي ، فَالْقَوهُم بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ . والحديث في الجامع الصغير[1] : « أي المجاهرين بها والمتظاهرين بها بلا مبالاة ، ولا يجاهر ويتظاهر بها إلا من لا خوف معه من الله ولا حياء ، فليبغضهم ويعاديهم ما لم يخش فتنة » .

❁ ❁ ❁

---

(١) مسند الشاميين للطبراني : ١٣١٤ ، والأوسط للطبراني : ٣١٣١ ، والكبير للطبراني : ١٠٣٦٧ ، وحلية الأولياء : ٥١٦٨ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر : ٥٩٠٠٨ .

الحديث رقم (٩٧)

قال ﷺ : « كَفَى بِالمرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِع » .

قال رضي الله عنه في حديث : كَفَى بِالمرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِع[1] : « أي من صدق وكذب ، ومن نافع وضار ، فينبغي إذا أراد كلاماً أن يَنْتَقِيه ، فلا يحدّث إلاّ بما فيه نفع مؤمن ، أو دفع ضر عنه » .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود : ٤٩٩٢ ، والحاكم ١ : ١١٢ .

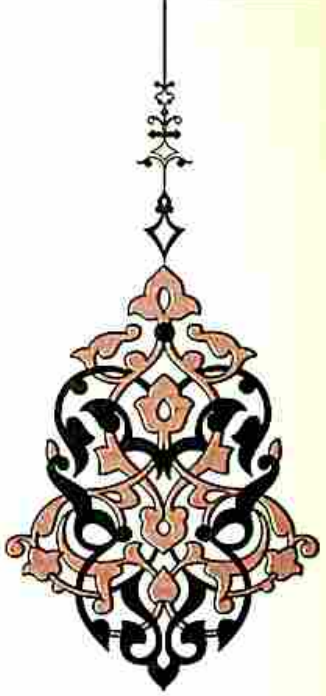

الحديث رقم (٩٨)

قال ﷺ: « مَنْ تَصَدَّقَ فَقَدْ فَكَّ لِحيي سَبعِينَ شَيطَاناً » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ تَصَدَّقَ فَقَدْ فَكَّ لِحيي سَبعِينَ شَيطَاناً [1] : « يعني خالف صفات الشياطين ، فَشيْطان يأمره بالبخل ، وآخر يخوفه الحاجة ، وآخر يأمره يؤُخّره ، ونحو ذلك إلى سَبْعين شيطاناً من هذا القبيل ، فإذا تصدق فقد خالف جميع هذه الدواعي » .

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٢٥١٢ .

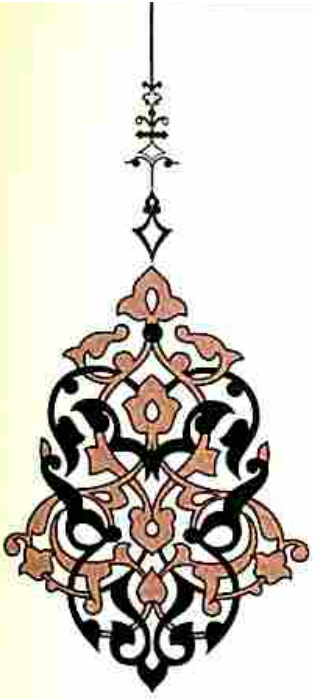

الحديث رقم (٩٩)

قال ﷺ: « مَنِ احْتكَرَ عَلَى المسْلِمِينَ طَعَاماً ابْتَلاهُ اللهُ بالإفْلاسِ وَالجِذَامِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنِ احْتكَرَ عَلَى المسْلِمِينَ طَعَاماً ابْتَلاهُ اللهُ بالإفْلاسِ وَالجِذَامِ[1] : « إما الجذام الظاهر أو محق البركة لأن الجذام المحقُ ، فَيمْحق ويُفْلس من الدنيا مع إفلاسه أَيضاً من الدين لأن الغالب ما يفعل ذلك أحد إلا افتقر قبل أن يخرج من الدنيا » .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث في المسند للإمام أحمد، وفي مصنف ابن أبي شيبة، ومسند أبي يعلى، وعند ابن عدي في (الكامل)، وعند أبي نعيم في (الحلية)، من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف فيه راوٍ يكنى أبو بشر، وهو مجهول كما في (العلل) (برقم ١١٧٤)، و(الجرح والتعديل) (٩/ ٣٤٧) كلاهما لابن أبي حاتم.

الحديث رقم (١٠٠)

قال ﷺ : « اطْلُبُوا الحَوَائِجَ بِعِزَّةِ النَّفْسِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : اطْلُبُوا الحَوَائِجَ بِعِزَّةِ النَّفْسِ[1] : « أي اطلبوها بعز ، ولا تطلبوها بالتضعضع ، لأن التضعضع ليس من أخلاق المؤمنين » .

❁ ❁ ❁

---

(١) ونصه في كشف الخفاء ١ : ١٣٩ ، (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير) .

الحديث رقم (١٠١)

قال ﷺ : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ[1] : « هو من يستدين و نيته إن تيسر له أدَّى وإلا ترك » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري ٢ : ١٣٩ ، وابن ماجة : ٢٤١١ .

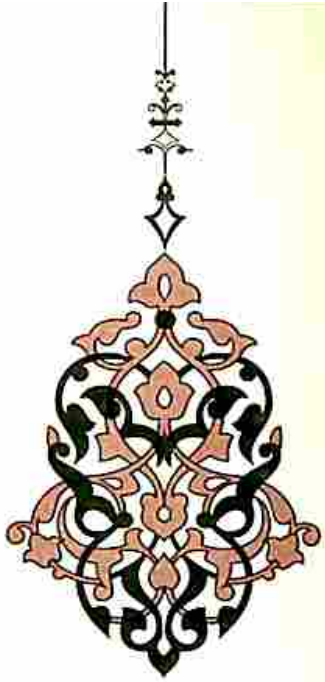

الحديث رقم (١٠٢)

قال ﷺ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ » .

قال رضي الله عنه : « الجوع المستعاذ منه في الحديث : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ [١]. هو الجوع الإضطراري الذي يُشْغل الخاطر كثيراً حتى تتغير عليه حوائجه ، وأحوال دينه ودنياه ، وغير ذلك من المضار الدينية والدنيوية ، وأما الجوع الإختياري فهو محمود ، فقد كان ﷺ يجوع الثَّلاثة الأيام أو أكثر » .

❋ ❋ ❋

---

(١) ونصه في رياض الصالحين ١٤٩٣ ، رواه أبو داود .

الحديث رقم (١٠٣)

قال ﷺ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ [1] : « فعلى هذا إن الذي أخطأه النور أكثر ممن أصابه، لأن أهل الضلال أكثر من المهتدين » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١/ ٢١٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٤)، وابن حبان (١٤/ ٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٤) من طريق ربيعة بن يزيد.

الحديث رقم (١٠٤)

لما مَرِضَ خَوَّاتُ بن جُبَيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، فَعَادَهُ ﷺ فَقَالَ لَهُ : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : بِخَيرٍ يا رَسُولَ الله ، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلام لَهُ : أوفِ لله بِمَا عَاهَدْتَهُ عَلَيهِ ، فَقَال : مَا عَاهَدْتُ اللهَ بِشيء » .

قال رضي الله عنه في حديث خوّات بن جبير رضي الله عنه لما مرض فعاده ﷺ فقال له: كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : بِخَيرٍ يا رَسُولَ الله ، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلام لَهُ : أوفِ لله بِمَا عَاهَدْتَهُ عَلَيهِ ، فَقَال : مَا عَاهَدْتُ اللهَ بِشيء : « أي : إن كل مؤمن يمرض ، يتأسَّف على ترك الطاعة والإقبال على الله حال صحته ، ويَحْصل له عزم على الجِدِّ في ذلك إن عافاه الله وعاد إلى العافية ، فقال عليه السلام له ذلك مذكّراً له بهذا العزم ، أن يفي به لما رآه متعافياً » .

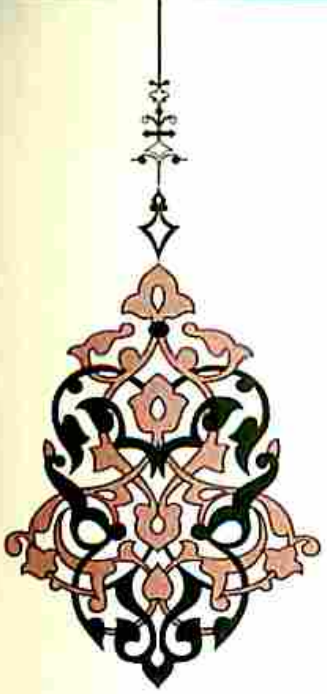

الحديث رقم (١٠٥)

قال ﷺ : « مَنْ حَمَى مُؤمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَنْتَهِكُ حُرْمَتَهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ حَمَى مُؤمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَنْتَهِكُ حُرْمَتَهُ[1] : « أي يغتابه ، وهذا يدل على أنه لا يغتاب الناس إلا منافق ، إلا أنه قد يكون منافقاً تام النفاق ، أو دون ذلك » .

---

(١) أبو داود : ٤٨٨٣ ، والترغيب والترهيب ٣ : ١٩٢ .

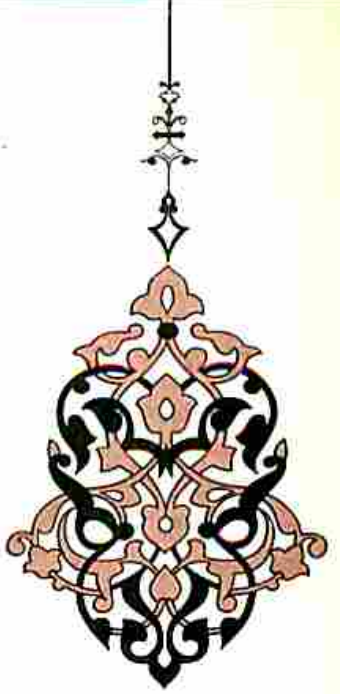

الحديث رقم (١٠٦)

قال ﷺ: « مَنْ أَحَبَّ قَوماً فَهُوَ مِنْهُم » .

قال رضي الله عنه : « الحقائق المجردة لا تنفع ، ولا تنفع الأعمال المجردة أيضاً ، إلا أنها تستر مولاها ، ولا تعجبوا من كلامنا هذا فإن له أصلاً ، والكلام الذي له أصل يؤخذ منه معان كثيرة ، فقد قال الشيخ أحمد باجحدب : من جالَسَنا أربعين يوماً إذا قال للشيء كن فيكون ، أو ما هذا معناه . ولما سمع منه ذلك بعضُ الناس جالسه لأجل ذلك ، فلما كان بعد ، مَرَّ يوماً وهو حامل شيئاً فرماه يريد أن ينقلب ذهباً فلم ينقلب ، فانقطع عن الشيخ ففقده فسأل عنه ، فقيل له : إنه مختلٍ في بيته . إلا إن الإنسان قد يترقى من شيء إلى شيء إن كان أهلاً للترقي ، كالذي يريد المنزلة عند الناس ، حتى يكون في أعلى عِلِّية ، ومن لم يكن منهم كان ينزل إلى أسفل سافلين ، لأنها إنما هي مرتبتان إما علّيون أو سِجِّين ، وهذا يعرف بالبصائر وله شواهد قرآنية وحديثية : مَنْ أَحَبَّ قَوماً فَهُوَ مِنْهُم [1] . وغير ذلك وبعيد أن يكون منهم ولا يعمل بعملهم » .

❁ ❁ ❁

---

(١) سنن أبي داود : ٣٥١٥ ، البحر الزخار : ٢٦٠٠ .

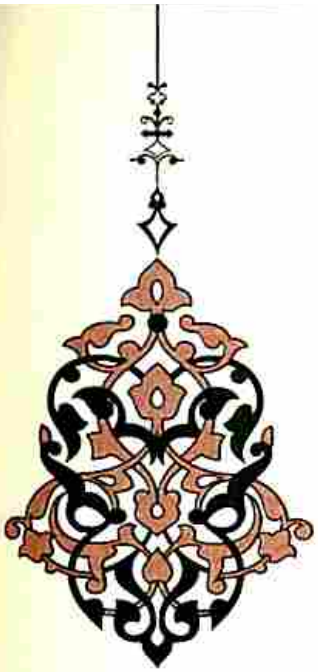

الحديث رقم (١٠٧)

قال ﷺ: « لَوْ بَكَى بَاكٍ فِي أُمَّةٍ لَرَحِمَهُمُ الله » .

قال رضي الله عنه : « النفس مطية فيها الخير والشر ، كالنخلة فيها الرطب والشوك ، والشيطان غدار مخادع ، ولهذا إذا جاءك من وجه فخالفتَه جاءك من وجه آخر ، وعلى هذا حتى يُخرِج الإنسان من الباب الكبير ، وهو التوحيد ، ودسائس النفوس كثيرة ، فإذا وَجَدْتَ واحدة فابحث تجد أختها كالحية ، والشيطان قد يقبل منك ويروح لغيرك ، وأما النفس فمكانها معك لا تفارقك قال الشاعر :

تَوَقَّ نفسَكَ لا تَأْمَنْ غوائِلَها ... فالنفسُ أخبثُ مِن سبعين شيطانا

والبكاء نور للقلب ، قال عليه السلام : لَوْ بَكَى بَاكٍ فِي أُمَّةٍ لَرَحِمَهُمُ الله . لكن من خوف الخالق ، وأما البكاء للتصنع للخلق ولو لم يرد منهم شيئاً من جاه أو مال ، لكن ليُرى أنه خاشع أو استحياء منهم ، بأن يظنوه يبكي وقد رأوه بكى مرة فتباكى للحياء ، والبكاء من الخشوع إنما هو قد يَعرُض ، فإن كثر وتعدد صار عادة ، وينبغي كتمان البكاء في القلب ، ومنع الدموع أن تخرج فإن ذلك يزيد في تنوير القلب ويؤثر فيه أكثر مما لو ظَهَرَتْ لأن في ظهورها تنفيساً، ففي الخبر أو الأثر : إن لله عباداً يضحكون من سعة رحمة الله جهراً ، ويبكون من خشية الله سراً » .

❊ ❊ ❊

الحديث رقم (١٠٨)

قال ﷺ: « مَا كَانَ الرِّفقُ فِي شَيءٍ إلا زَانَه » .

قال رضي الله عنه : « الوطاء محمود في كل شيء ، فإذا عسر عليك أمر فتَوَطَّ له ، وهو معنى حديث : مَا كَانَ الرِّفقُ فِي شَيءٍ إلا زَانَه ، الحديث[1] . لأن الإنسان لا يخلو إما أن يكون حجراً أو ماء ، وكلاهما ينفع فيه الوطاء ، فلا يسيل الماء إلا في الموضع المنخفض ، وأنشد هذا البيت :

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتِيِّ الْمُتَعالي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكانِ الْعالي » .

---

(١) البخاري : ٥٥٩٩ ، ومسلم : ٤٧٠٤ .

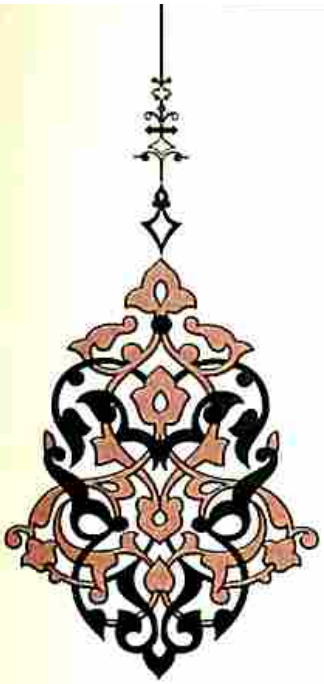

الحديث رقم (١٠٩)

قال ﷺ: « لا تَذْكُرُوا مَسَاوِيءَ مَوتَاكُم ، وَاذْكُرُوا مَحَاسِنَهُم » .

قال رضي الله عنه : « ما رأيت مثل رجلين ، أحدهما من أهل الباطن ، والآخر من أهل الظاهر ، يغبطهما أهل الباطن وأهل الظاهر ، وهما الشيخ عبدالقادر والإمام الغزالي ، نَسَبوا للشيخ عبدالقادر كتباً فيها أمور منكرة ، واعترضوا على الإمام الغزالي وقالوا : لا تجوز مطالعة كتبه ، حسداً منهم وعدوانا ، وكانا في أماكن متسعة ، تحصل فيها المنافسة والمباهاة ، ولكن من مات لا عاد تذكره إلا بخير لأمور :

أولها : إن النبي ﷺ قال : لا تَذْكُرُوا مَسَاوِيءَ مَوتَاكم ، وَاذْكُرُوا مَحَاسِنَهُم[1] .

والثاني : إنه رجع إلى الله ، ومجازاته إنما هي عليه سبحانه، وهو كافيه .

والثالث : إنك إذا خصصت أحداً بالإعتراض ربما تَجَرَّأَ أحد على الإنكار على أحد من أهل العلم لإنكارك على الأول ، بل ينبغي إذا بلغك عن أحد ما تنكر ، أن تقول كما قال النبي ﷺ : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » .

قال الأحمائي : وتقدم قوله « اثنان يغار منهما أهل الباطن ، ويحسدهما أهل الظاهر ، لأنهم إذا طعنوهما بمسلة طَعَنَاهم برمح : الشيخ عبدالقادر والإمام الغزالي » .

❁ ❁ ❁

---

(١) ضعيف الترمذي ١٧٢ ، المشكاة ١٦٧٨ ، ضعيف الجامع الصغير ٧٣٩ .

الحديث رقم (١١٠)

قال ﷺ : « مَا بَال أَقْوَامٍ يُسِيئُونَ الوُضُوءَ ، فَيَشُكُّونَ إِذَا شَكَّ الإِمَام » .

قال رضي الله عنه : « شَكّ المأموم في الصلاة مع شكّ الإمام من سوء الوضوء ، وفي بعض الأحاديث : مَا بَال أَقْوَامٍ يُسِيئُونَ الوُضُوءَ ، فَيَشُكُّونَ إِذَا شَكَّ الإِمَام[1] » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه النسائي ٢ : ١٥٦ .

الحديث رقم (١١١)

قال ﷺ : « مَنْ اِحْتَجَمَ لِسَبْعِ عَشْرَة وَتِسْعِ عَشْرَة وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ كَانَ شِفَاء مِنْ كُلِّ دَاء » .

قال رضي الله عنه : « الحجامة على ثلاث درجات : للضرورة فمتى دعته إلى ذلك ، وللحاجة فينبغي أن يترقب بها الأوقات المذكورة في الحديث[1]، وحقِّ البلوة فلا ينبغي للإنسان أن يهريق دمه بلا فائدة ، لأن الدم حياة البدن » .

❊ ❊ ❊

(١) وهي ١٧ ، ١٩ ، ٢١ في الشهر . أخرجه أبو داود ١٨٤ : ٢ (كتاب الطب) .

الحديث رقم (١١٢)

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ : اللهُمَّ أَرِنِي الجَنَّةَ . فَنَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَولِه ذَلِكَ ، وَقال لَهُ : « قُلِ اللهُمَّ أَرِنِي الجَنَّةَ كَمَا أَرَيْتَهَا عِبَادَكَ الصَّالحين » .

قال رضي الله عنه : « إن الله سبحانه لا يعطي بالإستحقاق ، وإنما يعطي بالمشيئة ، فإن وافق الإستحقاق المشيئة أكمل له العطاء – أو قال : أجزل له العطاء – » .

ثم قال رضي الله عنه بعد ذلك : « إن رجلاً من الصحابة قال : اللهم أرني الجنة . فنهاه النبي ﷺ عن قوله ذلك ، وقال له : قُلِ اللهُمَّ أَرِنِي الجَنَّةَ كَمَا أَرَيْتَهَا عِبَادَكَ الصَّالحين[1] . ومن تأمل أحكام الله تحقق أنه لا يصلح الأمر إلا كذلك ، أو ألا على ذلك ، كالزكاة مثلاً ، قياس من لا بصيرة له أنها تنقص المال ، فربما منعها من ماله فبعد قريب هلك ماله ، أو انتقل إلى من لا ينفعه » .

❁ ❁ ❁

---

(١) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي : ٣٩٦٠ . ونص الحديث : قال رجل : اللهم أرني الدنيا كما تراها ، فقال له : لا تقل هكذا ، ولكن قل : أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك .

الحديث رقم (١١٣)

قال ﷺ: « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ » .

قال الأحسائي: وليلة السبت لعله خامس جماد أول، بات في داره في البلاد، وبعد الإشراق زار التربة. ومما تكلم به وهو ماش قاصداً إلى الزيارة وقد ذُكِر له حينئذ: أن رجلاً من دوعن غضب على ابن له، فحذفه بشفرة فكان فيه حتفه. فاسترجع ثم قال رضي الله عنه: « هذا بسبب الغضب، والغضب من الشيطان. فينبغي للإنسان أن لا يعمل شيئاً حالة الغضب أبداً، لأن كل شيء يفعله في تلك الحالة غير سديد، ويريض الإنسان نفسه بتكلف الصبر والإمساك عن ما يقتضيه الغضب، حتى يتعود ذلك فلا يغلبه الغضب. وقد أمر النبي ﷺ إذا كان قائماً فليقعد، أو قاعداً أن يقوم[1]. وفلان - ابن إسحاق - لا يملك نفسه عند الغضب، حتى يفعل ما يدعوه إليه » .

قال الأحسائي: وسمى رجلاً من آل فلان في الحاوي .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٠٨٤١، وأبي داود: ٤٧٨٢، ومجمع الزوائد: ١٢٩٩٥ .

الحديث رقم (١١٤)

قال ﷺ: « لا تَغْضَبْ » .

قال رضي الله عنه في حديث : لا تَغْضَبْ[1] : « إنه عليه السلام قال ذلك لرجل كان كثير الغضب ، وكانوا يغضبون غضباً شديداً ، حتى يفعل أحدهم أموراً ويقول أقوالاً مذمومة من غير ضبط » .

ثم قال رضي الله عنه : « أي إن أمكنه أن لا يغضب فذاك ، وإلا فله أدوية فليستعملها ، ولا يجري على ما يقتضيه الغضب ، والأدوية إن كان قائماً قعد ، أو قاعداً قام ، وكان يتكلم سكت ، أو ساكتاً تكلم ، أو يفعل شيئاً تركه ، أو يتوضأ ، أو يغتسل ، أو يقوم من مكانه ذلك ، وأمثال هذه الأشياء » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري ٨ : ٣٥ ، والترمذي : ٢٠٢٠ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ١٧٥ ، والبيهقي ١٠ : ١٠٥ ، والحاكم ٣ : ٦١٥ ، وابن حبان : ١٩٧١ .

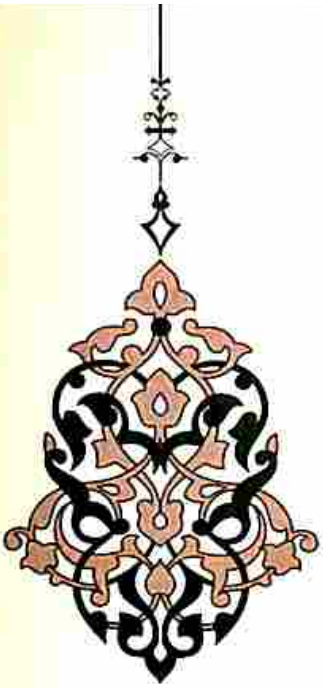

الحديث رقم (١١٥)

قال ﷺ : « إنَّما الشَّدِيْدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الغَضَب » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّما الشَّدِيْدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الغَضَب [١] : « أي لا يملكها إذ ذاك إلا القوي ، قوي الإيمان والعقل ، فلا يقول ولا يفعل إلا ما ينبغي له » .

(١) أخرجه البخاري ٨ : ٣٤ ، ومسلم : ١٠٧ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٣٦ ، والبيهقي ١٠ : ٢٣٥ .

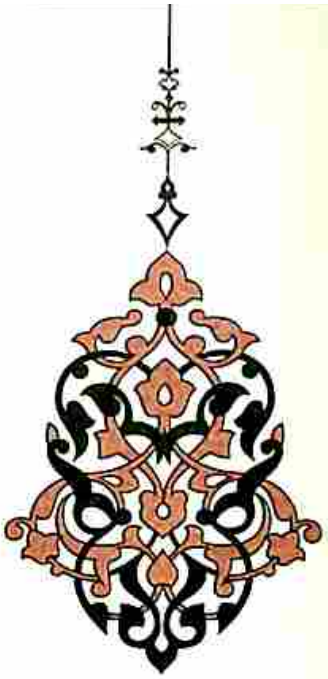

الحديث رقم (١١٦)

قال ﷺ: « إِنَّ العَيْنَ قَدْ تُدخِل الرَّجُلَ القَبْرَ ، والجَمَلَ القِدْر » .

قال الأحسائي : ومد له إنسان يديه ، وبهما ألم يمسح ويتفل عليهما ، فقال له : « لعل ذلك من عين ، فإنها حق . وفي الحديث : إِنَّ العَيْنَ قَدْ تُدخِل الرَّجُلَ القَبْرَ ، والجَمَلَ القِدْر[1] . وأكثر ما تكون من فرط التعجب ، إما من محب كالأب والأم والأخت والخالة ونحوهن ، أو حاسد ومبغض ، إلا أن المحب مستكثر مع محبة ، والحاسد والمبغض مستكثر مع بغض » .

قال الأحسائي : الإستكثار والغبطة من كل منهما ، المحب أو الحاسد المبغض مضر . ذكروا أن الناظر مع استكثار وتعجب تنفصل من عينه إلى المنظور زهومة سمية ، تضر وتؤذي كما يفعل السم ، فإن وافت أجلاً كانت سبب حتفه ، وإلا تضر إلى مدة مقدرة .

وفي المواهب اللدنية : العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح ، وإنه ينبغي أن الذي يعجبه الشيء يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ، ويكون ذلك رقية منه ، فإن الإصابة بالعين قد تقتل . أخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه : إن العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين[2] . وإذا استغسلتم فاغسلوا ، أي الإصابة بالعين شيء ثابت موجود ، وهو من جملة ما تحقق كونه ، وإذا استغسلتم فاغسلوا ، أي إذا طلب منكم الإغتسال ليمسح بماء غسلكم العيون فاغتسلوا له ، وظاهر الأمر الوجوب .

وحكى المازري فيه خلافاً وصحح الوجوب ، وقال : متى خشي الهلاك . وكان الإغتسال مما جرت به العادة بالشفاء به ، فإنه يتعين وقد تقرر أنه مجبر على بذل الطعام للمضطر ، وهذا

---

(١) الفتح الكبير ٢ : ٢٥٣ ، عن أبي ذر .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي .

ولم يبيِّن في حديث ابن عباس صفة الإغتسال .

قال الحافظ ابن حجر : وقد وقفت على صفته في حديث سهل بن حنيف عند أحمد والنسائي ، أن أباه حدثه : أن النبي ﷺ خرج ، وساروا معه ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل ، وكان أبيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل . أي صرع وسقط إلى الأرض ، فأُتي رسول الله ﷺ فأُخبِر ، فقال : هل تتهمون من أحد ؟ قالوا : عامر بن ربيعة . فدعى عامراً فتغيظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلَّا إذ رأيت ما يعجبك برَّكْتَ عليه ؟ ثم قال : اغتسل له . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ، ثم كفي القدح ، فلما فعل به ذلك قام سهل ، فراح مع الناس ليس به بأس .

قال المازري : داخلة إزاره ، الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن . قال ابن بكير ، رواية عن مالك : إنه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد .

وإذا خاف على أحد من العين كولده ، قبض على ناصيته وقال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝﴾[1] ، وقرأ سورة القدر ، فذلك مجرب لدفع العين .

انتهى ما أردت نقله من المواهب اللدنية .

وسمعت سيدنا عبدالله نفعني الله به غير مرة يقول : « ثمان آيات دواء من العين ، الفاتحة مع البسملة سبع آيات ، والثامنة آية الكرسي » .

وكيفية الإغتسال المذكورة ، وجمع الماء في قدح ، وصب الرجل ذلك الماء عليه من خلفه على رأسه وظهره ، ثم كفي القدح بعد ذلك ، كل ذلك من تعليم رسول الله ﷺ ، وأمره للعاين بالإغتسال ، وأن يغسل تلك المغسولات المذكورة . وتفهم العبارة أن الذي صب الماء غير العاين ، وأن الذي صب الماء هو الذي كفى القدح ، فبذلك علم رسول الله ﷺ عن الوحي

(١) سورة البروج ، الآيات : ٢٠-٢٢ .

عن الله سبحانه ، وأمر به دواء للمعيون عن العين ، فليعلم ذلك ويعمل عليه .

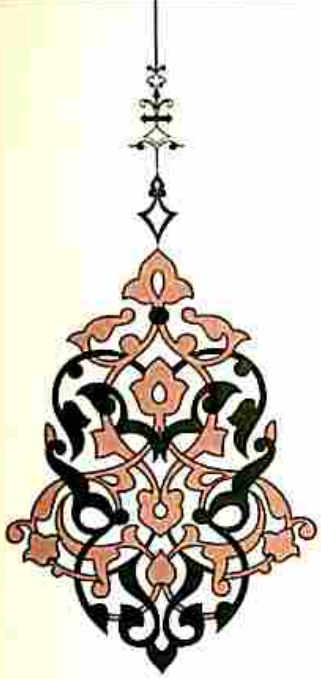

الحديث رقم (١١٧)

قال ﷺ : « هَلَّا إذ رَأَيتَ ما يُعجِبُكَ بَرَّكْتَ عَلَيه » .

قال الأحسائي : وأما التبريك المذكور في الحديث[١] ، فما وقفت على كيفيته من قول أحد ، إلا ما رأيت من عمل سيدنا عبدالله عليه ، فلنأخذ كيفية ذلك من عمله ، فكثيراً ما أسمعه إذا سلم عليه بعض الأطفال ، مسح رأسه وقال : « بسم الله ، اللهم بارك فيه ولا تضره » . فإن كان ذلك الطفل يتيماً مسح رأسه من مؤخره - أي قفاه - إلى مقدمه - أي ناصيته - حذو جبهته ، وإن كان غير يتيم ، مسح رأسه من مقدمه - أي من ناصيته ، تلقاء جبهته إلى مؤخره .

قال رضي الله عنه : « هكذا ينبغي ، لأن اليتيمَ لإنكسار خاطره ربما إذا قابلته بيدك ، يظن أنك تريد تصقعه ، فإذا مددت يدك من قفاه لا يراها ، فلا يتوهم ذلك ، فيراعى هذا المحذور في اليتيم محافظة على جبر خاطره ، ومحاذرة عما يوهم ضد ذلك » . أو كما قال بمعناه .

قال الأحسائي : وفي الحديث : من مسح على رأس اليتيم ، فله بعدد كل شعرة تمر عليها يده حسنات[٢] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٥٥٥٠ ، المستدرك : ٥٧٩٥ ، ابن ماجة : ٣٥٠٩ .

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٩١ .

الحديث رقم (١١٨)

قال ﷺ: « لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ » .

قال الأحسائي: وذكر نفع الله به العين، قال رضي الله عنه: « ينبغي أن يشوّش الأمور، لئلا يراها من يخاف منه العين، وأنا ما أوسوس إلاّ من العين، لحديث: لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ[1]، ومن آخر أربعاء، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[2]، وإن كان بعض المفسرين قال: على عَادٍ بالخصوص، فإنهم قد عُذّبوا فما وجه استمراره، وقد فُسّر ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾[3] أنه خاف على بنيه العين، فينْبغي سؤال اللطف والستر » .

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: كتاب السلام، والترمذي: ٢٠٥٩، وابن ماجة: ٣٥١٠، وأحمد بن حنبل ٦: ٤٣٨، والبيهقي ٩: ٣٥١، والطبراني ١١: ٢٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ١٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٨.

الحديث رقم (١١٩)

قال ﷺ : « لا تُؤْذِ جَارَكَ بِقِتَارِ قِدْرِكَ » .

قال رضي الله عنه لما فرغ القارئ يوماً من قراءته في كتابه الدعوة التامة : « ما على الإنسان إلا أن يبين ويوضح لهم ، ولا عليه إن لم يحفظوه ويعملوا به ، وما هو إلا كحديث أبي هريرة ، لما حدث عنه ﷺ حديث : لا تُؤْذِ جَارَكَ بِقِتَارِ قِدْرِكَ[1] ، ما رأى منهم الإصغاء والإقبال ، فقال: مالي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين ظهوركم .

والناس اليوم تالفين متلفين خاربين، فينبغي أن يأخذ الإنسان منهم حذره، فإنهم كالأرض المُرْضِية ، يحذر أن يطرح عليها متاعه ، وإن انتقل إلى الأرض التي لا أَرَضَةَ فيها فهو أصلح وأحسن ، وإن بقي فيها فليحزم بمتاعه لا تأكله . وذمُّ الناس على مقتضى الأكثر منهم، وإن كان فيهم بقية خير ، كما يقال لقليل المال : إن ما معه مال - أي كثير - وإن كان معه قليل » . أو كما قال .

---

(١) أورده صاحب كنز العمل : ٢٥٦٠٨ .

الحديث رقم (١٢٠)

قال ﷺ : « والله لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : والله لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ[1] : « البوائق التطلع إلى عوراته ، والإستشراف في بيته من غير إذنه ، ونظره إلى أهله ، واحتقاره ، ونقله لكلامه ، وخون أمانته » .

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري ٨ : ١٢ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٨٨ ، ومجمع الزوائد ٨ : ١٦٩ ، والفتح الكبير ٣ : ٣٠١ .

الحديث رقم (١٢١)

قال ﷺ : « الجَارُ قَبْلَ الدَّارِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : الجَارُ قَبْلَ الدَّارِ[١] : « أي إذا أردت نزول دار فانظر فيها واختر مجاورة أهل الصلاح والستر والصيانة ، ولا تجاور معروفاً بالفساد ، والتَّطلع على العورات ، فربما تطَّلع على عورتك ، و تشرَّف عليك وعلى أهلك ، فاختبر حال الجار أولاً قبل نزولك في جواره » .

❊ ❊ ❊

(١) الحديث في شرح الإحياء ٤ : ٣٢٤ ، وكنز العمال : ٤٤٠١٣ ، وكشف الخفاء ١ : ٣٩١ .

الحديث رقم (١٢٢)

قال ﷺ: « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَتَكَاشَرَا ، قُسِّمَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَة ، تِسْعَة وَتِسْعُونَ لِأَكْثَرِهِمَا بِشْراً ، وَوَاحِدَةٌ لِلآخَر » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَتَكَاشَرَا ، قُسِّمَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَة ، تِسْعَة وَتِسْعُونَ لِأَكْثَرِهِمَا بِشْراً ، وَوَاحِدَةٌ لِلآخَر(١) : « فالفضل المذكور للأكثر بشراً إذا كان لله وللدّار الآخرة ، لا لأمور الدنيا ، فإن الدنيا جميعها ساقطة » .

❁ ❁ ❁

(١) أبو داود : ٥٢١١ ، والبيهقي ٧ : ٩٩ .

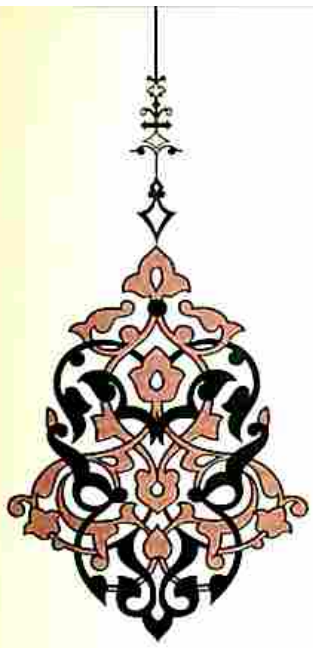

الحديث رقم (١٢٣)

قال ﷺ : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ[1] : « هذا يَدْخلها بالنية والعمل، يَعْني القاتل، وهذا يدخلها بالنية فقط، بخلاف ما إذا استسلم أحدهما وقَتَله الآخر، فالمقتول يسلم، ويبوء القاتل بالإثم، كما قص الله في ابن آدم » .

❁ ❁ ❁

(١) البخاري ١ : ١٥ ، ومسلم (كتاب الفتن) ٢ : ٣٦٢ ، وابن ماجة : ٣٩٦٤ ، والبيهقي ٨ : ١٩٠ .

الحديث رقم (١٢٤)

قال ﷺ: « لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي » .

قال رضي الله عنه في فتنة دوعن : « إن هذا المثير للفتنة ، إنما هو ولد منهم ، وليس بطالب رئاسة ، إنما هو ومن ساعده من البدو تجَمَّعوا طَمَعاً في الأكل ، وطالبُ الأكل أمره سهل ، بخلاف طالب الرِّئاسة ، وهو الذي يقوم على صاحبه منكراً عليه أموراً يفعلها ، كأن يقول له : إنك غيّرت الطرق ، وظَلَمْت الناس وفعلت كَذا وكَذا ، مما ينكَر عليه فيها ، والأمور تقابل بأمثالها ، وما أقام الله الولاة إلا لإقامة الدِّين ، وإقامة المعاش بعد إقامة الدين ، وهذا وادي مُبَارك ما يقوم فيه إلاّ من فيه صلاح وإقامة لأمر الدين ، لأنه إلا مَنْصب وزاوية ، لا محل مملكة وولاية ، حتى إن الشيخ عثمان ما أخذه بحرب ولا عسكر ، إنما كان شيخ زاوية دَخله مع تلامذته وفقرائه ، ومن تولَّى منهم طالباً للدنيا فالغالب إنما يموت بِسَفك دمه ، كصاحب النَّقعة لما قتله التُّرك ، وكذلك ولد عبد الرحمن لما سَلَك غير طريقتهم ، قام عليه آل مطهر فقتلوه ، ومن حين قَتَل محمد بن مطهر ابنَ عمه ، ما تبارك في نفسه ، ولا تبارك به أحد ، وآل العمودي مالهم بخت في البغي ، قال سيدنا علي : مَن سَلَّ سيف البغي على أخيه قُتِل به ، ومن حفر لأخيه المسلم حفرة وقع فيها .

وآل العمودي بيت صلاح ، والشيخ سعيد[1] أخٌ لسيدنا الفقيه المقدم[2] ، وكل أهل زاوية وقع بينهم إلا آل باعلوي ، وآل العمودي ، أما سمعتم فيما يقال إن الفقيه المقدم طَرَح عند الشيخ سعيد شيئاً من الأحوال ، وابن هادي كم حاجَّه أصحابه ، فانقلبت العاقبة عليهم ،

---

(١) هو الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، ولد سنة ٦٠٠ هـ وتوفي سنة ٦٧٠ هـ .

(٢) هو الفقيه المقدم محمد بن علي با علوي ، ولد بتريم سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بها سنة ٦٥٣ هـ .

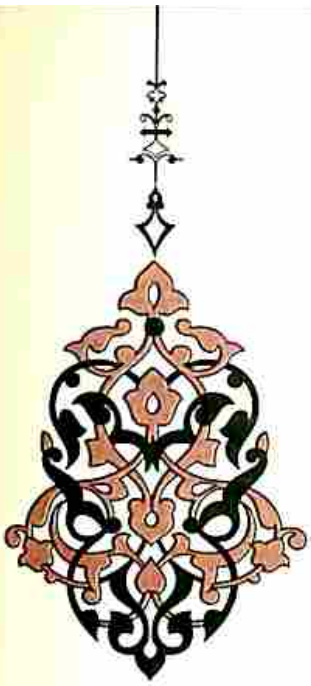

الحديث رقم (١٢٦)

قال ﷺ: « لا تَبْدَؤوهُمْ بالسَّلام ، وَإذَا لَقيتُموهُمْ فى الطَّرِيقِ ، فاضْطَرُّوهُمْ إلَى أضْيَقِ الطَّرِيقِ » .

قال رضي الله عنه : « الدين كالطريق ، فمن رأى طريقاً متسعاً سلكه أحد من الأخيار فليسلكه ، أو ضيقة فذاك مشكل ، وفي الحديث : اضطروهم - أي اليهود والمنافقين - إلى أضيق الطرق[1] » .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم ك ٣٩ ح ١٣ ، وأبو داود ك ٢٧ ب ١٣٧ ، والترمذي ك ٤٠ ب ١٢ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٦٦ ، والموطأ ٢٤٢٤ .

الحديث رقم (١٢٧)

قال ﷺ : « لا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونس بن مَتَّى » .

قال رضي الله عنه : « قال النبي ﷺ بسبب يهودي : لا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونس بن مَتَّى[1] . ولا ينبغي تأويله بأن ذلك كان قبل أن يعلم أفضليته ، بل السكوت عن التأويل أحسن » .

ثم قال رضي الله عنه : « ومن هذه الأشياء يتطرق للأولياء الإنكار فيما يقولون ، لأن مقام الولاية لا يبلغ مقام النبوة » .

قال الأحسائي : وكان قول سيدنا : « ولا ينبغي تأويله » ، بأن ذلك كان قبل أن يعلم بأفضليته ، وقد أوله بذلك كثير من العلماء ، وسيدنا لم يرض بهذا التأويل ، واستحسن السكوت عن ذلك هو أسلم للدين وأقرب إلى الأدب . ومراده بقوله هذا : الرد على من أوله به ، ومشيراً به إلى صحة المعنى الذي أشار إليه ابن أبي جمرة[2] ، وأنه الأصح المتبع الذي ينبغي أن يقال به ولا يعدل عنه .

وقوله : « ومن هذه الأشياء .. الخ » ، يعني ما تقدم ، وما وقع لموسى مع النبي ﷺ من الغارية ، ومن عدم حصول الرؤية لموسى وحصولها للنبي ﷺ ، وقال ابن الفارض[3] :

وإذا سألتكَ أنْ أراكَ حقيقةً ... فاسمَحْ، ولا تجعلْ جوابي:لن ترَ

فأنكر عليه ، إذ لم يحصل لموسى في مقام النبوة ، فكيف يحصل له في مقام الولاية ، فأنكر

---

(١) البخاري ٤ : ١٢٦ ، ومسلم ٤ : ١٨٤٦ ، وبلفظه الشفاء للقاضي عياض ١ : ٢٦٥ .

(٢) هو عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ، توفي بمصر سنة ٦٩٩ هـ .

(٣) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد الحموي ، الملقب بسلطان العاشقين ، ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ وتوفي بها سنة ٦٣٢ هـ .

عليه قوله ذلك ، لأن مقام الولاية لا يبلغ مقام النبوة ، فكيف قاله ؟ لكن كان مغلوباً ، والمغلوب معذور . ونحو ذلك من أقاويلهم التي أنكرت عليهم .

الحديث رقم (١٢٨)

قال ﷺ : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ[1] : « أي أعلمته أني محارب له ، وذلك لأن الولي لا ينتصر لنفسه ، فيكون الله سبحانه هو المنتصر له » .

قال الأحسائي : ثم أنشد هذين البيتين :

إن الأمير هو الذي ... يكون أميراً يوم عزله
إن فات سلطان الولاية ... لم يفت سلطان فضله

ثم قال لي : « احفظهما واكتبهما » ، فكتبتهما وحفظتهما .

وأنشد هذا البيت :

رُبَّمَا تَجزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

وتقدمت قصة هذا البيت ، فيما وقع بين أبي عمر بن العلاء ، أحد القراء السبعة وبين الحجاج ، لما قال له الحجاج : ائتني بشاهد من كلام العرب على قراءتك ، إلا من اغترفَ غَرفة ، بفتح الغين وإلا ضربت عنقك . فهرب منه إلى مكة ، فسمع يوماً رجلاً ينشد هذا البيت : ربما تجزع النفوس .. إلى آخره ، وقال : فَرجة . بفتح الفاء ، وهو شاهد لقراءته ، غرفة بفتح الغين ، ففرح به جداً .

وإذا به يسمع قائلاً يقول : مات الحجاج . فقال له : ماذا تقول لا فض الله فاك ؟ قال :

---

(١) أخرجه البيهقي ٣ : ٣٤٦ ، وابن ماجة ٣٩٨٩ .

مات الحجاج . فقال : ما أدري بأيتهما أنا أفرح ، بموت الحجاج أو بالشاهد لي على قراءتي من كلام العرب .

الحديث رقم (١٢٩)

قال ﷺ: « لَيسَ آل بَنِي فُلان لي بِأَولِياء » .

قال الأحسائي : وذكر مسائله التي أراد أن يسأل عنها في الحرمين ، وكانت مذكورة في ورقة عنده ، وكان خابيها في كيس من جوخ أحمر ، لا يريها أحداً ، ولا اطلع عليها أحد ، فأعطاني ذلك الكيس ، وقال : « احفظه عن الأرضة » ، وغلب على ظني أنه ما وضع هذه الورقة عندي إلا مراده أن أفتحها وأنظر ما فيها ، ففتحت الورقة ، فإذا فيها قال رضي الله عنه :

« الحمد الله وحده .

مسألة : هل نقل أحد من الحفاظ للحديث وحملة الأخبار ، كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في الأيام التي لم يخرج فيها إلى الناس ، في آخر مرضه الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام ؟

مسألة : لما قبض رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ودفن فيه ، هل بقيت ساكنة في البيت على مثل حالها في حياته أم انتقلت منه إلى غيره ؟

مسألة : الحديث الذي في صحيح البخاري ، من رواية عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ قال : لَيسَ آل بَنِي فُلان لي بِأَولِياء . الحديث[1] ، هل بين أحد من الشراح آل بني فلان من هم ؟ وهل روى هذا الحديث أحد من الصحابة غير عمرو بن العاص ؟ وهل إسناد الحديث في غاية القوة والثبوت أم هو دون ذلك ؟ » انتهى .

قال الأحسائي : وهذه من جملة سؤالاته التي أراد أن يسأل عنها في العلم الظاهر في الحرمين ، أما ما أراد أن يسأل عنها في العلم الباطن فكثيرة جداً ، وهو قوله : « لما حججنا ، كان قصدنا

---

(١) الحديث أخرجه مسلم حديث : ٢١٥، وأخرجه البخاري في (كتاب الأدب : باب تبل الرحم ببلالها / حديث ٥٩٩٠) .

بعد أداء فريضة الله في الحج أن نجتمع برجلين : أحدهما متبحر في العلم الظاهر ، فنسأله عن سؤالات اختلجت في القلب - أقول : وهذا المذكور من جملتها - والرجل الآخر متبحر في العلم الباطن ، فنسأله عن أمور عرضت لنا ، فكل من توسمنا فيه وأردنا أن نسأله ، كعبدالخالق قال : أنا ملتمس منكم ، وأطلب منكم تعطوني الطريق . فنعطيه على حسب نيته » .

ومرة *قال رضي الله عنه* : « حججنا ومرادنا أن نلتقي ببحرين » .

ومرة *قال رضي الله عنه* : « (هما مقامان ، ليسا برجلين » .

قال الأحسائي : يعني مقامين ، كل واحد منهما مُقام للآخر ، والله أعلم .

وسمعت ، لا أدري سمعته منه أو عن أحد عنه ، كابن أخيه السيد عمر بن علي الحداد قال : سمعت سيدنا الحبيب يقول : « انبهمت علي في الطريق ثلاث مسائل ، فسألت عنها كثيراً من الصالحين الذين أدركناهم بجهات حضرموت وبلدانها ، من حدرى المسفلة كعينات وقسم والواسطة والعجز واللسك ، وَعَلْوَى كسيؤون وتريس ومدودة وشبام والغرفة وغيرها ، وما حد منهم أجابني عنها جواباً شافياً ، فرأيت من متقدمي آل باقشير الحكم باقشير - أظنه من أهل القرن السابع - فسألته عنها ، فأجابني في اثنتين جواباً شافياً ، وقال : وأما الثالثة فلا يجيبك عنها إلا السقاف .

فخطر ببالي أن مراده بالسقاف من هو المسلك اليوم من آل السقاف ، فسألت من هو اليوم المسلك منهم ؟ فقيل لي : السيد محمد بن علوي بمكة . فكتبت إليه رسالة عن المسألة وأطلب منه الإلباس ، فكتب في جوابه معتذراً يقول : لا يمكننا نلبسك إلا بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يمكننا أيضاً جواب مسألتك ، فلما أرسل جوابه ووصل حامله إلى جدة ، تحرك خاطره بنية زيارة النبي ﷺ فزاره » .

فوصلت خرقته إلى سيدنا يوم انتقاله بمكة ، فكان ذلك إشارة إلى أنه خليفته . وقد أشار سيدنا في بعض القصائد إلى ذلك[1] ، *قال رضي الله عنه* :

---

(١) الديوان ص ٢٢٤ .

رَعَى اللهُ جِيرَانَ الأَبَاطِحِ وَالصَّفَا فَقَدْ جَاوَرُونِي بِالجَمِيلِ وَمَا جَارُوا

إلى أن قال :

بَقِيَّةُ قَومٍ قَدْ مَضَوْا وَخَلَفْتُهُمْ وَهُمْ خَلَّفُونِي فِي الحِمَى عِنْدَمَا سَارُوا

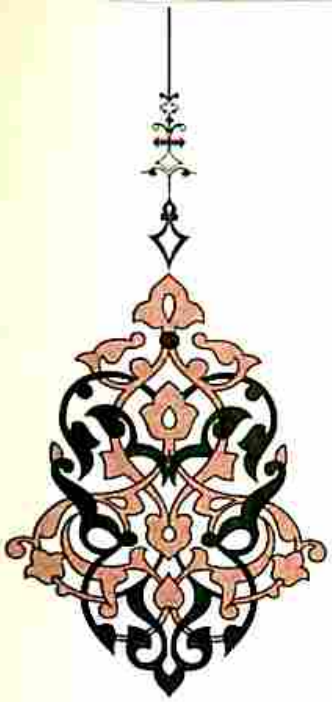

الحديث رقم (١٣٠)

قال ﷺ : « وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » .

قال الأحسائي : ومر في القراءة في الإحياء في وقت الدرس بعد العصر ضَرْبُ بعض الأمثلة في كتاب الشكر ، قال رضي الله عنه : « هذه الأمثلة لإيصال المعاني إلى قلوب العامة ، إذ لولاها لما عرفوا تلك المعاني ، ومَثَلُهُ ما مَثَّلَ به في الذِّكْر ، من أنه كالجوز له قشران ولب ولب اللب ، ولا بأس بضرب الأمثلة ، فقد ضرب الله ورسوله للناس الأمثال ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[1] ، وإن اعترض على ذلك معترض فإنه منافق ، فإن المنافقين واليهود قد اعترضوا في تمثيل الله بالذباب والبعوض والعنكبوت وأمثالها ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ الآية[2] ، وكل من اعترض في شيء فإن ذلك هو الذي بلغه ، ولو بلغه أكثر من ذلك لاعترض عليه أيضاً . وقد سمعنا فيما سمعنا عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل . ولما قيل له : ألا قاتلت مع علي رضي الله عنه ؟ قال : امتثلت أمر رسول الله ﷺ إذ قال لي : لا تفارق أباك . فتأوله في هذا ، ولكن بان لهم الأمر بعد قتل عمار ، إذ كل من الفريقين معه علم من النبي ﷺ ، وقال : تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ[3] . حتى إن معاوية رجع يعتذر من سيدنا علي ، وعند ذلك جبنوا واستحيوا ، إلا بقي معاوية يشجع عمرو أو عمرو يشجعه ، ولا عاد ينفع . فينبغي لمن أراد الإقدام على أمر خطر أن يتحقق الأمر أولاً ، وخصوصاً إذا لم تطعه نفسه على تركه إذا تبين خطاه ، أو يتركه من أول الأمر احتياطاً » انتهى .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦ .

(٣) البخاري : ٤٣٦ ، ومسلم : ٥١٩٢ ، ومجمع الزوائد : ١٥٦١٤ ، ومسند الإمام أحمد : ١٠٦٢٨ ، والبيهقي : ١٦٢٨٠ ، والمستدرك : ٢٧٠٠ ، والمعجم الأوسط للطبراني : ٨٥٤٦ .

قال الأحسائي : ذكر في الفصول المهمة في أخبار الأئمة ، أن عمرواً لما تبين له الأمر بقتل عمار ، جعل يلوم معاوية ، وتأسف كل منهما ، ثم رجع معاوية يشجع عمرو أو يقول له : ما نحن قتلناه ، إنما قتله الذي أخرجه للقتال . وبلغ قوله هذا لسيدنا علي ، فقال للذي أخبره به : قل لمعاوية : يقول إن كنت أنا قتلته ، إذاً فالنبي ﷺ هو الذي قتل عمه حمزة بإخراجه للقتال ، ولكل من قتل معه . ونحو هذا ، يعني فتخصيص قتله بالفئة الباغية لا محيد لكم عنها أنها إثم لا محالة ، فالحجة بما قلتم داحضة بما فعله النبي ﷺ بمن قتل معه في سبيل الله .

وأقول : العجب كيف انتقل الكلام من تبيين ثبوت الأمثلة في الكتاب والسنة ، حتى إن عبدالله بن عمرو وحده حفظ منها عن رسول الله ﷺ ألف مثل ، فما بالك بمائة ألف وسبعين ألف من الصحابة ، كم حفظوا ؟ حتى صار الكلام فيما شجر بين الصحابة ، فإن الكلام تابع لما يعرض في القلب من الخواطر ، كما تقدم معنى ذلك من قوله : « فيعبر اللسان عما يعرض في الجنان » ، وذلك أن قدمنا أنه *قال رضي الله عنه* فيما قدمنا عنه : « الكلام شجون يجر بعضه إلى بعض ، كالخواطر التي ترد في الصدر ، فبينما أنت تتكلم في كذا وكذا ، إذا بك تتكلم في كذا » *انتهى* .

❁ ❁ ❁

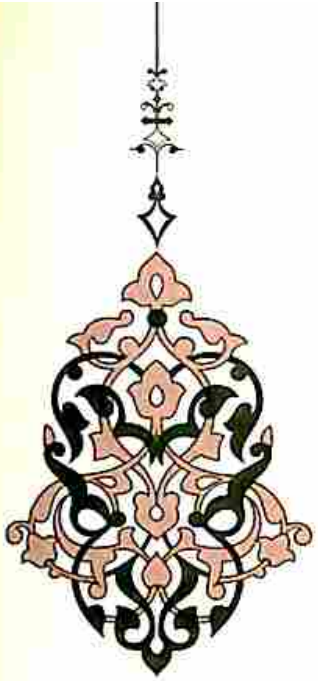

الحديث رقم (١٣١)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ حَمَى أُمَّتِي عَنْ أنْ تَجْتَمِعَ عَلى ضَلَالَة » .

قال رضي الله عنه في حديث : إنَّ اللهَ حَمَى أُمَّتِي عَنْ أنْ تَجْتَمِعَ عَلى ضَلَالَة[1] : « يعني إنهم لا يجتمعون كلهم عليها ، بل لا بد من قائم على الحق ولو قليل ، وما ورد أنهم السواد الأعظم لعله لم يصح ، لأنه لم يبق في زمن بني العباس من لم يقل بخلق القرآن إلا القليل ، أحد يظهره ويدين به ، وأحد يظهره خوفاً وإن لم يكن كذلك ، وربما يبقى الإنسان مصراً على ذلك وإن كان ظاهره خلافه ، وظهوره وخفاه بحسب ملوكهم ، فالناس على دين ملوكهم » .

قال رضي الله عنه في معناه : « يعني يظهرون ما يكون عليه ملوكهم ، إما إنه كذلك ، وإما تقية وخوفاً » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم ٤٢٥٣ .

الحديث رقم (١٣٢)

قال ﷺ : « اللهُ المُعْطِي ، وَإِنَّما أنا قَاسِمٌ » .

قال الأحسائي : وقد رأيت رجلاً بحضرة سيدنا عبدالله يبكي ويقول : يا سيدي اليوم لي نحو سبعين سنة وأنا أتردد إلى حضرتكم وأحضر مجالسكم ، ولا نُسِبت إليكم ولا أُذكَر بخدمة لكم ، ولا اتصال بكم . ونحو هذا الكلام .

قال رضي الله عنه له : « أوَ أنا أجعل فيك ما ليس فيك ؟ إنما الله المعطي ، والصالحون يعطون من أمروا له ، قال النبي ﷺ : اللهُ المُعْطِي ، وَإِنَّما أنا قَاسِمٌ[1] » .

قال الأحسائي : فيفهم هذا أن ثبوت الإنتماء إليهم إنما هو موهبة الله لا بتعمد .

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري : ٧١ ، ومسلم : ١٠٣٧ ، ومسند الإمام أحمد ٩٢ : ٤ ، والدارمي : ٢٢٤ .

الحديث رقم (١٣٣)

قال ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آل مُحَمَّدٍ قُوتاً » .

قال الأحسائي : وقال له رجل : إن أهل البيت ما تضرهم الدنيا ، لقوله ﷺ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آل مُحَمَّدٍ قُوتاً[1] . يعني قدر القوت فقط .

قال رضي الله عنه له : « يحتمل أنه أراد عليه الصلاة والسلام ، من في وقته منهم خاصة ، وأما اليوم فتراك تنظر إلى أناس من الأشراف توسعوا في الدنيا ، وتمتعوا بها غاية ما يكون ، ومنعوا الزكاة، وأضاعوا حق الله اللازم » .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

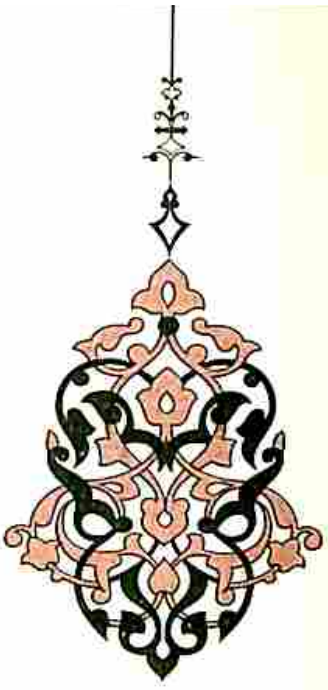

الحديث رقم (١٣٤)

قال ﷺ : « تَركتُ فِيكم الثَّقلين ، ما إن تمسَّكتُم بهما ، لن تضلُّوا: كِتابَ الله ، وعِترتي أهلَ بيتي ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوض » .

قال الأحسائي : ولما ابتدأت القراءة عليه بعد العصر ، وكان عادةُ هذا الابتداءَ كل يوم ، قال رضي الله عنه : « لا تعد تبتدئ أنت كل يوم إلا مرة ومرة ، لأن هذا يحرك منك داعية الرياء ، ومن غيرك الحسد ، وأنتم ما تعرفون هذا الأمر ، ولا رُضْتوا أنفسكم ، ونحن أعرف به منكم » .

ثم قال رضي الله عنه : « كل كلمة تخرج من الأكابر للتلميذ فيسمعها منهم ، تكون على نفسه كالحجارة ، تزيد بها نفوسهم رياضة وخموداً ، ومن لا يكون كذلك ، لا تزيده إلا قوة نفس ، ولا يزداد إلا حسداً ، ويعمل بخلاف ذلك » .

قال الأحسائي : والله ما قط خالجني الرياء بالابتداء إلا ذلك اليوم ، فأطلعه الله عليه ، فنهاني نفع الله به .

فلما كان تلك الليلة ، وهي ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني من سنة ١١٢٩ ، طلب مُسَمِّعاً وفعل سماعاً ، وذلك عادته في أيام متراخية ، ومن عادته أن لا يُحضِر أحداً ولا يتركه يحضر ، كذلك سمعته يقول ، فلما كانت تلك الليلة طلبني للحضور ، ولم يطلبني لذلك قبلها قط ، فلما صافحته وجلست كان فيما تكلم به أن قال رضي الله عنه : « ليس من عادتنا أن نطلب أحداً للسماع ، وذلك من عهد قديم ، ولا يحضرنا أحد إلا إن كان من العيال ، أو خادم واحد يُحتاج إليه ، ولكن من استمع من بعيد كما من تحت الباب ، أو حيث يسمع لا نعنّف عليه ولا نلومه ولا حرج عليه . ومثل ذلك في كل أمر نفعله ، فهذا حالنا إذا كنا في البيت ، وأما لو كُنَّا في خلاء في السبير أو غيره فنُحْضِر جماعة مخصوصين مقتربين ، الذين يحصل بهم الأنس وباجتماعهم ، وهنا عندنا في البلاد عادة : إن الإنسان إذا كان في داره، فَقَلَّد على نفسه ما أحد

يجيه ، وإذا فتح الباب ضاق بالناس المكان حتى لا يسع أحداً ، كما ترون في عواد وغيره ، ودخل فيهم الشريف والوضيع من رعاع وغيرهم ممن لا يعرف الأدب ، ولكن الرعاع من عادتهم إذا حضروا مجالس الأشراف ، فإن رأوهم متأدبين تأدبوا ، وإن رأوهم على خلاف ذلك زادوا عليهم في إساءة الأدب ، فاحفظوا هذا لا تنسوه » .

ثم قرأ الفاتحة ودعا : « اللَّهم احفظنا في ديننا وقلوبنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه » .

ثم أمره يشل ، فلما تم من أول مأخذ ، وسكت المسمع ، قرأ سيدنا : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ﴾[1] وتركه يسكت ساعة ، وهو يتكلم بما يناسب الحال والمجلس . ثم أمره يُشل ، فلما فرغ أمر بإحضار القهوة ، فجعلت أصبها وأديرها حتى فرغت ، ثم أمره أيضاً فلما فرغ *قال رضي الله عنه* لي : « هل ظهر لك من هذا شيء لم يكن لك على بال » . قلت : الله أعلم .

قال رضي الله عنه : « هل سمعت ما لم تكن تسمع؟ » . قلت: نعم .

ثم التفت إلى ابنه الحَسَن ، *قال رضي الله عنه* : « إنه ما يريد إلا مثل كرامات الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفع الله به ، تكون منه الكرامات الظاهرة الباهرة على التواتر ، وهذه أشياء لا يجوز إظهارها ، فلا هي نبوة حتى يجب إظهارها وإنما هي بحسب الحاجة والضرورة الداعية إليها ، كما في قصة الحنفي مع تلميذه في المشي على الماء ، وقد كان من كرامات بعض من شهد الشيخ عبدالقادر ، أنه عرض عليه طبيب مُقْعَداً وصحيحاً في صندوقين ليختبره ، هل يعلم أيهما المقعد والصحيح ، فقال : تريد اختباري بذلك ؟ هذا هو المقعد وهذا هو الصحيح » . أو كما قال في معنى هذه الحكاية .

ثم *قال رضي الله عنه* : « وأنت لو كنت في بلادك لبرهنت ، ولكن الضوء لا تظهر مع الشمس ، وذلك بالنبي ﷺ لا بنا ، لأنه عليه الصلاة والسلام هو الشمس ونحن الظلال ، وقد أمر هو

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٥ .

بالتمسك بأهل البيت النبوي ، وبكتاب الله ، وقال: لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوض[1] . وقد كان رجل من المتعلقين بنا انقطع فقلنا له : وانقطاعك ماذا يحصّل لك ، أتندفع عنك به حجة ، أو تثبت لك به الحجة ؟ فبقي يتردد كما يتردد هؤلاء الذين يترددون ، وخليناهم على تردّدهم ، لأنهم كانت لهم حبال ، والحبال إذا ثبتت لا يجوز قطعها » .

ثم أمره أن يشل ، و*قال رضي الله عنه* : « اختم » .

فلما ختم قرأ الفاتحة ، ودعا ومن جملة دعائه بعد الحمد والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ : « اللَّهم يسر أمورنا وأمور المسلمين ، وأنزل أمطارهم ، وأرخص أسعارهم ، اللَّهم الطف بنا في قضائك ، وعافنا من بلائك ، وأوزعنا شكر نعمائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك ، اللَّهم جَمّل أحوالنا ، وأصلح أعمالنا ، وطهر وحسن أخلاقنا ، ووسّع وطيب أرزاقنا ، واقض بفضلك ديوننا ، وأصلح بكرمك شؤوننا ، واجعل إلى رحمتك ورضاك ومجاورتك في دار كرامتك منقلبنا ورجوعنا ومصيرنا » .

فلما انقضى هذا المجلس الميمون المبارك ، ونزلت من عنده ، فلما وصلت إلى المكان الذي أنا فيه نازل، أعلقت السراج ، وكتبت هذا الذي جاء على خاطري ، وما نسيته أكثر .

قال رضي الله عنه : « اسمعوا منا كلمتين ، الأولى من حج ليحج للناس ، فحجته معلولة – أو قال : مدخولة – ويكون حجة إسلامه وحجج الناس في ذمته .

والثانية إذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه ، فليعرضها على كتاب الله ، فإنه خليفةُ رسول الله ﷺ في أمته وأهل بيته ، قال ﷺ : تركت فيكم كتابَ الله، وعترتي . فإن لم يعرف نفسه من كتاب الله ، فليسأل الأئمة من أهل البيت ، فإنهم نوّاب جدهم وورثته يفسرون للناس ما أشكل عليهم من معاني الكتاب العزيز ، فإن لم يجد منهم أحداً فليسأل عنهم ويبذل جهده في طلبهم ، فإن لم يجد فليسأل نوابهم من الأئمة من غيرهم وهم العلماء العاملون » .

❁ ❁ ❁

(١) الدارمي : ٣٢٢١ ، مسند الإمام أحمد : ١٨٨٨٦ ، وابن حبان : ١٢٣ ، والمستدرك : ٤٦٦٥ ، ومسند ابن أبي شيبة : ٥١٤ ، البحر الزخار : ٢٢٢ ، والمعجم الكبير للطبراني : ٤٨٩٧ .

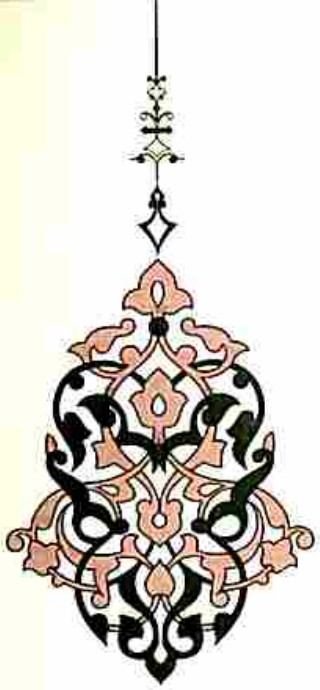

الحديث رقم (١٣٥)

قال ﷺ : « وَمَا لِعَدُوِّ الله أَبِي جَهْلٍ وَلِلْجَنَّةِ » .

قال رضي الله عنه : « الطالب الصادق يجيء ، فيأخذ ما يكفيه ، ومن جاء بحسن ظن وصدق ، ومع أدب ، مثل من يحمل من الماء ما يكفيه ، ويشرب حتى يروى ، ومن كان ليس معه أدب كالذي يشرب ويحمل ، ثم يبول في الماء ، ومن يعمل الأعمال الصالحة ليَظْهَرَ فضلُه فهو مذموم » .

قال الأحسائي : إنما يريد الإنسان الاستقامة على الصراط المستقيم لله تعالى ويطيعه كما يجب ، فكيف الوصول إلى ذلك ؟ قال رضي الله عنه : « بما أنت عليه من ظاهر الصلاة ، ومن الباطن ما أمكنك - أي من الخشوع - وتُعَلِّم متعلم ، والله سبحانه هو المعطي » .

قال الأحسائي : إنما مددنا منكم . قال رضي الله عنه : « إنما المدد من النبي ﷺ ونحن ما مددنا إلا منه » .

قال الأحسائي : وذكر هنا قصة الذي يحفظ قصيدة الشيخ أبي بكر العدني ، وكان عَشَّاراً ، فرؤي بعد موته ومَلَك من ملائكة العذاب قابض يده ليدخله النار ، فاعترضه مَلَك آخر ، وقال : خلِّ سبيله ، إنه يحفظ قصيدة الشيخ أبي بكر ، فقال : إنه يغلط فيها ، فقال : أما يحفظ منها مستقيماً قوله :

وذكر العيدروس القطب أجلا عن القلب الصدا للصادقينا

قال : بلى ، قال : فخلِّه ، ولو لم يكن فيها إلا هذا البيت . أو كما قال في القصة .

فقلت: إذا سمعنا كلامكم في الرجاء لمثل هؤلاء ، لا يكاد يقطع الرجاء من أحد ، وإذا

رأينا أفعالهم يكاد الرجاء ينقطع منهم .

قال رضي الله عنه : « أُرْجُ لغيرك ما ترجو لنفسك ، وأرج لنفسك ما ترجو لغيرك ، فقد يكون ما في نفس الأمر خلاف ما في الظن ، كما رأى النبي ﷺ قُطْفَ عنب في الجنة لأبي جهل ، فأحزنه ذلك فقال : وَمَا لِعَدُوِّ الله أَبِي جَهْلٍ وَلِلْجَنَّةِ . حتى ظهر تأويله بإسلام ابنه عكرمة واستُشْهد ، لأن الأمور بالخواتيم ، إلا إنك جانِبْ أهل المعاصي ، وعظهم وذَكِّرهم ، من غير أن تتكبر عليهم ، أو ترجو لنفسك خيراً منهم » .

قال الأحسائي : ثم سألته حينئذ عن حال رجلين ، أو رجل في إحدى الحالتين ، أيهما أحسن وأحب إليكم ، أحدهما غائب منكم وهو متعلق بكم كثيراً ، وآخر عندكم ولكنه ليس كالأول في التعلق .

قال رضي الله عنه : « المتعلق أحسن حالاً من الآخر ، وإن كان حاضراً ، لأن في التعلق منافع كثيرة ، لا تحصل بدونه ، وإن حصل مع الحضور منافع أُخَر » .

قال الأحسائي : ما يحصل للحاضر من رؤيتكم ، والاجتماع بكم ، والصلاة معكم ، والتعلم منكم ، وغير ذلك ، لا يقابل تعلق الغائب ؟

قال رضي الله عنه : « لا ، لأن مع المخالطة لا يكاد يستقيم له شئ يحصل ، بل يفوت بسبب المخامرة ، كالذي يكون مشتاقاً للطعام ، فإذا شبع مَلَّهُ ، وفي البعد تغلب رؤية الخصوصية على البشرية ، وفي الاجتماع تغلب رؤية المماثلة والبشرية على رؤية الخصوصية ، وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم : لو سألت الله أو قال شَفَعت في أحد من الكفار ، ولعيالي وأخدامي ، لرجوت الإجابة لأولئك الكفار دون الآخرين ، لأن المخامرة إذا قلت : هات كذا ، أو افعل كذا ، تُذهب الاحترام ، ولهذا كانوا إذا جاء الطالب يمكث شهراً أو أكثر ، لا يكلمونه بكلمة ، خوفاً أن يألف الكلام معهم ، ويقل احترامه » .

❋ ❋ ❋

الحديث رقم (١٣٦)

قال ﷺ : « حَاجَّ مُوسَى آدَمَ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ. قَالَ : قَالَ آدَمُ يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَن يَخْلُقَنِي . فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » .

قال رضي الله عنه في حديث محاجة موسى لآدم ، وقوله: فَحَج موسى آدمُ[1] : « إن هذا أمر قد مضى وتاب منه آدم ، وكم قد بقي يبكي ذنبه ، حتى بكى عليه نحو مائتي سنة ، ما إنه جلس يضحك ويحتج بالقضاء والقدر ، ولو أن العمل ما هو إلا بالقضاء والقدر ، لكن إلى الإنسان منه شعبة ، هي محل التكليف ، وبِحَسبها يثاب ويعاقب ، وهي الاختيار ، فما دام يميز بين الفعل والترك ، ويعرف الأحسن منهما ويمكنه ذلك مع الاختيار ، فلا حجة له ، والحاصل : إن المدح والذم متعلقان بالاختيار ، حتى إن الإنسان قد يثاب مع عدمه ، فيما لو فعله معه لَذُمَّ به ، كمن يسقط في بئر وهو غافل ، أو فَعَل ما فيه تلفه ، وأما المضطر المجبور ، فلا ثواب له ، ولا عقاب عليه ، لعدم الاختيار » .

❁ ❁ ❁

---

(١) حديث : حاج آدم موسى ، أخرجه البخاري ٦ : ١٢١ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٨٧ .

الحديث رقم (١٣٧)

قال ﷺ : « شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ[1] : « أي الذي يحطم الناس بالجور ، ثم بعد تحطمه النار فالحطمة للحطمة » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد ٥ : ٦٤ ، والطبراني ١٨ : ١٨ ، وشرح الإحياء ٧ : ٧٧ ، وكنز العمال ٧ : ١٤٧ .

الحديث رقم (١٣٨)

قال ﷺ : « يَقُولُ اللهُ لأهلِ بَدْرٍ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

قال رضي الله عنه في حديث : يَقُولُ اللهُ لأهلِ بَدْرٍ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[1] : « أي إنهم ما بقي فيهم داعية المعاصي ، إنما عملهم كله صالح » .

❁ ❁ ❁

---

(١) الدارمي : (الرقاق) ، وأحمد بن حنبل ٣ : ٣٤٩ .

الحديث رقم (١٣٩)

قال ﷺ: « لا تَكُونَا كالعَيرين » .

قال رضي الله عنه : « إن الله لا يؤاخذ الإنسان بوساوس الشيطان إذا كان كارهاً له وعقيدته بخلافه ، وهذا الوسواس ما نقيم له وزناً لأن عندنا : كلما خرج عن الإختيار لا نرى فيه حرجاً وهذا منهي عنه ، حتى في حق الرجل مع زوجته ، وفي الحديث: لا تكونا كالعَيرين . وقد قال لنا يوماً فلان : ما أنا مشغول إلا من الورود ، ما أدري كيف نكون . فقلنا له: لا تشغل نفسك بهذه الأمور ، وأمور الآخرة ألا قَصِّرْها ولا تطولها على نفسك ، فكيف يكون دخول القبر وسؤاله » .

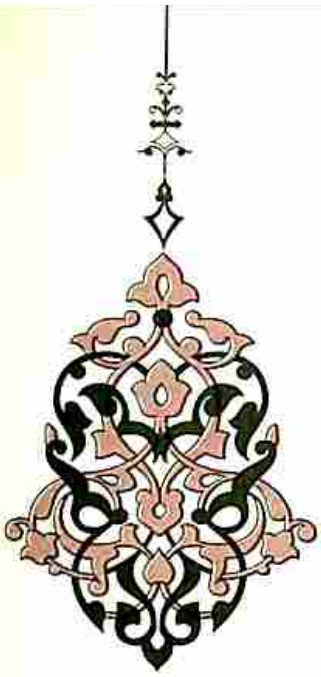

الحديث رقم (١٤٠)

قال ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا » .

قال رضي الله عنه في حديث : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا[1] : « هي دعوة عامة يدعو بها في ما شاء ، كأنه قيل له : إسأل ما أردت أستجب لك » .

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (كتاب الإيمان) ب ٨٦ ، وابن ماجة : ٤٣٠٧ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٧٥ ، وأبو عوانة ١ : ٩٠ ، والترمذي : ٣٦٠٢ .

الحديث رقم (١٤١)

إِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَتَتْهُ عَلَيهِ السَّلام بِكِسْرَةِ خُبزٍ وَقَالَت : خَبَزْتُ خُبْزاً فَمَا طَابَتْ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتُكَ بِهَذِهِ الكِسْرَة ، قال ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَبِيكِ مُنذُ ثَلَاث » .

قال رضي الله عنه في حديث : إن فاطمة رضي الله عنها أتته عليه السلام بكسرة خبز وقالت : خَبَزْتُ خبزاً فما طابت نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال عليه السلام : أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَبِيكِ مُنذُ ثَلَاث[1] : « إنه عليه السلام كان يتنقل في بيوته التسعة كل ليلة في بيت ويخرج أيضاً إلى خارج المدينة ويصوم ويجوع ولا يعلمون به ، وكل موضع يجيئه يظنونه قد أكل في الموضع الآخر ، حتى إنهم طلبوا يوماً معرفة كونه صائماً أم لا ، فأطعموه فأكل فعرفوا أنه مفطر » .

قال الأحسائي : ثم تكلم سيدنا في الجوع ، قال رضي الله عنه : « ينبغي أن يُنقِص كل ليلة لقمة ، حتى يصل إلى حد لا يتغير عليه عقله فيه فيلزمه ، وأقوام يدخلون الخلوة على غير هذه المقاصد بل يقصدون أموراً أخرى ، فلهذا تتغير عقولهم ، لأنهم إذا اشتَدَّ عليهم الجوع قد يسمعون أصواتاً وأشياء فيفزعون ويتغيرون منها ، ولو أخذوها بشروطها وحقوقها لما حل بهم ما حل » .

❁ ❁ ❁

---

(١) المعجم الكبير للطبراني : ٧٤٩ ، شعب الإيمان للبيهقي : ٩٧٣٤ ، أخلاق النبي للأصبهاني : ٨٠٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٠٠٩ .

الحديث رقم (١٤٢)

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ أَمْهَرَ فَاطِمَةَ رُبْع أَهل الدُّنيا » .

قال الأحمائي : قال الشيخ عبدالله العيدروس : أذن لي في تحكيم ربع أهل الدنيا .

قال رضي الله عنه : « أذن له في تحكيم ربع أهل الدنيا ، وما حكمهم كلهم . إنما قال الشيخ عبدالله ذلك لأنه ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : إنَّ اللهَ أَمْهَرَ فَاطِمَةَ رُبْع أَهل الدُّنيا[1] » .

قال الأحمائي : وأردت أن أسأله عن معنى ذلك فعرفت كراهته للسؤالات .

---

(١) المعالم الزلفى ص : ٣٥٠ .

الحديث رقم (١٤٣)

قال ﷺ : « غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ » .

قال الأحسائي : وقال لي عشية يوم الخميس ١١ ربيع أول سنة ١١٢٥ : « من طلب وأراد شيئاً من أحوال الصالحين ، فليطلب ذلك ويستثمره بالأعمال الصالحة الخالصة والأخلاق الحسنة ، ويطلبه من الله بذلك ، ولا يطلبه منه بغيرها ، ثم يطلب منه لها الزيادة والترقي . فإن هذه الأمور تثمر له ذلك ، إن كان له نصيب ، والله هو الفاعل ، إذ ما كل حبة تجيب سبول .

فتراك ترى كثيراً من الناس ، يا صلاة ويا صيام ، ولا حصلوا شيئاً ، لعدم ترقيهم ، فإنهم بقوا جامدين على ذلك ولم يطلبوا الزيادة والترقي ، ولكنهم على خير لا يخلون منه ، ولا عاد نوصي إلا بالإحياء كما أوصى به السلف ، وفي الفقه المنهاج ، لأنه مغربل . وفي كل كتب الحديث خير ، البخاري أو مسلم أو رياض الصالحين أو الأذكار ، إلا أنه لا يمعن جداً - أو قال : لا يتقعر - لأن ذلك يريد قوة في الإدراك والفهم والتحقيق ، وما ندري ماذا يصير الأمر بعدنا ، ولكن احفظوا عنا ما ذكرناه ضحوة وقت القراءة من أمر الدجال ، لأن النبي ﷺ قال : إِنْ ظَهَرَ وَأَنَا فِيكُم فَأَنَا حَجِيجه ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه[1] » .

قال الأحسائي : يشير إلى ما قد ذكر ضحى هذا اليوم في مجلس القراءة من أمر المسيح الدجال .

قال رضي الله عنه : « ما جاء أنه يمسح الأرض - أي يمر عليها - لا يلزم من ذلك أنه يعمها كلها ، بل يطلق هذا على الأكثر ، ويحصل به العموم . لأنه جاء أنه لا يدخل مكة ولا المدينة ، وفي الجبال حصن حصين منه ، فعلى من خافه بها ، إلا إن كان يرسل لمن بَعُد منه ، لكن ما له

---

(١) من حديث طويل أخرجه مسلم ٤ : ٢٢٦٧ عن النواس بن سمعان . .

رُسُل ولا طلائع يبعثهم ، وإنما هو مفرد برأسه . وقد مر علينا في آثار ضعيفة جداً ، أن من كان في الأموات ممن لو حضره لأجابه . يجيبونه من قبورهم ، ولكن لا يصح هذا » . أو كما قال .

الحديث رقم (١٤٤)

قال ﷺ: « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُم بَعدَ المائَتَيْنِ أَن يَمُوت فَلْيَمُتْ » .

قال رضي الله عنه : « سئل بعض السلف : هل شيء من العدل يكون بعد المائتين ؟ فغضب ، وقال : كيف ذلك ، وقد قال النبي ﷺ : مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُم بَعدَ المائَتَيْنِ أَن يَمُوت فَلْيَمُتْ ؟ » .

ثم قال رضي الله عنه : « رأينا في حديث مشهور ، أنه تخرج شياطين بعد المائتين ، كان حبسهم سليمان عليه السلام ، فيطلقون حينئذ ، ويحدثون الناس بما لا يعرفون ، فيأخذون ما يقولون لهم) » .

الحديث رقم (١٤٥)

قال ﷺ : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ..الخ » .

قال رضي الله عنه : « ينبغي للإنسان أن يتوسط من الخوف والرجاء ، لأنه إذا اشتد خوفه انقطع ، ألا ترى لما ذكر النبي ﷺ بعث النار ، كيف جزع الصحابة ؟ حتى ذكر لهم يأجوج ومأجوج[1] . ومن قد دعاه الله إلى الدين فهو على خير ، إذ لو لم يرد له ذلك لما دعاه إليه ، ولكن لا يغتر ولا ينهمك في شهوات الدنيا ، فإن أقل الحال يشتد عليه الموت بسبب ذلك » .

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله يا آدم ، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ، قال : يقول أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فاشتد ذلك عليهم فقالوا : يا رسول الله ، أينا ذلك الرجل ؟ قال : (أبشروا ، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلًا ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة) . قال : فحمدنا الله وكبّرنا ، ثم قال : (والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالرَّقْمَةِ في ذِراعِ الحِمار) .

الحديث رقم (١٤٦)

قال ﷺ: « الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا » .

قال رضي الله عنه : « إن فتن آخر الزمان مثل النار تحت الرماد ، فليفرح الإنسان ما دامت مندفنة تحته ، ولا يحركها فتظهر ، وقد قال النبي ﷺ : الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا[1] . والفتن موعود بها في آخر الزمان ، وآخر ما تأتيه جزيرة العرب » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده مشحم في النوافح العطرة : ٢١٨ ، كما أورده السيوطي في الجامع الصغير .

الحديث رقم (١٤٧)

قال ﷺ : « إِذَا ظَهَرَتْ عَلَامَاتُهَا تَبْقَى السَّاعَةُ فِي قُرْبِهَا كَالحَامِلِ المقَرِّبْ » .

قال رضي الله عنه بعدما فرغ قاريء كان يقرأ في منهاج العابدين : « إن هذه الأشياء لا تظهر إلا بالتكرار والتأمل ثم الإستعمال ، فطالعه مرة ومرتين وأكثر ، وتأمل ثم اعمل ، وإلا كنت كالذي يعرف الدواء وهو مريض ولا يستعمله » .

قال رضي الله عنه : « غداً يوم القيامة التحاكم بيننا وبينهم ، إذا رأيت صلواتهم وزكواتهم ومعاملاتهم الباطلة ، وقد يكون رأساً ، فبم ذا يحسن الظن فيهم ؟ غاية حسن الظن بالمسلم العاصي ، أن يعتقد فيه أنه لا يبقى على ذلك ، ولا يصر على المعصية ، وانظر ذلك في نفسك ولا تحدد في هذا الزمان ، فإنك إن فعلت رأيت ما يسوءك ، وفي الزمن السابق إذا حددت رأيت ما يسرك ، وما راح بالناس إلا الأماني ، يمني نفسه بالتوبة وبمن يشفع له ، وهذه أماني باطلة ، وأما محبة البقاء فطول أمل يشغل عن العمل الصالح . وشفاعة الأولياء ذكروا إنما هي لمن شابههم ، فبسبب المشابهة لهم يحصل الشفاعة منهم كالمغناطيس ، والأمور قد بعدت ، فيأخذ في درجة أصحاب اليمين ، وإذا أردت تعرف تباعد الأمور فانظر بين حال أهل وقتك وحال من قبلهم ، فيكون حال كل متقدم أزهد في الدنيا وهلم جرا ، لأنه لولا النزول لما قامت الساعة ، لأنها يوم تقوم ما يبقى إلا شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمر ، ولا تقوم إلا بغتة ، لكن تتقدمها علامات ، في الحديث : إِذَا ظَهَرَتْ عَلَامَاتُهَا تَبْقَى السَّاعَةُ فِي قُرْبِهَا كَالحَامِلِ المقَرِّبْ » انتهى .

قال الأحمائي : قوله : « غداً يوم القيامة التحاكم بيننا وبينهم » ، يعني أقواماً مخالفين للأمر أعمالهم باطلة ، مرتكبين للمعاصي مصرين عليها ، وإن عملوا طاعات فعلى غير شروطها فلا تصح ، وفيهم رؤساء متَّبعون ، لهم أتباع يفعلون كفعلهم ويحتجون بهم ، فلا لحسن الظن فيهم

وجه ، وأنت ترى ما هم عليه مما ذكر من أحوالهم ، وانظر ذلك في نفسك ألا تكون مصراً على مثل عملهم ، إن كان فأنكره على نفسك أولاً واتركه ، ثم انصحهم لوجه الله ، وإلا فلا يسمعون لقولك وهم يرونك تعمل مثل عملهم ، كما ترى من هو منهمك في الدنيا وليس في قلبه تقوى ، وهو يزهّد الناس في الدنيا ويقول : اتقوا الله . فلا يجدي قوله ولقلقة لسانه وفي قلبه خلافه ولا يخفي ذلك .

وقوله : « فلا تحدد في أهل وقتك » ، أي لا تمعن النظر فيهم ، فربما تَطَّلع منهم على أمور منكرة يلزمك إنكارها ، وقد كنت غافلاً عنها ، وكان في ما مضى من الزمان إذا أمعنت وتقصَّيت ، فلا ترى إلا خيراً وجميلاً ، بخلاف اليوم فاعل المعاصي اليوم يغره الشيطان ويحثه على فعلها ، فيقول له : افعلها . فيفعلها ويقول : أفعلها وأتوب ، والعمدة على شيخي أو جدي ينفعني ويشفع لي . فيغتر بخواطر الشيطان هذه وأمثالها ، فيقع في المعصية .

وقوله : « إنما تحصل الشفاعة من الأولياء لمن شابههم » ، أي بالإقتداء بهم في أعمالهم فيشبههم بذلك ، وإن المشابهة كالمغناطيس في جذب الحديد ، تجره إلى من شابهه ، كما يجذب المغناطيس الحديد إلى نفسه للمناسبة بينهما . وذكر الإمام الغزالي : أن خاصية جذب المغناطيس للحديد لم يطلع عليها أحد من الخلق ، أظن قال : لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، حتى الأنبياء لم يطلعوا عليها ، ولم تُذكر عن أحد منهم ، فالمشابهة بالإقتداء يجذبه إلى الذي اقتدى به ، ليرى بالمناسبة بوجود المشابهة ، كما يجذب ملك الموت الروح بالمناسبة والمشابهة ، لأن الروح من عالم الملائكة ، ولهذا هو فيك ، وإنما حياتك به ، ولا تراه ولا تحس به ، فإذا تراءى ملك الموت للروح عند الموت طار إليه وانجذب له .

❁ ❁ ❁

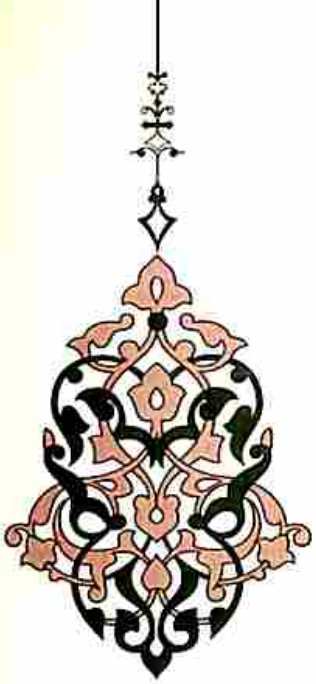

الحديث رقم (١٤٨)

قال ﷺ: « آخر الزَّمَانِ الذِي عَلَى الإنْسَانِ فِيهِ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِهِ » .

قال رضي الله عنه: « ينبغي للإنسان في هذا الزمان أن يسير إلى الله بلطف ، ويأخذ نفسه بالتي هي أحسن . ومن تبعه فهو منه ، ومن عصاه فإن هذا الزمان هو الذي ذكر في الحديث : آخر الزَّمَانِ الذِي عَلَى الإنْسَانِ فِيهِ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِهِ ، ولا عليه من غيره ، لأن الروابط قد ضعفت في هذا الزمان » .

الحديث رقم (١٤٩)

قال ﷺ: « مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ .. الخ » .

قال رضي الله عنه في قوله في الحديث القدسي : فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ .. الحديث[1] : « أي يعني لا يفعل بكل عضو مما يخصه إلا ما يحبه الله ، ويعتقد أن الله هو الفاعل به ذلك » انتهى .

قال الأحسائي : مثاله أن من الأعضاء اللسان مثلاً ، ويخصه من الأعمال النطق ، فلا ينطق إلا بما يحبه الله من تلاوة قرآن أو ذكر ، أو الثلاثة التي نص عليها القرآن ، بقوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2] ، ولا يقول ما يسخط الله من الكذب والغيبة وكل مذموم ، وكذلك في كل عضو من الأعضاء السبعة تصدر من كل واحد طاعة ومعصية ، فإذا أحبه الله أجرى على كل واحد من أعضائه الطيب من عمله ، وجنّبه مكروه منه ، هذا مما يتعلق بالعمل المكلف به شرعاً في الظاهر ، وأما في الإعتقاد الباطن فيعتقد أن الله هو الذي أجراه عليه ، ويسمى ذلك في الطاعة التوفيق ، وهو ما يجريه على الخصوص الذين أحبهم من عباده ، ووعدهم عليه الجنة ، ويسمى في المعصية الخذلان ، أعني ما يجريه الله على عباده ويجري الخذلان على من أبغضهم ، ووعدهم عليه النار ، فيراقب العبد أحواله وأعماله وما يجريه الله عليها ، فإن كان خيراً يحبه الله ، فيحمد الله أن أجراه عليه ، ويرجو تمامه بأن يختم الله له بحسن الخاتمة ، وإن كان شراً يسخط الله ، فيخاف من ذلك ويبادر إلى تركه ، ويخاف من عاقبته الذي هو سوء الخاتمة انتهى .

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري : ٦٥٠٢ ، ومسلم : ١٦٦٩ ، والترمذي : ١٤٢٢ ، والنسائي : ٤٧١٣ ، وأبي داود : ٤٥٢٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١٤ .

الحديث رقم (١٥٠)

قال ﷺ : « الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » .

قال رضي الله عنه في حديث : الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ[1] : « يعني الأئمة في الدين والعلم ، ومن كان منهم ضعيف الدين جاهلاً بأي وجه يستحق التقديم ؟ بل يتعين عليه يجتهد أن يصير عالماً تقياً ، ليصير أهلاً للتقدم . وقد قال الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه : تَفَخْسَسْ تَسْلَمْ ، لا تكن عقرباً تُقْتَلْ ، كن ذنباً في الخير ولا تكن رأساً في الشر ، فإن الرأس أول ما يُقطع » .

قال الأحسائي : ذكر ذلك لابنه الشيخ عبدالرحمن بن علي ، في رسالة أرسلها له ، وكان في بندر عدن من بلاد اليمن ، ومراده بذلك حضه على غاية التواضع وعدم رؤية النفس ، ولا يكون كذلك إلا من بلغ الغاية في العلم النافع وكمال التقوى ، ولذلك استشهد سيدنا بهذا القول على حث السادة ، لكونهم رؤوس قريش ، على الإجتهاد أن يصيروا علماء أتقياء ، ليبلغوا مقام الإمامة التي خصهم بها رسول الله ﷺ في هذا الحديث ، وفي حديث : قدموا قريشاً ولا تتقدموها . أي في مقام الإمامة والزعامة التي هي أحق بها من غيرهم ، لشرفهم عليهم بشرف كون رسول الله ﷺ منهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٨٣ ، والبيهقي ٣ : ١٢١ ، والحاكم ٤ : ٧٦ ، والطبراني ١ : ٣٢٤ ، ومجمع الزوائد ٥ : ١٩٢ .

الحديث رقم (١٥١)

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ : كَيفَ رَأيتَ رَبَّكَ لَيلَةَ المعرَاجِ يا رَسُولَ الله؟ قال ﷺ: « نورٌ أَنَّى أُراه » .

قال رضي الله عنه : « لا تتعد في تنزيل ما تسمعه من الغزل نفسك ، بل تنزله على روحك أو على الكعبة ، لأنه لا خطر في ذلك ، ولا تتجاوزه إلى النبوة ، فضلاً عن الملائكة ، فضلاً عن الأمور الإلهية ، فإن حد ما ينتهي إليه علم الملائكة سدرة المنتهى ، فيجدون أمر الله عندها ، ولا يتجاوزونها . وقد ورد : إن على جوانب العرش مئتي شمس ، أو قال: مِأَتيْ قمر ، ينطمس في كل واحد منها نور الشمس والقمر ، لا يستطيع أكابر الملائكة كجبريل أن ينظر إليه ، وهو صورة العرش ، فما ظنك بغير ذلك، وهذه الملائكة فكيف بالآدمي مع ضعفه .

وقد قالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : كيف رأيت ربك ليلة المعراج يا رسول اللهَّ فقال: نورٌ أَنَّى أُراه[1] » .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم : ١٦١ ، والترمذي ٣٢٨٢ ، وأحمد بن حنبل ٥ : ١٥٧ .

الحديث رقم (١٥٢)

قال ﷺ : « مَنْ قَالَ إذا أَصْبَحَ وإِذَا أَمْسَى : حَسْبيَ اللهُ ، لا إلَهَ إلا هُوَ ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ ، وَهُو ربُّ العَرشِ العَظِيم ، سَبْع مرَّات ؛ كفاهُ الله ما أهَمَّهُ ، صَادِقاً كانَ بِهَا أو كَاذِباً » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَنْ قَالَ إذا أَصْبَحَ وإِذَا أَمْسَى : حَسْبيَ اللهُ ، لا إلَهَ إلا هُوَ ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ ، وَهُو ربُّ العَرشِ العَظِيم ، سَبْع مرَّات ؛ كفاهُ الله ما أهَمَّهُ ، صَادِقاً كانَ بِهَا أو كَاذِباً[1] : « ما كل أحد يقول ذلك صادقاً ، إلا إن الإكتفاء بالله شديد ، قل أن يتصف به باطناً وظاهراً وإن قال ذلك » .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/ ٢٠١/ برقم ٥٠٨١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٣٦ : ١٤٩ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة : ٧١ .

الحديث رقم (١٥٣)

قال ﷺ: « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي » .

قال رضي الله عنه في حديث : قول الرجل : دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي[1] : « إن كان ما دعا به من أمور الآخرة فمن أين يعلم أنه ما استجيب له ؟ لعله حصل له الإستجابة في أمر يكون في الآخرة ، أو من أمور الدنيا ، فلعله دعا في شيء لو استجيب له فيه لكان يضره » .

قال الأحسائي : فمن لطف الله بعبده المؤمن ، أنه إذا سأله شيئاً من أمور الآخرة أعطاه الله إياه فيها مطلقاً ، ولا استثناء فيه ، لأنها - أي أمور الآخرة - كلها خير ونافع ، وبهذا يتبين قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] يتبين نجاز وعده بالإستجابة في أمور الآخرة لمن دعا بما دعا من غير تخلف .

وأما أمور الدنيا لما كان أغلب الناس مشغوفاً بها ، ومنهم من لا يبالي بالحرام ، وخطاب الله لخلقه على حسب الأغلب من أحوالهم ، كان منه سبحانه الإستثناء في ذلك ، إن كان ينفعه أعطاه إياه إما في الدنيا وإما في الآخرة ، وإن كان يضره منعه منه في الدنيا وأعطاه عنه في الآخرة عوضاً منه أنفع له منه ، والدليل عليه حديث صلاة عيد الفطر ، إذا اجتمعوا في مصلاهم نظر الله إليهم وقال : يا أمة محمد لقد أرضيتوني ورضيت عنكم ، وعزتي وجلالي لا تسألوني في موقفكم هذا شيئاً لأمر آخرتكم إلا أعطيتكم إياه ، ولا تسألوني شيئاً لأمر دنياكم إلا نظرت لكم . يعني نظرت لكم إن كان ينفعكم أعطيتكم إياه ، أي إما في الدنيا أو في الآخرة ، فربما إذا ادُّخِر للعبد في الآخرة وما رآه في الدنيا قال : دعوت فلم يستجب لي . وظن بخلف الوعد بالإستجابة ، والله سبحانه لا يخلف الميعاد ، إلا إن كان العبد أخلف نفسه بأكل الحرام ، حتى

---

(١) البخاري : ٥٩٨١ ، ومسلم : ٢٧٣٥ ، والترمذي : ٣٣٨٧ ، وأبي داود : ١٤٨٤ ، ومسند أحمد ٢ : ٤٨٧ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

نبت عليه جسمه ، فكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به ، فإذا كان مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب لذلك ، فالمصلحة له فيما اختاره الله له ، وإن كان يضره أعطاه عوضه في الآخرة أنفع له منه .

قال رضي الله عنه : « إن أهل الزمان نسوا الله بترك حقوقه ، فسلط الله عليهم ما يشغلهم ، حتى لو دعوا لم يستجب لهم ، وتنكر أصواتهم الملائكة ، لأنهم لا يألفوها بسماع ذكر أو غيره من أمور الطاعة ، كما ورد في حديث : فأنّا يستجاب لذلك » .

❁ ❁ ❁

الحديث رقم (١٥٤)

قال ﷺ : « عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي » .

قال الأحساني : وخرج لصلاة عشاء ليلة الجمعة وتراويحها سنة ١١٣٢ ، ولا خرج لصلاة الجمعة ، ولما كان وقت خروجه قال رضي الله عنه لي : « اطلع ، ما بايقع لنا طلوع ، لأنه أشغلنا احتباس راقة ، الظاهر ولا أدري له سبباً ، أمن يبس أو غيره ، وقد يحصل لي ذلك لكن وقت يسير ويذهب ، وفي هذه المرة طال قليلاً ، حسيت من طول المجلس يحصل به ألم ، ولكن كما قال الإمام الشافعي : لا أستر للإنسان من العافية . وقد قال النبي ﷺ : وعَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي . فادعُ لنا بالعافية[1] » .

قال الأحساني : الله يتم عليكم عافيته ونعمه كلها ، إذ كل مجلس يحصل منكم ، أو أي عادة يكون فيه تعب على الناس .

وقد ابتدأ به هذا يوم الأربعاء ٢٦ ، ولا انقطع من شيء يعتاده إلا من يوم الخميس ٢٧ ، وقد قال رضي الله عنه يوماً : « ما المرض إلا ما أقعد الإنسان » . وكان هذا ابتداء مرض وفاته مع أوجاع متعددة .

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (ص/ ٣١٥) واللفظ له وعزاه بعض أهل العلم إلى المعجم الكبير للطبراني ، الضياء المقدسي في المختار (٩/ ١٧٩) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/ ١١١) ، ومن طريقه ابن عساكر (٤٩/ ١٥٢) ، ورواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٧٥) .

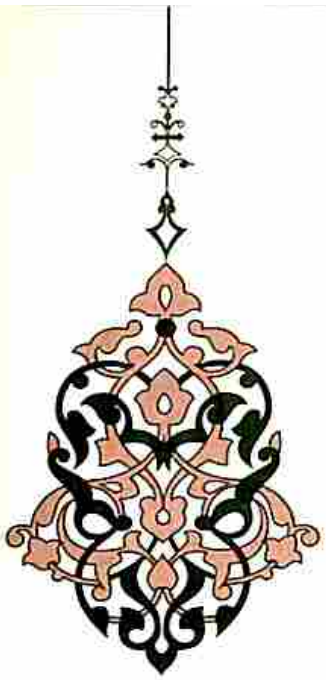

الحديث رقم (١٥٥)

قال ﷺ : « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ » .

قال رضي الله عنه : « الخمول نعمة والنفس تأباه ، والظهور فتنة والنفس تهواه . وما أثنى الله ورسوله حين أثنى إلا على الخمول ، فقال : ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ[1] . ولم يقل : ذا حلتين » .

قال الأحسائي : ثم أطال الكلام في ذم الظهور ومدح الخمول ، ثم قال رضي الله عنه : « خص البلاء بمن عرف الناس أو عرفوه ، وتروى هذه الكلمة حديثاً ، وذكر بعض المفسرين : إن الأول مبتلى بنفسه ، والثاني مبتلى بربه » .

---

(١) رواه مسلم : كتاب البر والصلة ، وشرح الإحياء ٨ : ٢٣٤ .

الحديث رقم (١٥٦)

قال ﷺ : « إنَّ الإلحَاحَ عَلَى الله فِي الدُّعاءِ مَطْلُوب » .

قال الأحسائي : وذكر الرحمة ، ثم قال رضي الله عنه : « ما بدا رتبنا ثلاث أربعينيات يس لأجل الرحمة إلا هذه السنة - يعني سنة ١١٢٨ - ولقد خشينا أن يكون ذلك من الإلحاح على الله ، وقد بقي بعض موانع - ذكر من جملتها : - الربا والظلم وقلة إخراج الزكاة وغير ذلك » .

قال رضي الله عنه : « ثم رأينا إنه ورد عن الرسول ﷺ : إنَّ الإلحَاحَ عَلَى الله فِي الدُّعاءِ مَطْلُوب[1] ، سواء كان الإلحاح في أمر محمود تريده ، أو أمر مكروه تخافه ، فإن كان في أمر مطلوب ، فهو من باب الشكر ، أو مكروه فهو من باب الصبر ، وكل منهما مطلوب ، مع إن الضعف جبلة خلقة الإنسان ، وقاعدة : إذا وقعت الأمور المحمودة ، فقل : هذا من الله . وإذا وقعت الأمور المكروهة ، فقل هو من الناس . ولا تحتج وتذكر القضاء فيهما ، وإن كان لا بد منه في الأمرين ، كما ورد . ومثال ذلك كقفة لها عروتان ، إحداهما إلى الله ، وهي بيد المَلَك ، والأخرى بيد الآدمي ، فإذا سيَّب الإنسان الذي إليه فالتقصير منه وينسب إليه ، والله سبحانه هو المقدر لجميع ذلك ، ولكن يُذكر بالأمر المحمود ، ولا يُذكر بالأمر المكروه » انتهى .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الطبراني عن عائشة مرفوعاً .

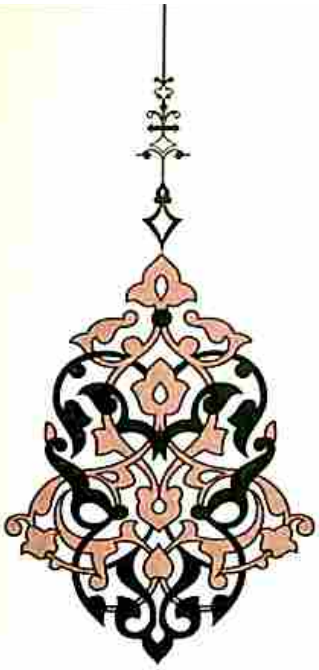

الحديث رقم (١٥٧)

قال ﷺ : « مَا مِنْ يوم يُصبِحُ فيه العبادُ ؛ إلا مَلَكانِ يَنْزِلان ، يقول أحدُهما : اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً » .

قال الأحائي : وذكر سيدنا عبدالله يوماً حديث الملكين : يصبحان يناديان صباح كل يوم ، أحدهما ينادي : اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً [1] ، ثم قال رضي الله عنه : « هذا في من لم يخرج الزكاة ، فيمنع حق الله الواجب ، أو لم يتصدق مع قدرته على ذلك ، بل يبخل عن ذلك ويخبيء المال وينميه ويحرص عليه ويحب زيادته » انتهى .

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (٢٣٨٣) ، والنسائي (٩١٧٨) ، ورواه ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (٤٤٥) ، وأخرجه أيضا الطبراني في الأوسط، وهو مضنة الغرائب، برقم (٥٠٨٣) ، و رواه ابن حبان برقم (٣٣٣٣) ، وروى أبو داود الطيالسي برقم ٩٧٩ .

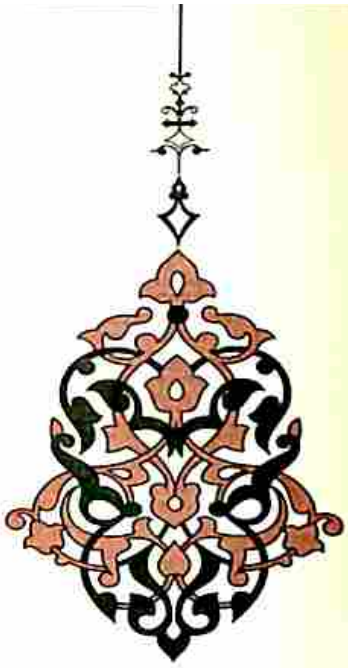

الحديث رقم (١٥٨)

قال ﷺ: « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » .

قال رضي الله عنه في حديث : مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ[1] : « يعني من شربه لمرض شفاه الله ، أو لجوع أشبعه الله ، أو لحاجة قضاها الله » .

قال رضي الله عنه : « أي لأنها في الأصل للإستغاثة ، أغاث الله بها إسماعيل عليه السلام ، وقد جربه الأئمة في المطالب فوجوده صحيحاً من خبره عليه الصلاة والسلام ، ولكن يحتاج لنية وإخلاص ، ما هو لكل الناس » .

قال الأحباني : ومما جرب أن الإمام السيوطي قال : شربت من زمزم بنية أن أكون في علم الحديث كشيخي ابن حجر العسقلاني ، فأعطاني الله ذلك . وقد اشتهر وشاع وطبق البقاع ، وأعطاه الله في ذلك خاصة ، وفي كل العلوم عامة .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن ماجة : ٣٠٦٢ ، وأحمد بن حنبل ٣ : ٣٥٧ ، والبيهقي ٥ : ٢٠٢ ، والحاكم ١ : ٤٧٣ ، والدارقطني ٢ : ٢٨٩ .

الحديث رقم (١٥٩)

قال ﷺ : « إنَّ البَهَائِمَ إذَا قَحطَتْ تَدْعُو عَلى بَنِي آدَمَ ، وَتَقُول : إنَّ اللهَ وَاخَذَنَا بِذُنُوبِهِم » .

قال الأحسائي : وسئل منه رضي الله عنه الدعاء بالرحمة ، وألح عليه في ذلك .

ثم قال رضي الله عنه : « ادعوا ربكم فإنه سبحانه يحب كثرة القرقعة على بابه ، ولعل المانع من ذلك ذنوب الناس ، ولكن يرجى منه سبحانه أن يرحم المذنبين لأجل البهائم والصغار ، فإن كان أولئك ليس فيهم خير، فهؤلاء ليس فيهم خير ، وأيضاً ليس كل المكلفين أهل معاصي ، بل فيهم أهل الخير ، وقد بلغنا إن البهائم كل يوم تشكو إلى ربها من بني آدم ، وتقول : إنما مُنِعْنَا الرحمة بذنوبهم . فإذا أردتم الرحمة فأطيعوا ربكم، فإن الرب ما يرحم إلا أهل الطاعة ، والطاعة ما تكون إلا فيما يخالف هوى النفس ، وما ينفع القلب والدين من الأعمال إلا ما لم يكن للنفس فيه هوى، وخزائنه سبحانه كلها مملوءة ، ولا بد من مطر في الدنيا كل ليلة من ليالي السنة ، إلا إن كانوا مطيعين ، جعل الله الغيث حيث ينفعهم ، وإن كانوا عاصين قال تعالى : أخروه في الخزائن ، وما بالناس إلا المداينات ، ومظالمهم بعضهم لبعض ، وقد ورد : إن البهائم إذا قحطت تدعو على بني آدم، وتقول: إن الله واخذنا بذنوبهم . إذ ليس لهن ذنوب ولم يمنعهم سبحانه إلا ليؤدبهم ، فإن العبيد إذا لم يكونوا مستحقين فالسيد الكريم يؤدبهم ، وذلك لأنفسهم لا لنفسه ، ليؤدبوا بذلك غيرهم ، فإن الآدمي محتاج إلى الرزق ، وإلا لجعلهم كالملائكة غير محتاجين للأكل ، وعدم الاحتياج إلى الشيء إما لكون بُنيته لا تقبله ، كالملائكة لا غذاء لهم في الطعام ، أو لكون الله تعالى لم يجعل له فيه غذاء ، وجعله في غيره كالبُرِّ قُوتُ الآدمي ، والقَضْب قوت الدواب ، وإنما قوت الملائكة الذي يتلذذون به القُرْب ، وهذا شأن الأرواح ، كما إن الأكل شأن الأجسام ، ولذة الأرواح في غير ما تلتذ به الأشباح ، ولا يلتذ الروح بما يلتذ به الجسم ، إلا من حيث المجاورة ، وكل ما يذكر من معاني القرب واللقاء ، وكونه لا يشتاق إلى جنة ، ولا يخاف من نار ، ونحو ذلك مما قد يجري في كلام القوم ، فكل ذلك من صفات الروح

لأنه لا يأكل ، وإلا لاحتاج إلى أكل في القبور » . أو كما قال .

الحديث رقم (١٦٠)

قال ﷺ : « اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي وَالهَدْمِ وَالحَرْقِ » .

قال رضي الله عنه في الدعاء الوارد في الحديث : اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي وَالهَدْمِ وَالحَرْقِ[1]: « إن هذه الأشياء، ولو كان فيها شهادة، إلا إنها لا تأتي إلاَّ بغتة، ويكون حِينئذ بِغَيْرِ استعداد، وما جاء بغتة، يُشْكل ويعسر، وربما يقبض وهو غير راض وذلك مشكل » .

❁ ❁ ❁

(١) سنن أبي داود : ١٣٣٢ ، والنسائي في الصغرى : ٥٤٦٥ ، ومسند الإمام أحمد : ١٥٢٢٠ ، والمستدرك : ١٨٨١ .

الحديث رقم (١٦١)

قال ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ الله رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ الله نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ الله ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ .. الخ » .

قال الأحباني : وتكلم في الكلمة التي تقال أربعاً صباحاً ومساء : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ .. الخ ، وفيه من قالها مرة أعتق الله ربعه من النار ، ومرتين نصفه ، وثلاثاً ثلاثة أرباعه ، وأربعاً كله[1] ، ثم قال رضي الله عنه : « هذا عتق اليوم والليلة مما يصيبه في أحدهما من الذنوب ، وإن قالها مرة صباحاً أو مساء أعتق عنه ربع سيئاته التي أصابها في ذلك اليوم أو في تلك الليلة ، ومرتين نصفها وثلاثاً ثلاثة أرباعها ، أو أربعاً فكلها . ولكل من العتق على قدره خصوص لخصوص وعموم لعموم » . أو كما قال انتهى .

قال الأحباني : عموم إطلاق الغفران في هذا الحديث قيده في الصغائر بالخصوص في حديث : من الصلاة إلى الصلاة مكفر لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر . وذكر مثل ذلك في بقية أركان الإسلام من الزكاة إلى الزكاة ، ومن رمضان إلى رمضان ، ومن الحج إلى الحج ، والكبير من الذنوب ما رتب عليه الحدود على اختلافها باختلاف الكبائر ، من الجلد والرجم والنفس بالنفس ، لا يكفر تلك الذنوب إلا بإقامة تلك الحدود ، أو العفو عن القتل بالدية ، أو عفو مستحقها عنها ، هذا في هذه الشريعة المطهرة ، ولا يبعد في الشرائع قبلها إذا صحت النية أن تقبل التوبة مع إسقاط الحد ، كصحة توبة قاتل المائة نفس .

وقد قلت لسيدنا لما مر حديثه في الدرس : كيف صحت توبته وكل تلك النفوس في ذمته ؟ فقال : « صحت » . وما زادني على ذلك ، ولعل مراده بهذا هو مراده بقوله : « خصوص لخصوص ، وعموم لعموم » ، أي عموم وخصوص تلك الأمم ، لخصوصها وعمومها ، مع إقامة الحد أو سقوطه ، أو المعنى خصوص وعموم هذه الأمة فيما ليس فيه حد مع خصوصها

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٠١) ، وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٦/ برقم ٩٨٣٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٩٧) .

وعمومها ، والله أعلم .

وكما ثبت في هذه الكلمة وأمثالها من الأقوال والأعمال ، ما هو مكفر للسيئات ، كذلك ورد في بعض الأقوال والأفعال ما هو دافع للسوء والبلاء ، أو جالب للنفع والآلاء ، كما ورد : من قال صباحاً ومساء تلك الكلمة التي تقال خمساً وعشرين : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .. الخ أنه لا يرى ما يكره في نفسه ولا في أهله ، إلى آخر ما ذكر ، فهذا متوقف على أي النوعين من القضاء ، فإن كان من المحتوم وقوعه وقع لا محالة ، أو دفعه اندفع لا محالة ، بسبب ظاهر أو غير ظاهر ، فيكون وقوعه إذ ذاك معلقاً ، فاندفع كما تندفع الأمراض بالأدوية التي عينها الله لبرءٍ وحضر وقتها ، أي وقت برأها بسببها المعين لذلك .

فافهم هذه الدقائق ، وكذلك ورد : إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ، ويكفرها الهم بالمعيشة . فاعجب للخواص التي جعلها الله في بعض الأعمال تخصيصاً لها بمحض المشيئة ، كما خصص بعض الأشخاص ببعض الأعمال ، وفاوت بين تلك الأعمال في التقرب بها إليه ، فتفاوت من إقامتهم فيها في القرب منه بتفاوتها ، وبحسب ذلك تفاوتت درجاتهم عندهم ، كما أفهم ذلك تمثيله بالأعبد الذين أقام سيدهم بعضهم في الدهليز ، وبعضهم في الدرجة ، وبعضهم عندهم في الغرفة ، فهذا أعلاهم عملاً ودرجة وقرباً منه ، ثم الذي في الدرجة ، ثم الذي في الدهليز ، وقس على ذلك ، وربما أن بعض الأعمال ولو فيه مزية لا يلزم أن القائم فيه أفضل من القائم بعمل ليس فيه تلك المزية ، كما في هذا ، فلا يلزم من ذلك أن المهتم بمعاشه أفضل من القائم بتلك الوظائف ، بل فيه مزية أن قصد بالمعاش الإستعانة به على العبادة ، والعمل بتلك الوظائف أفضل منه ، وتكفر ذنوباً أعظم من الذنوب التي يكفرها بالمعيشة ، وهذا ورد حثاً على طلب معيشة الحلال ، فإن أمر ذلك مهم جداً عند أهل الدين المتقين .

❁ ❁ ❁

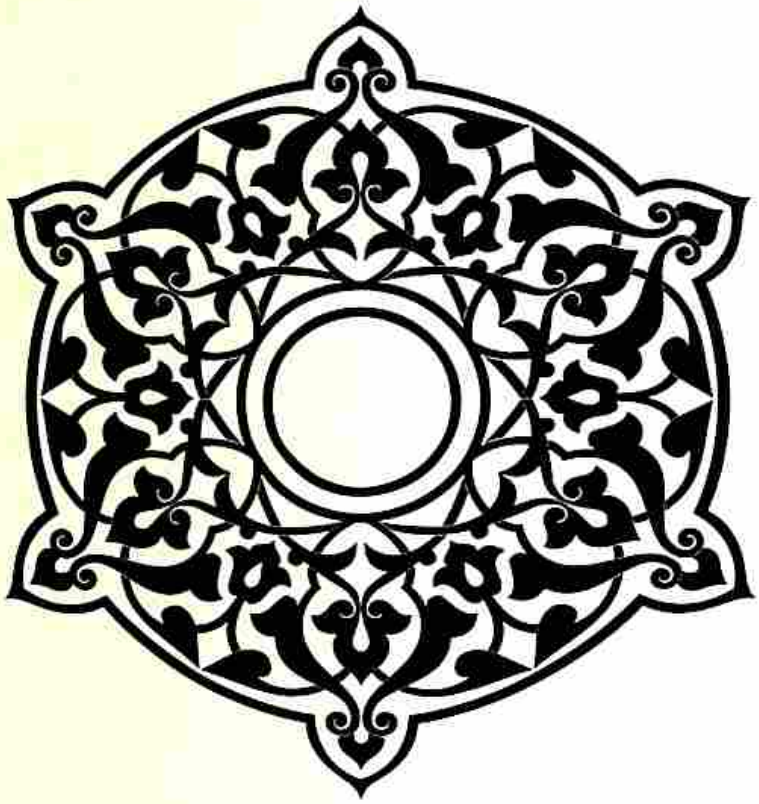

الصفحة	الحديث
١٣	١- إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى .. الخ
١٥	٢- إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلى صُوَرِكُم وأبدَانِكُم ، ولكن يَنظُرُ إلى قُلُوبِكُم وَنِيَّاتِكُم .
١٧	٣- بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ .. الخ
٢٠	٤- رَحِمَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاها كَمَا سَمِعَهَا .
٢٣	٥- لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي .
٢٦	٦- اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي .. الخ
٢٧	٧- ذَلِكَ الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ .
٢٨	٨- اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوائِجكُم بالكِتمَانِ .
٣٠	٩- مَا وَسِعَنِي أرضِي ولا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي قَلبُ عَبدِي المؤمِن .
٣١	١٠- نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ .
٣٢	١١- مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِندَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سبعمائة .. الخ
٣٣	١٢- إِنَّ الخَيرَ عَادَة .
٣٥	١٣-دِينُ الله الوَسَط ، لا غُلُوّ ولا تَقْصِير .
٣٧	١٤-إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَل عُمَّالًا .. الخ
٤٠	١٥- يا غُلامُ إِنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ الله يحفَظكَ .. الخ
٤١	١٦-إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ القَلْبَ انْشَرَحَ لَهُ وانْفَسَح .
٤٢	١٧- اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا .. الخ
٤٣	١٨- مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً .
٤٤	١٩-فَازَ الْمُخِفُّونَ .
٤٧	٢٠- الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَب .
٤٨	٢١- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

٤٩ ٢٢- إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ .. الخ
٥١ ٢٣- كَلِّمُوا كُلَّ إنْسَانٍ بِمَا يَعْلَمْ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ .
٥٢ ٢٤- إذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيكَ طَرِيقَان ، فَاسْلُكْ أَيْمَنَهُمَا .
٥٣ ٢٥- إنَّ اللهَ لَيَنْفَعُ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ .
٥٤ ٢٦- الدِّينُ النَّصِيحَة .
٥٥ ٢٧- الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ .
٥٦ ٢٨- الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ .
٥٨ ٢٩- اهْتَبِلُوا العَفْوَ عَنْ عَثَرَاتِ ذَوِي المُرُوات .
٥٩ ٣٠- لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ .. الخ
٦٠ ٣١-صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِر .
٦١ ٣٢- يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ .. الخ
٦٣ ٣٣-يَا أَبَا المنذِرِ ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ .. الخ
٦٥ ٣٤-إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال .
٦٦ ٣٥- النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .. الخ
٦٧ ٣٦- إن لله عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الإفْطَارِ .. الخ
٦٨ ٣٧- كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلَّا الظَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ .. الخ
٦٩ ٣٨- إذَا كَانَت أَوَّلُ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضَان ، تُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ .
٧٠ ٣٩- لَيسَ مِنَ البِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَر .
٧٣ ٤٠- إذَا دَخَلَ رَمَضَانُ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِين .
٧٤ ٤١- إنَّ اللهَ خَتَمَ سُورَةَ البَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أَعْطَانِيهُمَا مِنْ كَنْزِهِ .. الخ
٧٥ ٤٢- قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ثُلُثُ القُرآن ، والزَّلزَلَة نِصف القُرآن .. الخ
٧٦ ٤٣- الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ ، يَتَرَاءَىٰ لأَهْلِ السَّمَاءِ ، كَمَا تَتَرَاءَىٰ.. الخ
٧٧ ٤٤- قال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا .. الخ

٧٨ ٤٥- عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ .
٧٩ ٤٦- إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بَآبَائِكُمْ .
٨١ ٤٧- إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمين .. الخ
٨٣ ٤٨- صِلْ رَحِمَك وَإِنْ قَطَعَتْ .
٨٤ ٤٩- إِنَّ الله يُحِبُّ أَن يَرَىٰ أَثَرَ نِعمَتِه علىٰ عَبدِه .
٨٥ ٥٠- إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أهلَ البَيتِ الخَصِب .
٨٦ ٥١- مَنِ الْتَقَطَ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الطَّعَامِ ، حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّار .
٨٧ ٥٢- إِنَّ الرَّجلَ لَيُحرم الرِّزقَ بالذنبِ يُصيبُهُ .
٨٩ ٥٣- لا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ الْغُرَفَ ، وَأَلْهُوهُنَّ بِالمغَازِل .
٩١ ٥٤- إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم خِيَارَكُم ، وَتُجَّارُكُم أُمَنَاءَكُم .. الخ
٩٤ ٥٥- فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَيرُ العِيَال البَنَات .
٩٥ ٥٦- لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً .
٩٦ ٥٧- أَعْدَىٰ عَدُوِّكَ زَوجَتُكَ التي تُضَاجِعها ، وَمَا مَلَكَت يَمِينك .
٩٧ ٥٨- هُو الرِّبَا بِعَينِهِ ، وَلَكِن بِيعُوا الصَّاعَينِ بِدِرْهَمَيْنِ .. الخ
٩٩ ٥٩- الْفَقْرُ بِالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ أَزْيَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعَذَارِ الْحَسَنِ .. الخ
١٠٣ ٦٠- الزَّهادَة في الدُّنيا تُريحُ القَلبَ وَالبَدَن ، والرَّغبَة في الدُّنيا .. الخ
١٠٤ ٦١- فوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَىٰ عليكُمْ ولكنِّي أَخْشَىٰ أن تُبْسَطَ الدُّنيا .. الخ
١٠٦ ٦٢- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مالٍ يُطْغِينِي .
١٠٧ ٦٣- لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا دَمًا عَبِيطًا ، لَكَانَ قُوتُ الْمُؤْمِنِ مِنْهَا حَلَالًا .
١٠٩ ٦٤- أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ .. الخ
١١٠ ٦٥- إِنَّمَا تُرْحَمُونَ بِضُعَفَائِكُم ، وابْغُونِي فِيكُمُ الضُّعَفَاء .
١١١ ٦٦- ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًىٰ مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ .. الخ
١١٣ ٦٧- يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشُبُّ مَعَهُ خِصْلَتَانِ: الْحِرْصُ وَطُولُ الأَمَلِ .

١١٥ ٦٨- يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِياءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ .
١١٦ ٦٩- يُحْشَرُ المحتكِرُونَ وَقَتَلَةُ النَّفسِ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَة .
١١٧ ٧٠- إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُبْغِضُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ ، السَّخِيَّ عِنْدَ مَوْتِهِ .
١١٨ ٧١- إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفاجِرِ .
١١٩ ٧٢- إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَىٰ الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ .. الخ
١٢٠ ٧٣- يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ .. الخ
١٢١ ٧٤- إِنَّ اللهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ .
١٢٢ ٧٥- مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا ، إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ .. الخ
١٢٤ ٧٦- لِيَلِنِي مِنكُمْ أُولوا الأَحْلامِ والنُّهَىٰ .
١٢٦ ٧٧- جَعَلَ صلىٰ الله عليه وآله وسلم يَصِف الحُمَّىٰ لِرَجُلٍ .. الخ
١٢٧ ٧٨- آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ .. الخ
١٢٨ ٧٩- للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ .. الخ
١٣١ ٨٠- للهِ تَعَالَىٰ مَلَكٌ مُوكَلٌ بِالمقَابِرِ ، فَإِذَا دُفِنَ الميِّتُ وَسوَّىٰ عَلَيهِ .. الخ
١٣٣ ٨١- مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ فَلَا غِيبَةَ لَه .
١٣٤ ٨٢- غَيْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا اللهُ ، وَالأُخْرَىٰ يُبْغِضُهَا اللهُ .. الخ
١٣٥ ٨٣- فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ ، وَلَيَجِدَنَّ ابنُ مَرْيَمَ مِنْ أُمَّتِي .. الخ
١٣٦ ٨٤- أَشْقَىٰ النَّاسِ مَن أَدْخَلَهُ أَجْوَفَاهُ النَّار .
١٣٧ ٨٥- إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا وَنَزَلُوهَا بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ .. الخ
١٣٨ ٨٦- إِنَّ اللهَ يَأْخُذُ بِالمظْلَمَةِ الوَاحِدَةِ مِنَ الظَّالِمِ لمن ظَلَمَهُ ثَوَابَ .. الخ
١٤٢ ٨٧- كُتِبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ .. الخ
١٤٤ ٨٨- قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلام : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ .. الخ
١٤٥ ٨٩- إِنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فيهِ بِرِفْقٍ .
١٤٧ ٩٠- أَشْرَارُ أُمَّتِي الصَّوَّاغُون .

١٤٨ ٩١- يُسْتَوْفَى لِلْقَرْنَاءِ مِنَ الجَمَّاء .
١٤٩ ٩٢- إنَّ لِلْقَبْرِ رَجَّةً ، يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إلا الثَّقَلَيْن .
١٥٠ ٩٣- يَأْتِي زَمَانٌ القَابِضُ فِيهِ عَلَىٰ دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَىٰ الْجَمْرِ .
١٥١ ٩٤- مَنْ غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا .
١٥٢ ٩٥- مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ .. الخ
١٥٣ ٩٦- إِذَا لَقِيتُمُ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ المَعَاصِي ، فَالْقَوهُم بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ .
١٥٤ ٩٧- كَفَىٰ بِالمَرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِع .
١٥٥ ٩٨- مَنْ تَصَدَّقَ فَقَدْ فَكَّ لِحيي سَبعِينَ شَيطَاناً .
١٥٦ ٩٩- مَنِ احْتَكَرَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طَعَاماً ابْتَلاهُ اللهُ بالإفْلاسِ وَالجُذَامِ .
١٥٧ ١٠٠- اطْلُبُوا الحَوَائِجَ بِعِزَّةِ النَّفْسِ .
١٥٨ ١٠١- مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إتْلافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ .
١٥٩ ١٠٢- اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ .
١٦٠ ١٠٣- إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَىٰ عَلَيهِمْ.. الخ
١٦١ ١٠٤- أوفِ للهِ بِمَا عَاهَدْتَهُ عَلَيهِ .. الخ
١٦٢ ١٠٥- مَنْ حَمَىٰ مُؤمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَنْتَهِكُ حُرْمَتَهُ .
١٦٣ ١٠٦- مَنْ أَحَبَّ قَوماً فَهُوَ مِنْهُم .
١٦٤ ١٠٧- لَوْ بَكَىٰ بَاكٍ فِي أُمَّةٍ لَرَحِمَهُمُ الله .
١٦٥ ١٠٨- مَا كَانَ الرِّفقُ فِي شَيءٍ إلا زَانَه .
١٦٦ ١٠٩- لا تَذْكُرُوا مَسَاوِيءَ مَوتَاكُم ، وَاذْكُرُوا مَحَاسِنَهُم .
١٦٧ ١١٠- مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُسِيئُونَ الوُضُوءَ ، فَيَشُكُّونَ إذَا شَكَّ الإمَام .
١٦٨ ١١١- مَنْ احْتَجَمَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعِ عَشْرَةَ وَإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ .. الخ
١٦٩ ١١٢- قُلِ اللهُمَّ أَرِنِي الجَنَّةَ كَمَا أَرَيْتَهَا عِبَادَكَ الصَّالحين .
١٧٠ ١١٣- إذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ .. الخ

١٧١ ١١٤ - لا تَغْضَبْ .
١٧٢ ١١٥ - إنَّما الشَّدِيْدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الغَضَب .
١٧٣ ١١٦ - إنَّ العَيْنَ قَدْ تُدخِل الرَّجُلَ القَبْرَ ، والجَمَلَ القِدْر .
١٧٦ ١١٧ - هَلَّا إذ رَأيتَ ما يُعجِبُكَ بَرَّكْتَ عَلَيه .
١٧٧ ١١٨ - لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ .
١٧٨ ١١٩ - لَلا تُؤْذِ جَارَكَ بِقِتَارِ قِدْرِكَ .
١٧٩ ١٢٠ - والله لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ .
١٨٠ ١٢١ - الجَارُ قَبْلَ الدَّارِ .
١٨١ ١٢٢ - إذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَتَكَاشَرَا ، قُسِّمَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَة .. الخ
١٨٢ ١٢٣ - إذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ .
١٨٣ ١٢٤ - لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي .
١٨٥ ١٢٥ - يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ .
١٨٦ ١٢٦ - لا تَبْدَؤوهُمْ بالسَّلام ، وَإذَا لَقِيتُموهُمْ فِي الطَّرِيقِ ، فاضْطَرُّوهُمْ إلَى أضْيَقِ الطَّرِيقِ .
١٨٧ ١٢٧ - لا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونس بن مَتَّى .
١٨٩ ١٢٨ - مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ .
١٩١ ١٢٩ - لَيسَ آل بَنِي فُلان لِي بِأَولِياء .
١٩٤ ١٣٠ - وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ .
١٩٦ ١٣١ - إنَّ اللهَ حَمَى أُمَّتِي عَنْ أنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَة .
١٩٧ ١٣٢ - اللهُ المُعْطِي ، وَإنَّما أنا قَاسِمٌ .
١٩٨ ١٣٣ - اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آل مُحَمَّدٍ قُوتاً .
١٩٩ ١٣٤ - تَركتُ فِيكم الثَّقلين ، ما إن تمسَّكتُم بهما ، لن تضلُّوا : .. الخ
٢٠٢ ١٣٥ - وَمَا لِعَدُوِّ الله أبِي جَهْلٍ وَلِلْجَنَّةِ .

٢٠٤ ١٣٦- حَاجَّ مُوسَىٰ آدَمَ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ .. الخ
٢٠٥ ١٣٧- شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ .
٢٠٦ ١٣٨- يَقُولُ اللهُ لأهلِ بَدْرٍ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ .
٢٠٧ ١٣٩- لا تَكُونَا كالعَيرين .
٢٠٨ ١٤٠- لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا .
٢٠٩ ١٤١- أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَبِيكِ مُنذُ ثَلَاث .
٢١٠ ١٤٢- إِنَّ اللهَ أَمْهَرَ فَاطِمَةَ رُبْعَ أَهل الدُّنيا .
٢١١ ١٤٣- غَيْرُ الدَّجَّال أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ .. الخ
٢١٣ ١٤٤- مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُم بَعدَ المائتَيْنِ أن يَمُوت فَلْيَمُتْ .
٢١٤ ١٤٥- يَقُولُ الله تَعَالَىٰ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي .. الخ
٢١٥ ١٤٦- الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا .
٢١٦ ١٤٧- إِذَا ظَهَرَتْ عَلَامَاتُهَا تَبْقَىٰ السَّاعَةُ فِي قُرْبِهَا كَالْحَامِلِ المُقَرِّب .
٢١٨ ١٤٨- آخر الزَّمَانِ الذِي عَلَىٰ الإِنْسَانِ فِيهِ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِهِ .
٢١٩ ١٤٩- مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ .. الخ
٢٢٠ ١٥٠- الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ .
٢٢١ ١٥١- قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ : كَيفَ رَأَيتَ رَبَّكَ .. الخ
٢٢٢ ١٥٢- مَنْ قَالَ إذا أَصْبَحَ وإِذَا أَمْسَىٰ : حَسْبِيَ اللهُ ، لا إِلَهَ إلا هُوَ .. الخ
٢٢٣ ١٥٣- يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ .. الخ
٢٢٥ ١٥٤- عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي .
٢٢٦ ١٥٥- رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ .
٢٢٧ ١٥٦- إِنَّ الإِلحَاحَ عَلَىٰ اللهِ فِي الدُّعاءِ مَطْلُوب .
٢٢٨ ١٥٧- مَا مِنْ يوم يُصبِحُ فيه العبادُ ؛ إلا مَلَكانِ يَنْزِلان ، يقول .. الخ
٢٢٩ ١٥٨- مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ .

٢٣٠ ١٥٩ - إنَّ البَهَائِمَ إذَا قَحطَتْ تَدْعُو عَلَى بَنِي آدَمَ ، وَتَقُول : إنَّ اللهَ وَاخَذَنَا بِذُنُوبِهِم .

٢٣٢ ١٦٠ - اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي وَالهَدْمِ وَالحَرْقِ .

٢٣٣ ١٦١ - مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ .. الخ

هذا الكتاب

بسم الله وله الحمد ، هو الموفِّق والهادي ، هو الميسر والمسهِّل والمسبِّب والمساعد ، وفقنا وهدانا لاستخراج هذه الدرر والجواهر ، من هذا البحر الزاخر ، والمحيط الهادر ، فهذه دُرَّةٌ أخرىٰ ، وجوهرة كبرىٰ ، استخرجناها من قعر هذا البحر الحدادي ، ومن قاع هذا المحيط الهادي ، انتزعناها من أصدافها ، وأبقيناها داخل غلافها ، لم نخدشها بالجرح والتعديل ، ولم نشوّهها بالتعليق والتأويل ، وهي الأحاديث النبوية التي مرَّت علىٰ الإمام الحداد ، أثناء القراءة عليه في مجالسه وتكلم عليها ، استخرجناها وأبقيناها كما هي ، وقدمناها للقاريء غضة طرية ، بلسان حدادية ، من مشكاة نبوية .

نعم إنها مائدة حدادية ، بسطها لنا الإمام الحساوي ، فهنيئاً لمن إليها يأوي ، ويتمتع بلحظات روحية يعيشها في ربوع (الحاوي) .. فتمتع أيها القاريء الكريم ، في هذا الرياض العظيم ، وتنقَّل بين منتزهاته وجناته ، وتذوَّق من أطايبه ولذاته ، فإنها أطباق دسمة ، فيها (الغذاء والدواء) حيث يسري مفعولها في داخلك ليقضي علىٰ الأمراض الباطنة (كالمضاد الحيوي) ..

وكمثال علىٰ ذلك : فعندما تتناول حديث (دعوتُ فلم يُستجب لي) ، تتفتح أمامك آفاق واسعة ، من المفاهيم والحِكم التي أجراها الله علىٰ لسان هذا الإمام ، فتنطلق معها من فهم إلىٰ فهم ، ومن معنىٰ إلىٰ معنىٰ ، حتىٰ تعترف بالعجز والتقصير عن حل إشكالها ، وإطلاق عقالها ، (والعجز عن درك الإدراك إدراك) .. ومثال آخر : عندما تتناول حديث (يُستوفىٰ للقرناء من الجماء) تشعر بالنشوة واللذة الروحية تسري في داخلك ، وتدب في جسمك ، من هذه الأطعمة العجيبة التي تطفح بها هذه المائدة الحدادية ، المتفرعة من مائدة (وعلّمناه من لدنّا علما) .

وهكذا كل حديث تمر عليه ، أو طبق تنتهي إليه ، فكلما تذوقت من طبق ، انفتحت شهيتك ، فتزيد في الأكل ، وكلما زدت في الأكل كلما ازددت جوعاً ، وكلما ازددت شرباً ازددت ظمأً ، حتىٰ تود أن لا يفارق الكأس فمك ..

ولم نتكلف في تخريج هذه الأحاديث ، فحسبنا أنها مرت علىٰ مسمع الإمام الحداد ، وهذا هو المختبر الصحيح .. الذي يميز الباطل من الصحيح .. **لأن الإمام الحداد وأمثاله رضي الله عنهم ، لهم طريقة خاصة في تخريج الأحاديث ، ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ولعلهم (والله أعلم) يتذوقونها ، فإذا طعموا في حروفة (نكهة) السر النبوي ، وذاقوا في كلماتها حلاوة (الريق) المصطفوي ، عرفوا أنها مرَّت على لسانه ، وخرجت من بين شفتيه وأسنانه ، وكفى بهذا تخريجاً** ..

ولعل القاريء الكريم يجد في بعض كلام الشيخ عبدالكريم الأحسائي جامع هذا الكلام شيئاً مما يحتاج إلىٰ توضيح أو تعليق ، كمثلما أورده من كلام عن (المرأة والتعامل معها) وقد نُسب ذلك إلىٰ الإمام عليه كرم الله وجهه ، فقد نقلناه كما أورده ، دون زيادة أو نقص ، التزاماً بأمانة النقل ، واعتماداً علىٰ فطنة القاريء وتمييزه ، فإن القاريء البسيط سيعرف أن هذا الكلام - إن صحت نسبته إلىٰ الإمام - فإنما ينطبق علىٰ (نوع معين من النساء) وليس علىٰ المسلمات اللاتي وصفهن القرآن بقوله : (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) ، فأمانة النقل أمرٌ مهم ، والتأدب مع هؤلاء أهم ، وفوق كل ذي علم عليم .

ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في العمل ، وأن يجنبنا الخطأ والزلل ، وأن يوفقنا لإتمام ما بدأناه من تحقيق هذا الكتاب المهم (تثبيت الفؤاد الأم) وهو الآن (تحت الطبع) فنسأل الله أن يطيل الآجال ، ويحقق الآمال ، فمنه التوفيق ، وله الفضل أولاً وأخيراً ..

أعضاء لجنة التحقيق والمراجعة

عبدالقادر الجيلاني بن سالم الخرد * محمد بن شيخ بن عيدروس الحداد * عدنان بن يحيىٰ بن أحمد العيدروس